رحلتي

من الظلمات إلى النور

السيد عبد الكريم هاشمي نجاد

رحلتي

من الظلمات إلى النّور



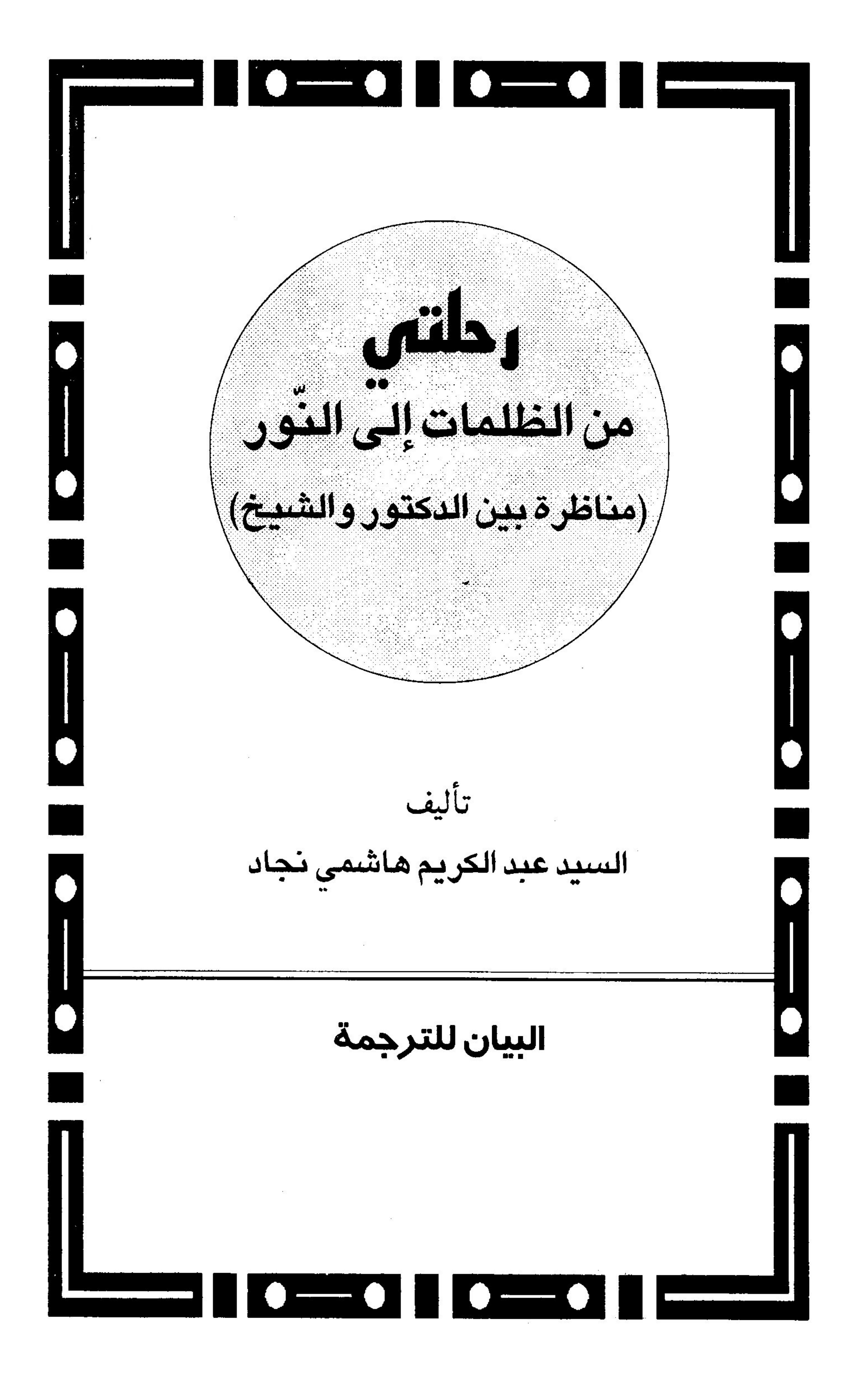


٦٤

این کتاب با استفاده از کاغذ حمایتی وزارت فرهنگ
وارشاد اسلامی به چاپ رسیده‌است

هـويّـة الكتـاب :

إسم الكتاب : .... رحلتي من الظلمات إلى النّور .
تأليف : .... السيد عبد الكريم هاشمي نجاد .
ترجمة .... علاء رضائي .
نشر .... مؤسّسة المعارف الإسلاميّة .
صفّ الحروف: .... مؤسّسة المعارف الإسلاميّة .
الطبعة : .... الأُولى ١٤١٦ هـ . ق .
المطبعة : .... پاسدار اسلام .
العدد : .... ٢٠٠٠ نسخة .
السعر .... تومان .



رحلتي

من الظلمات إلى النّور

(مناظرة بين الدكتور والشيخ)

تأليف

السيد عبد الكريم هاشمي نجاد

البيان للترجمة

لا بـدّ من هذه المقدّمـة
قبل قراءة الكتاب

الكتاب الذي بين ايديكم كتبته قبل عشرين سنة وصدر بعنوان « **مناظرة بين الدكتور والشيخ** » . وقد تلقّفه الشباب المسلم آنذاك بحيث طبع للـمرّة التاسعة بعد فترة قصيرة من صدوره .

لكن وللأسف عُرِّض الكتاب لآفة في تلك الايام حالت دون طبعه مـن جديد (بشكل علني علىٰ الاقل) . وتلك الآفة هي من خصوصيات دول معينة ... تنال المطبوعات والصحافة .

لكن اليوم وبعد مرور سنين حيث تغيرت الظروف لحد ما بالنسبة لمثل هذه الكتابات، وبسبب اصرار بعض الأصدقاء حاولت طبعه من جديد ، لكـن المشكلة هي ان كتاب « **مناظرة بين الدكتور والشيخ** » كتب قبل عشـرين سنة وطبيعي فهو يحمل خصوصيات الكاتب الفكرية في تلك المرحلة ، كما أنه يحمل أيضاً أجواء تلك الفترة من حياة المـجتمع الفكـرية والسـياسية ، التـي تختلف كثيراً عن الظروف المعاصرة، لذلك كان من الضروري اعادة نظر اساسية

في مواضيع الكتاب لكي يكون منسجماً مع متطلبات ومستوىٰ وعي المجتمع حالياً.

ومن جهة أُخرىٰ فإن هذا الأمر يحتاج إلىٰ عمل وفرصة كبيرة، لكي نقوم بتغيير جذري في المسائل التي يطرحها الكتاب، وللأسف الشديد إن الوقت بالنسبة لي ضيق جداً والفرصة غير سانحة، لذلك اخترت حلاً وسطاً لهذا الأمر واكتفيت في الوقت الحاضر بأعادة نظر عابرة وسريعة، بأمل اتاحة فرصة مناسبة لي ـ ان شاء اللّه ـ لكي أقوم بطرح جميع مواضيع الكتاب علىٰ اساس جديد، بشكل يتناسب والجو الفكري والسياسي الذي يحكمني ومجتمعي.

إذن، علىٰ القارىء المحترم معرفة ان التغييرات التي أُجريت علىٰ الكتاب قليلة وسطحية وليست تغييرات أُصولية وجذرية. على أمل ان أوفق في المستقبل القريب ان أخطو خطوات أكثر فائدة لنشر تعاليم الاسلام ومعارفه الغنية والثورية وعلىٰ قدر استطاعتي. وباللّه الاستعانة.

السيد عبد الكريم هاشمي نجاد

مشهد ـ ١٩ / ايار / ١٩٧٨ م

بدأت الشمس بتسليط اشعتها علىٰ مدينة « بندر شاه » الصغيرة ، فيما بدأ الناس نشاطهم اليومي بهدوء ، والمسافرون الذين يـريدون السـفر بـالقطار ، اخذوا يستعدون للحركة، في حين ان صوتاً مزعجاً من عجلات العربات التي كانت مشغولة بحمل المسافرين في شارع المحطة كان يصل الىٰ الآذان ، وكانت ساعة حركة القطار تقترب شيئاً فشيئاً .

في تلك اللحظة نزل من احدىٰ العربات شيخ يـضع عـلىٰ رأسـه قـبعة صوفية ويحمل بيده حقيبة ، له لحـية بـيضاء كـثّة وشكـل نـورانـي جـذّاب ، كان يحفظ رقبته وجزءاً من وجهه بياقة معطفه خوفاً من النسـيم البـارد الذي كان يهب ، وقف في آخر الصف لأخذ بطاقة القـطار ، حـتىٰ جـاء دوره فـي النهاية فاشترىٰ البطاقة ودخل الىٰ فناء المحطة، ولأنه لم يـبق لحـركة القـطار إلّا ربع سـاعة فقد صعد القطـار ، وكان مكتوبـاً في بـطاقته: العـربة ٤ المـقعد رقم ٤٤.

كان الشيخ ينظر من خلف الزجاج الىٰ ارقام المقاعد عندما يمر بالغرف ، حتىٰ وجد مقعده في النهاية ، فتح باب الغرفة وبعد ابداء السلام للجالسين في الغرفة ، وضع حقيبته في محلها المخصص وجلس علىٰ مقعده .

بداية الحديث :

نظر الشيخ الىٰ الاشخاص الجالسين في الغرفة فرآهم يتلصصون إليه النظر، ويشيرون الىٰ بعضهم مستهزئين بقبعته ولحيته . فتغاضىٰ عن اشاراتهم لوقاره الخاص ووجّه نظره الىٰ الاسفل، وانشغل بقراءة القرآن والدعاء .

لكن الجالسين معه في الغرفة ذهبوا الىٰ أبعد من مجرد الغمز لبعضهم وبدأوا بالكلام وأخذوا يستهزؤون بالشيخ بكلمات نابية ، والشيخ لا يزال ساكتاً، وهو منشغل بالدعاء ، لكن جلساءه كانوا اكثر وقاحة من ان يتركوا الشيخ لصمته ووقاره . فأصبح الكلام ابعد من مجرد المزاح والاستهزاء الىٰ الجدِّية والضجر منه ، فتوجّه احدهم بصوت عنيف الىٰ الآخر، وقال : دكتور ! اني اتنفر من هؤلاء الرجعيين اساساً ، وقال آخر: دكتور أنا أيضاً لا أُحبُّ هذه الأشكال .

فقال الدكتور مجيباً إياهما : أنا أعارض الدين اساساً ، فكيف بهؤلاء القرويين الرجعيين الملتحين .

وقال الرابع : نحن لا حظَّ لنا في السفر أساساً ، اردنا بعد فترة ان نسافر الىٰ طهران، فإذا بهذا المتعصّب معنا .

خلاصة القول ، لقد تجاوزت تلك الجماعة مجرد اهانة الشيخ والاستهزاء به، إلى التجاسر على الدين والقضايا الدينية .

الشيخ يتحدث :

وجد الشيخ ان الصمت بعد ذلك غير جائز ، فبدأ الحديث، وقال : أيُّها السادة: علىٰ حدِّ قولكم أنا رجعي وممّن يضعون علىٰ رؤوسهم قبعة من الصوف ، لكنكم الذين يظهر من ملابسكم وهيئتكم أنكم متعلمون ومثقفون . أُقسم عليكم، هل اسلوبكم هذا انساني ؟ وأنا رفيقكم في السفر الىٰ طهران فقط ، وقد سلّمت علىٰ الجميع عند دخولي بمنتهىٰ الأدب، وجلست في مكاني دون ان أُؤذي احداً منكم ، لكنكم في قبال ذلك ، كلتم لي كل تلك الاهانات !! مع ذلك فأنا اغض النظر عما قلتموه بحقي ، فكيف تتجاسرون وتنالون من المقدسات الاسلاميّة .

سؤال الشيخ :

لكني اسألكم سؤالاً واحداً ، مع كل هذا التشاؤم وسوء الظن بالدين والمسائل الدينية ، هل انتم تعرفون الدين (بالمعنىٰ الصحيح للكلمة) ؟ أم إنّ إهانتكم للإسلام هي بدون أيّة معرفة صحيحة عنه ؟!

رفقاء السفر : ماذا تقصد بالمعرفة ، نحن لا نوافقك هذا الكلام من الاساس.

ثم أضاف أحدهم : أنا لا طاقة لي بقراءة الكتب الدينية ولست مستعداً للحديث مع واحد من المعمّمين .

الشيخ : أيُّها السيد المحترم ! أنت الذي تعترف بعدم اطلاعك علىٰ اصول الدين ومبادئه ، ولم تتحدث في جميع عمرك مع أي مسلم واعٍ ، إذن كيف تجيز لنفسك اساءة الأدب بحق المقدسات الدينية إلىٰ هذا الحدّ ، وتتصور ان الدين والمتدينيين بشكل عام يقفون أمام سعادتك ؟!

أنتم الذين تعترفون بجهلكم لابسط المعلومات حول الاسلام ، كيف تسمحون لانفسكم بمثل هذه الاحكام المستعجلة والارتجاليّة البعيدة عن الواقع ، وتدينون الدين واتباعه في محكمتكم غير الصالحة بالاهانة والاستهزاء والكلام الباطل ؟!

أيُّها السيد المحترم ! اتصور انّك وكما يقول المثل ذهبت للقاضي فقط[1] وحكمت بدون أية صلاحية في الحكم .

قضاء باطل

رفيق سفر آخر : أيُّها الشيخ دعك من ذلك ، هل هناك اصل أو اساس علمي للدين، حتىٰ يحتاج الخوض فيه الىٰ صلاحية أو معرفة واسعة ؟! فكل شخص يمكنه الكلام حول الدين ، وابداء الرأي فيه ثم قبوله أو عدم قبوله .

الشيخ : كلامك هنا لا ينسجم والقواعد المنطقية والعلمية والعقلية ، لأن العقل يحكم برجوع الاشخاص الذين لا يلمون بموضوع ما الىٰ المختصين فيه ،

(١) مثل ايراني معناه ؛ أن الكلام لا يستند إلى دليل حقيقي . (المترجم)

وليس لهم ابداء الرأي دون علم سابق والحكم فيه .

ففي جميع العصور وبين جميع الاشخاص والاقوام ، هناك اشخاص متخصّصون في كل فن ، يرجع اليهم باقي الناس في مجال تخصّصهم ، ولا نذكر ان أحداً من الناس استعان بجاهل في موضوع معين لحل معضلة ، او انهم سَعَوْا الىٰ حلِّ أمر جاهلين له. هل رأيتم مريضاً راجع حداداً ليعالجه من مرضه ؟ أو ان احداً عاد طبيباً ليسأله عن امور الزراعة؟ حتىٰ لو ان احداً في غير المتخصصين ابدىٰ رأياً في أمر ، فإن رأيه لن يعار له أي اهتمام، خاصة في عالمنا المعاصر ، وفي الدول المتقدمة ، لربّما يكون عرض نظريات باطلة وأحكام غير صحيحة من قبل اشخاص غير مختصين يعتبر جريمة ويستدعي ملاحقة قانونية .

قصّة حول الاحكام الباطلة

هنا نورد هذه القصة علىٰ سبيل المثال :

حكىٰ لي احد الاصدقاء : انني كنت اعبر بحر المانش بين فرنسا (ميناء ديب) وانجلترا (ميناء نيوهيون) بالباخرة . وكنت جالساً الىٰ جانب رجل انجليزي يظهر عليه الألم، وبعد قليل من التردد سألته عما يؤلمه، فأشتكى من الصداع، فعرضت عليه تناول حبة «كالمين» جلبتها معي من فرنسا ، فوافق وتناولها ، وبعد فترة قصيرة ذهب عنه الصداع ، فشكرني وسأل : هل انت طبيب؟ أجبته: لا . فسألني متعجباً : إذن كيف تجيز الدواء ؟!

علىٰ أيّة حال، وبعد نزولنا من الباخرة ... سلّمني للشرطة ، بأن قال لهم اشكر هذا السيد الذي أذهب عني الصداع بأعطائي الدواء ، لكنه ارتكب مخالفة

قانونية بتجويزه دواءً دون رخصة .

وهذا نموذج لرد فعل ايجابي ازاء الذين اعتادوا ابداء الرأي حول كل شيء دون علم ومعرفة به كافية، وهو رد فعل مقابل عمل لربما تكون نتيجته الموت بالنسبة لعشرات المرضىٰ[1] .

أجل ، هذا هو الاسلوب الصحيح ، ففي كل أمر تجب مراجعة المختصين به ، وهو اصل ثابت في جميع انحاء العالم ، وبين جميع الشعوب الواعية ، لكني لا اعلم لماذا عندما يصل الأمر الىٰ موضوع الدين نشاهد اولئك الناس ـ انفسهم ـ يريدون ابداء الرأي فيه دون علم ومعرفة كافية ، ويحكمون فيه مثلما يتكلم فيه العالم الديني الواعي ؟! واذا لم يستطيعوا فهمه من زاوية نظرهم ، ينفونه بكل شدّة ويقولون اننا لن نرضخ لمثل هذا القانون !!

أليس من غير الانصاف ان يقوم المزارع الذي أفنىٰ عمره ـ وللأسف حسب رغبة المستعمر ـ مع الارض والماء والقمح فقط ، أو العطار الذي عاش حياته كلها في بيع وشراء السكر والرز والتبغ ، أو العامل الماهر المختص في انتاج القماش أو الطبيب الحاذق الذي يتعامل مع اعضاء الانسان وجوارحه بسكين الجراحة في بعض الأحيان ، ابداء الرأي في المسائل الدينية وكأنه عالم دين واعٍ وصل الىٰ درجة من التخصّص تمكّنه من الحكم في الدين ؟!

اتصوّر أن الاُمّة التي تريد التدخل في اُمور ليست من صلاحيتها ، ولا

---

(١) صحيفة اطلاعات : العدد ١٣٧١٥ ـ ٣ شباط ١٩٧٢ .

ترتبط بها علمياً عليها أن تقرع طبول شقائِها.

اجل، يجب ان ترد الأُمور الىٰ اصحابها، فالبلد السعيد هو الذي يعرف اهله حدود وظائفهم ويحفظونها، ولا يتعدّىٰ أحد فيهم حدوده العلمية.

رفاق السفر: ماالذي تقوله أيُّها الشيخ، فدنيا اليوم هي دنيا العلم، والجميع يستطيعون معرفة كل شيء.

الشيخ: نعم ـ يستطيع كل واحد ان يفهم «كل شيء» لكن هناك مشاكل عديدة يلزم تجاوزها لتطبيق ذلك الامكان، بمعنىٰ لابدّ من تحمل متاعب جمّة للحصول علىٰ معلومات كافية فيما يتعلق بحقيقة معينة، لكي يمكنه فهم القضايا المرتبطة بتلك الحقيقة مثل متخصص واعٍ، ومن العجب! كيف لا يستطيع الشخص الذي لم يدرس الطب فهم المسائل الطبية ولكن هذا الشخص نفسه يحق له ابداء الرأي في المسائل الدينية بدون أية معلومات عن الدين؟!

لماذا لا يستطيع الذي لم يدرس الطب وسائر المواضيع العلمية تعلم مسائلها دفعة واحدة (مع ان الدنيا، هي دنيا العلم)، ولكن حينما تطرح قضايا الدين يستطيع كل جاهل ان يبدي نظرياته فيها لمجرد ان دنيانا هي دنيا العلم؟!

علىٰ انني لا اقصد بالمتخصّص في المسائل الدينية، الذين يرتدون الزي الروحاني (الجبّة والعمامة)، لان مجرد الملابس لا تأتي بالتخصّص، بل الذي اقصده هو «التخصّص العلمي» امتلاك معرفة دينية كافية وصحيحة، أمّا

ماتقولونه فهو يشبه الاعتراض علىٰ شخص يقول: يجب علىٰ البصير أن يأخذ بيد الأعمىٰ ويوصله الىٰ مقصده من بين الطرق الملتوية ، فماذا يعني ضوء النهار مع وجوب الآخذ بيد الأعمىٰ ، في حين ان الاعمىٰ يتساوىٰ لديه الليل والنهار وفي كلتا الحالتين يحتاج الىٰ شخص بصير يأخذ بيده .

أيُّها السادة ! صحيح ان دنيانا هي دنيا العلم ، لكنه وفي دنيا العلم هذه لا يستطيع احد ابداء نظريات في مجال اختصاصه والحكم في القضايا ، إلاّ الذي يمتلك وعياً ومعرفة كافيين .

أمّا الذي تقولونه فهو «عطاء من خزانه الأمير»(١) ، وهو للأسف منطق المتفرجين من بعيد، وهذا النوع من الناس ، إذا ما وجدوا احدىٰ المباحث الدينية لا تنسجم مع تفكيرهم القاصر ، يلوذون مباشرة بتطور الآخرين العلمي والتكنولوجي ، ويقولون فخورين !!: هو عصر العلم ، عصر الذرة ، العصر الذهبي البراق ، وفي مثل هذا العالم الذي نحيا فيه لا يمكن ان نترك موضوعاً دون فهم ! أليس من الضروري أن نقول لمثل هؤلاء الاشخاص: اعزاءنا في عصر العلم ايضاً لا يحق لأحد التنظير في قضية إلّا ان يكون عالماً ومتخصّصاً فيها وهؤلاء هم الذين يلتذون بالمسائل العلمية .

اصدقائي الاعزاء !

أنا لا أقول انه لا يحق لغير المتخصّص البحث والاستقصاء في الدين والمسائل التي تتعلق به ، بل ما اقصده هوان لا يجلس الشخص

(١) مثل ايراني، يقال للشخص الذي يتبرع من مال (أو علم) غيره. (المترجم)

الذي ليست له جدارة علمية في المسائل الدينية علىٰ كرسي القضاء ويصدر احكامه بهذه القطعية، وكأنما جميع الحقائق الدينية تتلخص في دائرة فكره، وفهمه فقط.

وعاء أحرّ من الأكل[1]

هنا تذكرت قصّة حدثت قبل سنوات، خلاصتها:

كان أحد العلماء الغربيين قد كتب مقالاً يقول فيه: نأمل ان تحلّ في المستقبل القريب مشاكل السفر الىٰ سطح القمر وان يصل الانسان الىٰ امنيته هذه[2].

بعد نشر ذلك المقال، كتب أحد الكتّاب الايرانيين مقالاً في احدىٰ الصحف حول السفر الىٰ سطح القمر علىٰ أساس مقال ذلك العالم الغربي، لكن صاحبنا استرسل في مقاله للحد الذي قال فيه: سوف يقضي عرائسنا شهر عسلهم ـ بالقريب ـ علىٰ سطح القمر، ولسوف يستأجر الاغنياء الفيلات المبنية علىٰ سطح القمر بأسعار باهضة لكي يفرّوا من حرارة شمس الصيف الىٰ هناك.

وقد وصل بالكاتب الحدّ لأن يقول: في المستقبل القريب، سوف تشير الاجيال التي ستأتي بعدنا نحو الأرض وتقول ان آباءنا كانوا يسكنون تلك

(١) مثل ايراني، يقال للشخص الذي يتحمس إلى موضوع لا يرتبط به. (المترجم)

(٢) اليوم ونحن نعد هذه الطبعة الجديدة من الكتاب، تحقّق حلم الانسان في السفر الىٰ سطح القمر قبل سنوات.

الكرة !!

جميع تلك الخزعبلات صاغها الكاتب الايراني علىٰ اساس مقال ذلك العالم الغربي في حين ان العالم الغربي كان يتحدّث عن احتمال وامكان السفر الىٰ سطح القمر. (وهنا، ينفجر رفاق السفر ضاحكين).

الشيخ : أيُّها السادة : أليس بعض مواطنينا يفكرون مثل ذلك الكاتب الايراني ، لأنهم يفتخرون بالتطور العلمي الذي أوجده الآخرون !

حقائق العالم وآراء العلماء

احد رفاق السفر: أيُّها الشيخ لقد تطرفت في كلامك ! لربّما يصحّ كلامك فيما يتعلق بغير المتعلمين، لكنه مرفوض فيما يتعلّق بالعلماء والمتعلّمين، لأنهم يحقُّ لهم ان يجعلوا آراءهم ملاكاً لصحّة وسقم أي موضوع، ويمكنهم اصدار حكم قطعي في كلٍّ شيء.

الشيخ: لا، لم أتطرّف في كلامي، كما انّ آراء العلماء أيضاً ليست معياراً كاملاً لصحّة أو خطأ موضوع ما في كل حال، لان التاريخ يحدّثنا عن تكامل البشر علمياً.

فقد حدّث ان مجموعة من العلماء أقرت مسألة خاطئة علىٰ أنّها حقيقة علمية واستندت اليها عشرات السنين للحد الذي قدمت على اساسها عشرات النظريات والفرضيات الأُخرىٰ. ولكن، ومع تطور العلوم، ظهرت الحقيقة بالتدريج وبان خطأ « النظرية الأم »، وعلىٰ حدٍّ قول عالم الاحياء الفرنسي المشهور الدكتور الكسيس كارل[1]:

«ليس من الضروري ان تكون الحقيقة بسيطة علىٰ الدوام وقابلة للفهم بالنسبة لنا»[2].

---

(١) Dr. Alexis Carrel.

(٢) الانسان ذلك المجهول.

وفي تاريخ الحياة الانسانية نشاهد العديد من النظريات العلمية ظهرت علىٰ انّها قواعد علمية واقعية لفترة طويلة بين العلماء ، وكانت ملاكاً لصحّة وفساد المسائل الأُخرىٰ ، لكن، وبمرور الايام ، ثبت بالتدريج مخالفتها للواقع ، ومن انها لم تكن سوىٰ نظرية .

أحد النماذج التامة فيما نتحدث عنه هو قصة الذرّة ، لقد كانت الذرّة لسنوات طويلة غير قابلة للتقسيم عند الفلاسفة والعلماء ، وكان « موقريطس »[1] أوّل من قال أنّ ظواهر العالم تتألف من أجزاء صغيرة غير قابلة للتجزئة والتقسيم، (وقد سمي فيما بعد ذلك الجزء غير القابل للتقسيم ذرّة).

بقيت هذه النظرية مقبولة علىٰ مدىٰ قرون من قبل الكثير من الفلاسفة والعلماء ، وكان في عداد حقائق العالم العلمية ، ومع تطور العلم ، اصبح عصرنا ينظر الىٰ تلك النظرية كأسطورة لا اكثر ، بل تم عملياً شطر الذرة والاستفادة من طاقتها المتحررة ، للحد الذي ارعبت قدرتها التخريبية العالم.

وحقيقة ان الانسان جائز الخطأ وليس مصوناً منه يمكن تعميمها لتشمل العلماء ايضاً ، والاعترافات التي يبدونها حول امكان خطئهم طريفة جداً، هنا ننقل بعض ذلك:

---

(١) لابد من الاشارة الىٰ ان عالماً باسم « ليوسيبوس » طرح أصل نظرية الذرة وتكون جميع ظواهر العالم منها ، وذلك قبل دموقريطس ، لكن الاخير قام بأكمال تلك النظرية .
تاريخ التطورات الاجتماعية ، ص ١٧٦ ، تأليف : متروبوسكي .

يقول عالم الرياضيات المعروف ، البرت انشتاين :

«يندر ان نجد اليوم عالماً يعتبر المواضيع التي يصل اليها حقائق نهائية. بل العكس نجد اصحاب النظريات المهمة مثل نيوتن[1] يذعنون ان مايرونه واضحاً اليوم لربّما يكون مبهماً وغير واضح بالنسبة للاجيال اللاحقة ، ولربّما سينظر اخلافنا الىٰ اعمالنا بنفس العين التي ننظر فيها نحن الى اسلافنا »[2].

ويقول احد الكتاب الفرنسيين :

«الجميع يمكن ان يخطأوا . ولربما يخطىء العالم الكبير في حكمه ، وقد رأينا خطأ جميع اعضاء مؤسسة علمية في مبحث تخصصي بالنسبة لهم ... لذلك يجب ان لا نعتبر فتاوىٰ العلماء والمفكرين حتىٰ تلك التي ضمن اختصاصاتهم حجة لا يمكن الزيغ عنها . ويبقىٰ الزمان هو المحك الاساس في اختبار هذه الموارد »[3].

مجهولات الانسان

الىٰ هنا من البحث تكلمنا عن امكان خطأ العلماء وعدم حصانتهم قباله؛ أي أن بعض العلماء أو مجموعة منهم لربما تصوروا انهم توصلوا الىٰ حقيقة ما واستطاعوا كشفها ، لكن واقع الامر هو غير ذلك ، هنا نضيف الىٰ المسألة حقيقة

---

(١) Newton .

(٢) العالم وانشتاين : ١٣٠ .

(٣) صحيفة اطلاعات، العدد ١١٧٦٠ ، بتاريخ ٢١ / تموز / ١٩٦٥ .

اخرىٰ ذات دائرة لشمولية أكبر ، وتلك الحقيقة هي المجهولات التي يواجهها العلماء ، ففي عالمنا العديد من الاسرار والحقائق لا تزال يد الفكر والكشف الانساني لم تَطَلْها .

أحد رفاق السفر : أيُّها العمّ العزيز ، لا تنظر الىٰ الأُمور التي نجهلها نحن ، لانّ كلامنا يدور حول كبار علماء العالم ، الذين لا يعرفون ابداً لفظة « لا علم » أو «أجهل ذلك » !

الشيخ : أيُّها السيد المحترم ، أنا مضطر لحمل كلامك هذا من باب التفاؤل غير المنطقي بعلماء العالم ، لان الظاهر انك تحدثت دون دراسة ودراية .

صديقي العزيز ! لو طالعت كتب العلماء ، ومؤلفاتهم لوجدتهم يعترفون بجهل الكثير من حقائق العالم ، وهذه حقيقة الىٰ جانب كل حقيقة علمية تكتشفها ، فعندما نصل الىٰ كشف معين نواجه عشرات الاسئلة ، والمجهولات الجديدة ، وبهذه الكيفية ليست هناك حقيقة موضوعية واحدة في عالم الوجود مكشوفة جميع قضاياها بشكل عام ، ومن أجل اثبات هذا الادعاء ، نورد بعض اعترافات اعظم علماء عصرنا حول مجاهيل العالم :

يقول عالم الفيزياء المعاصر البرت انشتاين[1] في احدىٰ مؤلفاته :

«وعلىٰ الرغم من المعلومات التجريبية التي حصلنا عليها فيما يتعلق بنواة الذرة ، لكننا لا نزال في ظلمة مطلقة فيما يتعلق بالعديد من المسائل

---

(١) A . Enshtien.

المرتبطة بهذا الجزء»[١].

ويقول الفيلسوف اليوناني اشين [٢]:

« الآن قد بلغت الشيخوخة ، كنت اتصور انني تعلمت ما كان عليّ ان اتعلمه ، ولم يبق شيء مجهول بالنسبة لي ، لكني ارىٰ انني لا افهم شيئاً ، فأنا اعجز عن ادراك وفهم الذرّة ، لكنني عندما كنت شابّاً ورغم ان معلوماتي كانت قليلة ، كنت اتصور انني اعلم كل شيء » .

ويقول العالم الانجليزي المعروف اسحاق نيوتن [٣]:

« كأنني طفل صغير يقف علىٰ ساحل بحر ، يرىٰ احياناً حجراً أو رملاً براقاً ، لكنَّ امامه بحراً عظيماً من المعرفة مجهولاً » .

ويقول احد فلاسفة بريطانيا المعروفين وهو ليدج [٤]:

« ان الذي نعلمه حالياً ضئيل جداً مقابل ما يجب علينا معرفته ، لربما يردد هذه الكلمات البعض دون الايمان بها ، لكني اقولها مؤمناً بها تام الايمان ، والذين يرون العلم في المعلومات الحالية فقط ، هم في الحقيقة خانوا اولئك الذين ناضلوا في سبيل المعرفة » .

---

(١) تكامل علم الفيزياء ، ص ٢٦٦ .

(٢) Echin.

(٣) Nivoton ، الدكتور اراني أيضاً قال بذلك، لكنه أخذه من نيوتن .

(٤) Ledeg.

لا أعلم

يقول الدكتور الكسيس كارل[1]:

(لم تتطوّر العلوم التي تتحدث عن الكائن الحيّ بشكل عام وعن الانسان علىٰ نحو خاص كثيراً ، ولازالت في مرحلة الوصف).

ويضيف في بحث آخر:

(مع ان البشرية بذلت جهوداً كبيرة لنفسها، ومع اننا اليوم نرث خزائن من دراسات العلماء والفلاسفة والعرفاء والشعراء ، لكن معلوماتنا لا تزال ضئيلة ووليدة الأساليب العلمية التي اخترعناها نحن انفسنا ، ولا زالت حقيقة وجودنا مجهولة بين الاشباح التي صنعتها ايدينا ، والحقيقة ان جهلنا بانفسنا كبير ولا زالت نواح كثيرة من عالمنا الداخلي غير معروفة بالنسبة لنا ، كما لازالت اكثر التساؤلات التي يطرحها الباحثون في حياة الانسان متروكة دون جواب).

ثم يطرح الدكتور كارل بعد ذلك تساؤلات لم يستطيع العلم المعاصر الاجابة عليها رغم تقدمه، يقول الدكتور كارل :

(لا نزال نجهل كيفية ارتباط الاعمال النفسية بالخلايا المخية ، بل ولا زلنا نجهل الفيزيولوجيا الحقيقية لخلايا المخّ ، فما هي حدود سيطرة الارادة علىٰ الجسم ؟ لا نعلم .

كيف يؤثر وضع الاعضاء على حالتنا النفسية ؟ لا نعلم .

ما هي العلاقة بين نمو العظام والعضلات واجزاء الجسم الأُخرىٰ بالنشاط

---

(١) الانسان ذلك المجهول .

النفسي والروحي ؟ لا نعلم .

وما هو العامل الذي يضمن توازن الجهاز العصبي ومقاومة الجسم امام الامراض والارهاق ؟

وما حجم الاهمية النسبية للنشاطات الفكرية والاخلاقية والجمالية والعرفانية في حياتنا ؟ لا نعلم) .

في النهاية وبعد طرحه للعديد من التساؤلات ، يقول :

(هذه والعديد من التساؤلات الأُخرىٰ التي يمكن طرحها علىٰ اساس القضايا التي تهتم بها الانسانية ولكن دون الاجابة عليها) .

بعد ذلك أيضاً يتحدّث الدكتور كارل في بحث آخر عن الفكر وتأثيره والعوامل المكونة له والقضايا المرتبطة به ويطرح تساؤلات اخرىٰ ، ثم يقول :

(هناك فلاسفة كبار في كل عصر وفي كل بلد ، صرفوا سنوات عمرهم لحلِّ هذه القضايا ، لكن أيّاً منهم لم يوفّق في حلِّ هذا اللغز) .

فيلسوف آخر من المعاصرين يقول في مقدمة كتاب له ، وبعد طرح سلسلة من التساؤلات الفلسفية المتنوعة :

(المسائل التي ذكرتها هي الموضوع في الفلسفة القديمة والجديدة ، الشرقية والغربية ، لقد ضلت هذه الافكار في مخيلة البشر منذ ظهورهم ، ومن اجل فهم هذا السرِّ استخدموا جميع الطرق من العقل والفكر والشعور والتجربة الىٰ الوهم والخيال في اليقظة والمنام ، لقد تجاوز عدد فلاسفة كل عصر عشرات بل مئات الآلاف اما وزن الكتب التي ألفوها فهو بالاطنان ، وقد بقيت منهم

كلمات كثيرة ومتنوعة لا يمكن احصاؤها ، لكنهم يتفقون في واحـدة ، وهـي خلاصة وحصيلة جهودهم ، تلك الجملة هي: « لا نستطيع ان نفهم »[1] .

أصدقائي الاعزاء !

اذا اردت ان انقل لكم نماذج من اعترافات اشهر العلماء فيما يتعلق بالمجهولات البشرية ، سوف احتاج الىٰ اطنان من الورق !

خلاصة الكلام ، فيما لو سألتم اعظم بروفسور أو فيلسوف أو افضل عالم في الكيمياء أو الفيزياء : هل هناك ما يجهله الانسان ولم يُحط به علماً ؟

بالتأكيد سوف يجيبكم مستهزئاً : ما هذا السؤال الساذج ؟ هذا سؤال الأطفال .

أيُّها السادة !

لكم الآن ان تحكموا : هذا العالم المليء بالالغاز والتعقيد ، العالم الذي يعترف كبار علمائه بالمجاهيل التي لا زال البشر لا يستطيع الوصول إليها ، كما انه لا يعرف متىٰ ستحلُّ بالنسبة له ، أليس بعيداً عن العقل والمنطق ، ان ننفي قانون مسلَّم جاء به الاسلام ، ذلك الدين المقدّس الذي لا يخفىٰ دوره في حياة الانسانية العلمي ، لمجرد إنّ أحد العلماء لم يستطيع فهمه أو انه لم يرَهُ مطابقاً

(١) فيلسوفي الشرق والغرب .

لبعض القواعد العلمية الناقصة أو بعض النظريات العلمية المعاصرة ؟!

رفيق السفر : من باب الانصاف ، الحق ما تقوله ، لكن ذلك بالنسبة للذين يمتلكون عقلاً سليماً ، وليس لمجموعات تتحرك عقولها الناقصة بصعوبة في ضجيج الحضارة المعاصرة .

تأييد الجميع : لا يحق لأي شخص التدخل في أي عمل .

الشيخ : لا شك ان بلدنا فيه الكثير من المتعلمين والفضلاء والمتخصصين في شتىٰ المجالات ، لكن الطامّة الكبرىٰ هي ان الشخص الذي يتخصّص في احد الفروع العلمية، يتصوّر عقله معياراً لجميع حقائق العالم ، لذلك تراه يتدخل باستعجال خاص في كل موضوع ويسمح لنفسه بالحكم فيه ! فإذا تخصّص شخص في مجال الطب وحاز علىٰ شهادة دكتوراه في الطب بعد اتمامه فترة الدراسة ، فإن بعضهم يتصوّر انه سيكون بالاضافة الىٰ انه طبيب جيد ، مهندساً وتاجراً وقاضياً ومجتهداً وسياسياً ومزارعاً و ...الخ ، جيداً أيضاً ، لذلك فهو يحاول حل مشكلة كلّ تخصص بعقله هو ، وإذا ما لم يستطع عقله حل تلك المشكلة أوفهمها . سوف ينفيها ولن يقبل بها ، غافلاً عن ضرورة الرجوع في كل مشكلة الىٰ المتخصص فيها ، وانه لا يحق لأي شخص التدخل في اي مسألة .

خطأ اديسون (١)

يقول الدكتور الكسيس كارل ضمن احد المواضيع :

---

(١) Edison.

« المتخصّص في مجال معين لا يحق له التدخل في مجال آخر لا يمت اليه بصلة » .

وفي موضع آخر يقول :

«العلماء الذين يمتازون علىٰ غيرهم بواسطة كشفياتهم واختراعاتهم ، يتصورون انهم متبحرون في سائر المجالات كما هو الحال في مجال تخصصهم ، علىٰ سبيل المثال ، « اديسون » احياناً كان يتحدث للناس عن الفلسفة والدين ويطرح نظريات في ذلك ، فكان الناس يستمعون باحترام الىٰ آرائه لاعتقادهم بتبحره في هذين المجالين ايضاً ، لانه كاشف ومخترع كبير .

وبهذا الشكل نرىٰ ان بعض العظماء الذين مهدوا السبيل لرقي وتقدم البشرية من خلال اختراعاتهم وعلومهم ، يصبحون من جهة اخرىٰ سداً امام ذلك التقدم عندما يتكلمون في مجالات ليست من اختصاصهم وليسوا ملمين بها جيداً »(١) .

اصدقائي الاعزاء !

في ضوء ما قلته ،اليس من العجيب ان تنظروا الىٰ الدين الاسلامي المقدس والملتزمين به نظرة تشاؤمية بهذاالشكل ؟! في حين وعلىٰ حدّ قولكم انكم لم تطالعوا علىٰ مدىٰ حياتكم كتاباً في التعاليم الدينية وكذلك لم تلتقوا بعالم دين ولا اي مسلم واع يحملان معلومات وافرة عن الاسلام .

---

(١) الانسان ذلك المجهول .

ورغم ذلك ، تنفرون من الاسلام وتحقدون عليه للحد الذي اغضبكم وجودي معكم لفترة يوم واحد في هذا القطار لأن مظهري يوحي بأني متدين، بشكل اخذتم بالاستهزاء بي، وعدم احترام شيبتي، وصرتم تتهامسون وتتغامزون فيما بينكم ؟! فمرّة تشيرون الىٰ قبعة الصوف التي اضعها علىٰ رأسي، وأُخرىٰ تتضاحكون علىٰ لحيتي .

أيُّها السادة :

انا وكما تقولون رجعي، أمّا أنتم المتربّون في أحضان الحضارة الغربية، لماذا كل تلك التصرفات القبيحة وغير الصحيحة ، علىٰ رجل لم تكونوا تعرفونه ولا رأيتموه من قبل ولم يصدر منه ذنب أو خيانة ؟!

هل هذه هي الحضارة التي ابتلينا بها والتي لا تستيطع ان تربي ابناءها إلّا بهذا الشكل ؟!

رفاق السفر : كان لكلام الشيخ تأثير قوي في نفوسهم ، اخذ بعضهم ينظروا الىٰ بعض ويوافقون الشيخ كلامه ، واعتذر كل واحد منهم مباشرة من الشيخ بكلمات ودّ واحترام خجولة عمّا بدر منهم من قبل ، ثم قالوا : من دواعي سعادتنا ان نلتقي شخصاً عالماً مثلك، نأمل ان نسعد ونستفيد من وجودك خلال هذه السفرة القصيرة ـ للأسف ...

ودار حديث بين رفقة السفر : قال أحد الرفاق :

اصدقائي ! أتصوّر انّنا اليوم أُتيحت لنا فرصة مناسبة، بوجود هذا الشيخ

العالم الذي يجب علينا احترامه ، للبحث والكلام حول الاسلام وقوانينه ، لكي نطلع علىٰ منطق الدين والمؤمنين به .

باقي الاصدقاء : أنّنا سعيدون باقتراحك هذا ، ونستقبله بكل شوق ، لان ما تحدث به الشيخ يظهر فضل هذا الرجل وسعة اطلاعه بالاسلام وغزارة علمه .

الشيخ : من دواعي الاعتزاز ان تحيطوني بكل هذا اللطف والود ، ولكن قبل البدء بالبحث ، ومن أجل تطبيق حكم الاسلام الاخلاقي في التعامل مع الاشخاص ، لابدّ من ان نتعرّف علىٰ بعضنا ، لكي نبدأ هذا البحث والمناظرة بجو من الود .

التعارف

فيالبداية ، اعرف لكم نفسي ، اسمي تقي رستگار من مدينة همدان ، مهني.

احد الحاحزين : انا رضا سخنوّر ، أحمل شهادة الدكتوراه في القانون .

الثاني : احمد تاجور، ضابط برتبة عقيد .

الثالث : حسن سماوي ، طالب في كلية الطب .

الرابع : علي امامي ، موظف في دائرة المخازن (السايلو) .

الخامس : عباس بيضاوي ، رئيس دائرة التربية والتعليم في بندر شاه .

الشيخ : من دواعي السرور ان اكون برفقة مجموعة من المتعلمين والمطلعين علىٰ العصر ، خاصة سعادة السيد الدكتور رضا سخنور الذي يحمل شهادة في القانون والذي سنستفيد كثيراً من آرائه في بحثنا (البحث في قوانين الدين الاسلامي المقدّس) . فهو يستطيع ، ومن خلال المامه الواسع بالقانون ، ادراك القيمة الحقيقية للقوانين الاسلامية، من مقارنتها بقوانين الشعوب المتقدّمة في العالم .

الدكتور : يا عمّ ! أودُّ في البداية ان نتحدث حول الرسول محمد صلى الله عليه وآله وموضوع نبوته ورسالته ، لكي نتناول فيما بعد مسألة القوانين الاسلامية ، بعد ان ترتفع الشبهات العالقة في اذهاننا (انا وسائر اصدقائي) حول النبوة .

محمد ﷺ رجل فذّ

الشيخ : سعادة الدكتور ! من اجل توضيح الموضوع الذي سألتموه ، لا بدّ من بحث عدة نواحي، لكي نصل الىٰ هذه النتيجة وهي إنَّ محمّداً ﷺ رجل فذّ في تاريخ الانسانية، ورسول من جانب اللّه سبحانه وتعالىٰ، وإنّ القوانين التي جاء بها الىٰ البشرية ، جميعها أُوحيت إليه من قبل رب العالمين ، وهذه النواحي التي لابدّ من بحثها هي بالترتيب التالي(١):

أ ـ وضع الرسول محمد ﷺ قبل فترة الرسالة .

ب ـ البلاد التي ولد ونشأ فيها الرسول ﷺ من حيث الجغرافيا والسكان.

جـ ـ دراسة مختصرة في وضع القوم الذين نشأ وعاش رسول الاسلام بينهم .

الناحية الأُولىٰ: ولد محمد بن عبداللّه ﷺ من اسرة طاهرة وشريفة في مكّة ، ولأن أُمّه آمنة عليها السلام لم تستطع ارضاعه لشحة حليبها ، فقد اعطاه جدّه

---

(١) في هذا الصدد يمكنكم الرجوع الىٰ كتابنا « القادة الصديقون » (بالفارسية) فقد بحثت هذه المسائل بالتفصيل هناك .

عبد المطلب إلىٰ مرضعة تسمىٰ حليمة السعدية[1] حتىٰ ترضعه ، فأخذته الىٰ قومها وبقي مع تلك القبيلة حتىٰ بلغ الخامسة من العمر، وبعد ذلك عاش مع جدّه عبد المطلب ثلاثة سنوات ، ومنذ سن الثامنة حيث توفي جدّه عبد المطلب ، عاش في كنف عمّه أبي طالب حتىٰ بُعث بالرسالة وهو في سن الأربعين ، إلّا انّ ما يهمنا من ذلك هو أنّ محمداً صلى الله عليه وآله لم يرسل الىٰ مدرسة، ولم يدرس عند أي استاذ إلى أن بُعث رسولاً ، وخلال تلك الاربعين سنة لم يقرأ ويكتب سطراً واحداً ولا كان يدعي ذلك ، وهذا ما يعترف به جميع المؤرخين واصحاب السير. وانما كانت له حياته العادية كسائر العرب (سوىٰ انه لم يرَ منه ذنب أو خيانة في كل فترة حياته) ، وهنا يكمن السرّ، فلو كان محمد صلى الله عليه وآله قد ذهب الىٰ مدرسة أو تتلمذ علىٰ يد احد العلماء ، لربما شُكَّ في الأحكام التي جاء بها كنبي .

﴿وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون﴾[2] .

وهذه القضية من أهم القضايا التي احتارت الدنيا بتفسيرها وجعلت علماء العالم يستسلمون أمامها ، لأنه لم يسبق ان رأت البشرية شخصاً أُمّيّاً ينشأ في بيئة مثل الجزيرة العربية وبعد أربعين سنة من حياة عادية ، يأتي وكرجل إلهي ومرسل من قبل اللّه بأحكام وقوانين لسعادة الانسان، وبعد اربعة عشر

(١) حليمة ، امرأة من قبيلة بني ساعدة التي تسكن اطراف مكة المكرمة ، وكانت قد جاءت الىٰ مكة بعد القحط الذي أصاب قبيلتها ، لأخذ طفل ترضعه ، فتنال من عملها ذلك مالاً ترمّ به معاشها .

(٢) سورة العنكبوت : ٤٨ .

قرناً عجز البشر ان يأتي بمثلها وبعظمتها رغم جميع التطورات العلمية والفكرية التي حدثت .

أجل ، فهذا الأمر هو اكبر دليل علىٰ ان الرجل كان رسولاً من قبل ربّ العالمين، وانه كان مرتبطاً بمبدأ الوحي .

التشريع في عالمنا المعاصر

اصدقائي الاعزاء !

رغم اننا نعيش في عصر العلم والمعرفة ، وقد وصل فيها البشر الىٰ كل هذا التطور العلمي ، إلّا انّ تدوين مادة قانونية في الدول المتقدّمة يحتاج الرجوع الىٰ أصحاب الاختصاص والعلماء الكبار واساتذة الجـامعات ، وهـؤلاء بـعد مشاورات عديدة يـقدمونها عـلىٰ شكـل لائـحة الىٰ البـرلمان ، هـناك ايـضاً يطرحونها في لجانهم المختصّة[1] وبعد مداولات عديدة تـطرح اللائـحة فـي البرلمان للتصويت عليها ، فيتكلم العديد من النواب حولها[2] ثم يصوت عليها بعد ان صرفت اموال طائلة من اجل وضعها ، هذه المادة وبعد فترة قد تكـون شهراً أو بضع سنين وعندما تظهر نواقصها الواحدة بعد الأُخرىٰ ، يجبرون علىٰ الغاءها .

فهذا هو الاسلوب المتّبع في التشريع اليوم في العالم المتحضر الذي ينظر

---

(١) Fraction .

(٢) هذا الكلام يصدق في الدول التي ينتخب فيها اعضاء البرلمان بشكل حرٍّ ومـن قـبل الشعب ، وأن يكون الانتخاب ايضاً علىٰ اساس العلم والكفاءة والاخلاص ، وليس في الدول التي تحكمها دكتاتوريات فردية تتسلط علىٰ مـقدرات الشـعوب ، والتـي فـيها الاجهزة التنفيذية والتشريعية والقضائية الاّ ديكورات وكاريكاتورات ليس إلّا .

الىٰ الأُمور من زاوية العلم .

نظرة الىٰ عالم الامس

مع الأخذ بأسلوب التشريع في عـالمنا المـعاصر ، نـنظر الىٰ الوراء الىٰ عالم الظلمات قبل الف وأربعمائة سنة ، في ذلك العـصر لم يكـن هـناك عـلم ومعرفة فاكـثر البـلدان تـطوراً آنـذاك ـ مـثل ايـران ـ كـانوا بـمستوىٰ مـن الانحطاط الفكـري بـحيث يـعبدون النـار ، وفـي ذروة تـطورهم أي العـصر الساساني كان تحصيل العلم والمعرفة مقتصراً علىٰ أبناء الأُمراء وعلماء الدين المجوسي ، في حين انّ بعض البلدان الأُخرىٰ كانوا يعبدون البقر ! فقد كـانت آفاق افكارهم محصورة بشكل يصنعون من التمر آلهة يأكلونها إذا ما جاعوا ، فكانوا يحضرون تمراً من جديد ويصنعون آلهة أُخرىٰ للاستغفار أمامها عـلىٰ ما قاموا به .

وفي تلك الحقبة المظلمة ظهر رجل يسمىٰ محمد بن عبد اللّه صلى الله عليه وآله بذلك الماضي الذي ذكرناه عنه، كرسول من قبل اللّه عزّ وجلّ ، وجاء بأحكام وقوانين للبشرية جعلت عصر الذرة الحالي يستسلم امام دقتها العلمية ، فإذا كنّا اليـوم نشاهد في بعض الموارد قوانين مشابهة لقوانين الاسلام وذلك في اكثر الدول تقدّماً ، فهذا لا يبعث علىٰ العجب ، لانّنا نعيش في عصر العلم والمعرفة ، في حين ان العصور الماضية كانت مظلمة مليئة بالجهل والخرافة .

فلو استطاع اشـخاص اليـوم التـعليم وقـضوا عـمرهم فـي المـدارس والجامعات وزوايا المكتبات ، فقرأوا لكبار العلماء ، ونشأوا في بيئة ساعدتهم

في تنمية افكارهم، هؤلاء الاشخاص لو تمكنوا من الوصول الىٰ حـقائق فـي عالم الوجود ، او قاموا بوضع قانون ذا فائدة فهو ليس امراً مستغرباً وليس كما يسمىٰ « طفرة علمية»، لأن عملهم ذلك يتناغم وينسجم مع المرحلة التاريخية والظروف البيئة والثقافية والاجتماعية التي يعيشونها .

لكن إذا ظهر شخص أُمّي في عصر مظلم قبل الف واربعمائة عام ومن بيئة متوحشة وملوّثة بمعنىٰ الكلمة ، وتمكن من ايجاد ذلك التغيير الفكري والعلمي في العالم الذي يتّسع شعاعه بمرور الأيـام والقـرون ، وكـلّما اتّسـعت دائـرة العلم والمعرفة ، اتّضحت عظمة الاسلام العـلمية مـع تـطور العـلم فـي شـتىٰ المجالات ، فهذا هو الذي يبعث علىٰ العجب والدهشة ، وهـو الذي لم يسـبق ان حدث مثله .

مثل هذه الحادثة ، ومع الأخذ بالحالة الثـقافية ، والظـروف التـاريخية والاجتماعية لذلك العصر ، لهو دليل قاطع في ان الذي جاء بكل تلك القوانين مرسل من جانب الله سبحانه وتعالىٰ ، وانه يوحىٰ اليه من مبدأ العـلم المـطلق (اللّه)، لأن ذلك غير ممكناً بالحسابات المادية ، وهو كيف يمكن لرجل أُمّي أن يؤسس ديانة علمية تتعامل وواقع العالم والانسانية ، فهذا الامر حتىٰ في البيئة العلمية والثقافية تماماً غير ممكناً .

فلو كانت القضية « نبوغاً فكرياً » وتتعلّق بالظروف البيئية ، لحدث مثل ذلك ولو لمرة أُخرىٰ في تاريخ البشرية ، لكن هذا الامر لم يحدث في اكبر واهم المراكز العلمية وبين من لهم افضل الظروف العلمية والفكرية، فضلاً عـن ذلك العصر المظلم وتلك البيئة المتخلفة ، وهذا دليل قاطع علىٰ ارتباط الذي جـاء

بتلك القوانين والاحكام بمبدأ العلم ومصدره ، أي رب العالمين، فهو نبي وما يقوله هو وحي إلهي :

﴿وما ينطق عن الهوىٰ إنْ هو إلّا وحي يوحىٰ﴾[1]

اعتراف الدكتور لورافاكسيا فاغليري

الدكتور لورافاكسيا فاغليري ، البروفيسور الايطالي المعروف واستاذ جامعة نابل ، يقول في كتابه حول القرآن : (نشاهد في هذا الكتاب خزائن وذخائر من المعرفة فوق قابليات واستعداد اذكىٰ الاشخاص واعظم الفلاسفة واقوىٰ رجال السياسة ، ولذلك لا يمكن ان يكون القرآن نتاج رجل متعلم ، افنىٰ عمره في مجتمع غير ديني ، لأن هذا الأمر لا يقوىٰ عليه رجال العلم والدين ، ذلك الرجل كان يؤكد علىٰ الدوام انه بشر مثل الآخرين ، لذا فبدون الله القادر لا يستطيع القيام بأية معجزة ، ومصدر القرآن ومنشأه لا يمكن ان يكون غير اللّه الذي احاط بعلمه السموات والارض وما بينهما) .

اصدقائي الاعزاء !

حقيقة الأمر هي كما قال الدكتور فاغليري ، لأنّه إذا أراد شخص ان يصبح عالماً كبيراً ومعروفاً في عصرنا من خلال الانصراف بجميع سنوات عمره الىٰ كسب العلم ، فأن تخصصه في النهاية ايضاً سيكون في فرع معين، فهو اما طبيب ـ مثلاً ـ أو خبير اقتصادي ، او عالم في القانون أو صاحب رتبة عالية في الجيش

---

(١) سورة النجم : ٣.

أو ...الخ ، فلا يمكن ان تجدوا اليوم في كل العالم شخصاً تخصص في مختلف الفروع والمجالات .

لكن رسول الاسلام العظيم ﷺ ، كان فرداً بلا مستشار ، جاء من قبل الباري عزّ وجلّ تلك القوانين المتنوعة ، من المسائل العبادية حتىٰ المسائل القانونية، ومن الاحكام الفردية حتىٰ المسائل الاقتصادية والاجتماعية ، وجميعها علىٰ اساس مسلّمات حقائق عالم الوجود .

أليس ذلك دليل علىٰ ان محمداً ﷺ رسول من قبل رب العالمين ، وليس عصارة ظروف تاريخية خاصة ؟!

الدكتور : النقطة التي اشرت اليها جديرة جداً بالالتفات ، لأننا نرىٰ في اكثر دول العالم تقدماً ، يوجهون كل فرد أو مجموعة الىٰ مجال معيَّن ، فالقضايا القانونية ـ علىٰ سبيل المثال ـ يوكلونها الىٰ اصحاب الاختصاص في القانون . ولم نشاهد الرجوع اليهم في قضايا الاقتصاد او الامور العسكرية . لأنهم لا يملكون معلومات فيها . اما فيما يتعلّق بالرسول محمد ﷺ فكما تفضلت ، لم يحدث ذلك من قبل وهو أن يأتي شخص و يقدم للبشرية قوانين محكمة وغير قابلة للأنكار في جميع المجالات .

الشيخ : أجل، هكذا الدين الاسلامي ، له قوانين حيةّ وغنية في مختلف شؤون الحياة الاجتماعية والسياسية والأقتصادية ، وهو ما يميّز ديننا عن سائر الأديان ، ويقدّمه عليها .

فالانجيل ـ مثلاً ـ الذي يعتبر الكتاب الديني المقدّس لجميع الدول الغربية، اذا تصفحتموه بدقّة ستجدون اكثر احكامه اخلاقية ، ويحتوي

علىٰ مباحث روحية ، بحيث لو تركت البلدان الغربية قوانينها الاجتماعية وارادت ان تعمل علىٰ ضوء تعاليم الانجيل، ستشلّ وتقف عن الحركة جميع مؤسساتها ومرافقها الاجتماعية والاقتصادية ، وستسقط دفعة واحدة، لانّه لا نجد في الانجيل كلّه حتىٰ خمسين مادة قانونية حول القضايا الاجتماعية[١].

في حين ان الدين الاسلامي المقدس ، ليس فقط يملك اسمىٰ التعاليم الاخلاقية والروحية ، بل ان قوانينه واحكامه تشمل جميع المجالات ، مثل : الزراعة والاقتصاد والسياسة والأُمور العسكرية والجيش والصحة والثقافة والتجارة والقضاء . وبشكل عام فهو يمتلك كل وافضل القوانين التي تحتاجها أُمة متحضرة ، حتىٰ في السباقات .

محطة بندرگز

في تلك اللحظة وصل القطار الىٰ محطة بندرگز ، كانت جماعة من الناس مستعدة للركوب، ومجموعة من المسافرين أيضاً مستعدة للنزول، ولذلك اختل النظام العادي في القطار .

شرطي المحطة واقف الىٰ جانب السلم، ويصيح : أيُّها السادة أرجو منكم مراعاة النظام ، افسحوا المجال للمسافرين يخرجون من داخل القطار ، ومن ثم اصعدوا .

---

(١) لدراسة محتويات التوراة والانجيل ومقارنتها بالقرآن، يمكنكم الرجوع إلى كتاب «الانسان وسائر الكتب السماوية» . (بالفارسية)

ولكن لم يكن احد يستمع اليه في تلك اللحظات ،فكرر الشرطي : أيُّها السادة ارجو ان تراعوا القانون ، لماذا تصعدون ، فلا زالوا لم ينزلوا ؟!

اهانة عقيد لسائق سيارة اجرة

أحد المسافرين كان يحمل حقيبة بيده وهو مستعد مع أخيه للصعود ، قال: دعك من هذا غفر اللّه لك ، اين يُراعىٰ القانون في هذا البلد ، حتىٰ يُراعىٰ هنا بجنب سلّم القطار، إذا كان حقيقاً ما تدّعي اذهب وقل لمرؤوسيك ان لا يتصرفوا خلاف القانون .

فقال الشرطي : ما هذا الذي تقوله ؟

المسافر : ليس قول وإنّما حقيقة.

في هذا العام كان أحد اصدقاءنا يقود سيارته في احد شوارع طهران وفجأة استدارت سيارة خاصة امامه ، لم يكن يبق شيئاً ان يتصادما ، فضغط صديقنا علىٰ الكابح وأوقف السيارة قبل ان تصطدم بتلك السيارة المخالفة، ممّا ادىٰ الىٰ جرح احد الركاب الذين كانوا معه برأسه ، فنزل من سيارته واتّجه الىٰ سائق تلك السيارة فوجده يحمل علىٰ صدره واكتافه طناً من الميداليات والأوسمة وإلىٰ جانبه سيدة نصف عارية ، فقال له: أيُّها السيد المحترم ، ما هذا الذي عملته ، لماذا استدرت هنا؟

صدقني أيُّها الشرطي ! ما ان أتم كلامه حتىٰ أتته صفعة قوية من ذلك

الرجل ، فردّها صديقنا المسكين إليه بصفعة مماثلة .

عند ذلك قال له الرجل : يجب ان نذهب الىٰ مركز الشرطة ، فقبل صديقنا بذلك ، وذهبوا جميعاً الىٰ هناك ، وما أن وصلوا المركز حتىٰ رأىٰ صديقنا ان جميع الضباط والشرطة قد وقفوا احتراماً لذلك الرجل ، فتبيّن ان ذلك الرجل برتبة عقيد .

فأمر الشرطة ، الذين قاموا بضرب صديقنا للحد الذي لم يتمكن النهوض من فراشه ليومين ، ثم أمرهم بحلق رأسه وسجنوه ليلة عندهم ، مع ان ضابط المرور كان قد أشار بالتقصير الىٰ العقيد ، فما كان عليه ان يستدير في ذلك المكان ، لكن سيادة العقيد لا يهمه القانون ، لانه يعتبر نفسه فوق القانون ، القانون يجب ان يكون للجميع وليس لي ولأمثالي من المساكين .

هنا قال اخو المسافر : أخي ، ما هذا الذي تقوله ، لا حاجة لنا بوجع الرأس ، فلو القوا القبض عليك الآن بتهمة الاستهزاء بالمقدّسات الوطنية ! والتجاسر علىٰ .... ، من الذي سينجيك ؟!

وبعد دقائق من التوقّف ، تحرك القطار ثانية وعاد النظام الىٰ ما كان عليه .

السباق في الاسلام

الدكتور ، وهو يلتفت نحو الشيخ ، قال : تذكر انك قلت بأن الاسلام دين جامع ، وان قوانينه شملت حتىٰ السباق ، هل كلامك ذلك حقيقة أم مزحة ؟

الشيخ : لم يكن ذلك مزحة ، ففي الفقه الاسلامي ، هناك كتاب بعنوان السبق والرماية، يتحدّث في مجموعه من قوانين السباق ، حتىٰ انه اقرّ جوائز للفائزين.

والسباقات في الاسلام مع انها اعمال رياضية وترويحية تماماً ، فهي توجد روح الشجاعة والشهامة عند الاشخاص ، فالسباق في الاسلام هو اسلوب صحيح واساسي لتربية جندي شجاع ومقاتل .

والسباقات في الاسلام هادفة ، وليست مجرد احتراف ، فسباق الرماية والفروسية في ألاسلام ، هما سباقان حقيقيان ، لكنهما في الوقت نفسه ، يربيان رجالاً شجعان وشباباً مقاتلين وسباقاتهما ليست كما في سباقات عالم اليوم .

فصاح الرفاق جميعاً : أيُّها العم ! هنا لم تكن منصفاً، لان عالم اليوم جدير بالاحترام والتقدير من حيث الرياضات المفيدة والسباقات الصحيحة التي نراها فيه!

الشيخ : ما يدعوني للأسف كثيراً ، هو أن ارىٰ العديد من المثقفين

والمتعلمين ايضاً، لا يستطيعون معرفه حقيقة الظواهر الاستعمارية المعاصرة من خلف اقنعتها التي تتستر بها ، ومواجهة الحقيقة كما هي بعيداً عن الضجيج الاعلامي الخادع الذي يحيط بها.

وللأسف، نشاهد في عالمنا المعاصر ، هذه الحقيقة المرّة وهي ان الألعاب الرياضية والسباقات اصحبت وسائل واوراق ضغط بيد القوىٰ الاستعمارية ، فتشغل الشباب المستعد عن الالتفات الىٰ اصل القضايا والمسائل المهمة في الحياة ، فضلاً عن الأموال الباهضة التي تصرفها الدول في هذه المجالات لتربية ابطال ومحترفين ، في حين ان شعوبهم يعانون من الفقر والمشاكل الاقتصادية الاخرىٰ.

وان جميع ما ذكرناه يرجع الىٰ طرف واحد من العملة ، أي الالعاب التي يمكن ان تسمىٰ صحيحة، اما الوجه الآخر لهذه العملة ، فلا يكن تسميتها الاّ « أعمال وحشية وخيانة » مثل : الملاكمة والمصارعة و...، تشاهدون في التلفاز وتقرأون في الصحف ، انهم يدعون اثنين من الشباب الاقوياء، والاصحاء باسم سباق الملاكمة ، فيبدأون بتوجيه ضربات ولكمات الىٰ جسدي بعضهما امام أعين آلاف المشاهدين مباشرة وملايين آخرين من خلال التلفاز ، وبعد عدة ادوار من الدماء والآلام ، يعلن احدهما فائزاً علىٰ الآخر ، وتقدم له جوائز تقدّر بملايين الدولارات ، لكي يرغب ويحث من جديد علىٰ علىٰ جريمة اخرىٰ . فهل شاهدتم ، حتىٰ في العصر الحجري (سوىٰ في تاريخ العبيد الذين يقاتلون حتىٰ الموت) ان يصفق للمجرم ، ويرغَّب علىٰ جريمة أُخرىٰ بالجوائز التي تعطىٰ له علىٰ جريمته الأُولىٰ؟!

فهل يمكن تسمية ذلك غير الجريمة ؟! وهل هذه وسائر الأعمال الوحشية الأُخرى، مثل المصارعة، نماذج للسباقات المفيدة والصحيحة !! الموجودة في عالمنا ، في حين ان الناس لا يسمحون لانفسهم النظر في حقيقتها الاستعمارية ، لأنها جاءت الينا باسم الحضارة والعصر الذهبي وعصر الذرّة !

حسن ، طالب الطب : صحيح ما تقوله ياعمّ ، هناك من السباقات والالعاب الرياضية اليوم ، كما وصفتها لكننا وللأمانة لا يمكننا انكار الالعاب المفيدة والصحية التي تمارس اليوم ، وهي مفيدة جداً لسلامة الجسم وقوة الاشخاص .

الشيخ : اساساً ، هذه الالعاب الصحيحة التي ذكرتها ، ليست جذابة ، والحقيقة هي ان الرياضات الحديثة المفيدة أيضاً لم تستطع ان تلعب دوراً مؤثراً في تقوية الشباب ، في حين ان مجموعة الالعاب الشعبية التي كان الناس يمارسونها بالامس اكثر تأثيراً في تقوية العضلات وتربية شباب اصحاء .

هنا ، نورد كلاماً من العالم الفرنسي الدكتور الكسيس كارل ، يقول الدكتور كارل في احدىٰ كتاباته :

(هناك اختلاف في الالعاب الحديثة رغم تنوعها مع الالعاب القديمة ولابدّ من الاشارة الىٰ ان طول اعمار الرياضيين والانسان الحديث لا يزيد علىٰ اعمار الناس السابقين، ولربما كانت اقصر منها ، كما ان قدرتهم في مواجهة الصعوبات ليست اكبر من الماضيين ، ولربما يمكننا القول ان الاشخاص الذين يستفيدون اليوم من تجارب الماضين في تقوية عضلاتهم واجسامهم اكثر

نجاحاً من غيرهم واقوىٰ في مواجهة الاعمال الشاقة وتغيرات الطقس ، في حين ان رياضيينا المعاصرين ومع مراعاتهم للأُمور الطبية في النوم والأكل والتمرين اليومي الاّ ان اعصابهم تضعف يوماً بعد يوم ويصبحون حساسين اكثر فلا يطيقون الاضطرابات العادية ولا الصعوبات التي تواجههم في العمل ، وبهذا كأنما فوز ونجاح التربية الحديثة أيضاً ليس كبيراً كما يرىٰ في الوهلة الأُولىٰ)[1].

هذا اعتراف احد كبار علماء اوروبا فيما يخص الالعاب الصحيحة والتمارين المفيدة في عالمنا المعاصر ، في حين ان اعمالهم الوحشية الاخرىٰ ، مثل : المصارعة أو الملاكمة وما شابههما ، لها حسابها الخاص .

اصدقائي الاعزاء !

نعود الىٰ موضوعنا السابق ، الىٰ ماقبل الف واربعمائة عام ، أي الىٰ ذلك العالم المظلم الذي لم يصله بصيص من العلم والمعرفة ، ففي تلك البيئة المتخلفة ، يظهر فرد أُمي يقدم للبشرية قوانيناً واحكاماً في جميع مجالات حياتها في السباق والرياضة ،أليس ذلك غريباً وألسيت هذه معجزة ؟!

أليس من الحق ، ان يخضع له ويستسلم امامه العديد من كبار علماء العالم، لكونه انساناً فذاً ورجلاً لم ترَ البشرية مثله علىٰ مرِّ تاريخها ؟!

---

(١) الانسان ذلك المجهول .

ارض الجزيرة العربية

الدكتور : الحقيقة ان مثل هذا الرجل فذّ لا نظير له ، بشهادة التاريخ وجميع أدوار العالم ، حتىٰ في الدول المتطورة والبلدان التي كانت مهد العلم والمعرفة، فضلاً عن أرض الحجاز القاحلة .

الشيخ : أجل ، ذلك الحدث عجيب ، خاصة في بيئة مثل الجزيرة العربية ، لأن البيئة لها تأثير كبير في تربية الافكار ، وهذا الموضوع ، اي الكلام عن اوضاع الجزيرة العربية من الناحية الاجتماعية ، هو المبحث الثاني ، الذي وعدتكم بالحديث عنه .

سعادة الدكتور ، تعلمون جيداً دور البيئة في تربية الافكار ونمو العقول وتأهيل اشخاص نوابغ ، فبعض المناطق تنمي خصال معينة في الانسان .

اما الجزيرة العربية ، فهي صحراء جرداء لاذعة ، جعلت شدّة الحرارة الحياة فيها صعبة للغاية ، وهي بيئة جهل وخرافة ، لانجد في تاريخها الكثير من العلماء والنوابغ ، فنتاجها يعد من النماذج السلبية في عالم الانسانية ، كانوا يعدون من ابطال التوحش والبربرية ، ومن مثل تلك البيئة ظهر رسول الاسلام ﷺ الذي اختاره الله لهداية البشرية وارشادها .

أجل ، لقد عاش الرسول ﷺ في تلك البيئة ، بين اولئك الذين كان وأد البنات من اعمالهم العادية ـ وتعلمون أيُّها الدكتور ـ ان الذي يكبر في بيئة

معينة، لابدّ وان يصطبغ بلونها فلا يمكنه ان يتجاوز آداب الناس واخلاقياتهم.

يقول الدكتور الكسيس كارل في هذا الصدد :

(قوة وضعف الظواهر النفسية في كل شخص تحدده بيئته النفسية ، فاذا كانت البيئة فقيرة ، لا ينمو بها ذكاؤه وحسن اخلاقه ، وإذا كانت البيئة سيئة ، فستكون تصرفاته كذلك .

فنحن في بيئتنا الاجتماعية نمثل الخلايا في داخل جسم الانسان ، فلا تستطيع تلك الخلايا تجاوز الظروف المحيطة ، فأعضاء الانسان تستطيع حفظه امام الهجمات المادية اكثر مما يحافظ عليه الشعور امام الميحط النفسي ، لأن عناصر الهجوم المادي تواجه الجلد كجدار محافظ للجسد وتواجه ايضاً افرازات الغدد المترشحة داخلياً وخارجياً ، في حين ان الحدود الشعورية علىٰ العكس ، مفتوحة علىٰ الدوام ، والروح الانسانية معرضة باستمرار لهجوم انواع العوامل الفكرية والروحية والاجتماعية التي تأتي من البيئة ، فتتكون شخصية علىٰ اساس طبيعتها ، اما صحيحة وسليمة أو مريضة وغير مستوية)[١] .

ويقول ايضاً في بحث آخر :

(بلا أدنىٰ شك يتأثر الفرد بالاشخاص الذين يعيش معهم فإذا كان معاشراً المجرمين والجهلة منذ الصغر ، فإنه سيكون ايضاً في المستقبل مجرماً أو جاهلاً) .

وعلىٰ اساس حساباتنا الطبيعية والعلمية ، فرجل مثل رسول الاسلام

---

(١) المصدر نفسه .

عاش اربعين سنة بين هؤلاء القوم المجرمين والمعطشين للدماء ، القوم الذين كان الشراب والقمار والنهب والقتل من اعمالهم اليومية ، لابد ان يكون على شاكلتهم .

لكن العجيب ان رسول الاسلام صلى الله عليه وآله ، لم تتلوث شخصيته رغم تلك الفترة الطويلة التي عاشها مع اولئك الناس ، وفضلاً عن انه لم يَنَلْهُ الانحراف ، فقد كان بينهم وفي جميع تلك البيئة المتخلفة والخائنة وعند جميع القبائل العربية، معروفاً بالامين ، والجميع يؤمنون بطهارته وأمانته وتعففه .

قوانين الاسلام خالدة لا تبلىٰ

الدكتور : الىٰ هنا كلامك قويم وغير قابل للأنكار ، لكننا نقول ان قوانين الاسلام مع كونها سماوية واصيلة واستطاعت ان تقود الانسان نحو السعادة علىٰ مدىٰ قرون ، لكنها بالنهاية تعود الىٰ اربع عشر قرناً ماضية ، والقانون الذي يمضي عليه الف واربعمائة سنة لا يمكنه هداية عالم اليوم ، وضمان سعادته ، فهو وكما يصطلح قديم .

الشيخ : اعجب لهذا الكلام منكم اصدقائي ! فهل مجرد مضي عدة قرون علىٰ قانون يجعله قديماً وغير قابل للتطبيق ؟! ومن اجل تبيين هذه الحقيقة وهي انه ليست كل القوانين تفقد قيمتها بعد مضي فترة علىٰ تشريعها ، من الضروري الالتفات الىٰ نقطة عامة.

ما هو القانون الذي يصبح قديماً بمرور الزمن ، واي قانون يحافظ علىٰ قيمته حتى إذا مضىٰ علىٰ تشريعه آلاف السنين ؟

الرفاق جميعهم : نشكرك كثيراً لو بينت لنا ذلك .

وفي تلك اللحظة ،يُفتح باب الغرفة ، ويدخل عامل مطعم القطار ، وهو يحمل بيديه طبق الشاي ، فينادي بصوته المزعج : شاي ... شاي ... ثم التفت الىٰ الشيخ واصدقاءه ، وقال : أيُّها السادة شاي جديد وحار .

قال الدكتور : لا نريد شاياً ، ولكن هل شايك جديد ـ حقيقةً ـ ، أم انه

كشاي بعض المقاهي التي علىٰ طريق مدينة مشهد ، ففي احدىٰ السفرات الىٰ مشهد ، توقفت السيارة عند احدىٰ تلك المقاهي للغداء ، فنزل المسافرون جميعاً، أنا أيضاً نزلت مع صديقي وجلسنا داخل المقهىٰ ، فجاءنا صاحب المقهىٰ بالشاي ، وقال : شاي جيد ، عملته قبل دقائق .

وضع الشاي علىٰ المنضدة وذهب ، قلت لصديقي ، لون الشاي يوحي بأنه بقي علىٰ النار أربع وعشرين ساعة ! فقال صديقي : تعال سأكتشف لك الحقيقة ، ذهبنا الىٰ صاحب المقهىٰ معاً ، فتقدم إليه صديقي وقال له بصوت منخفض ، أنا مريض وقد أوصاني الطبيب ان الشاي الذي اشربه لا بدّ وان يكون قد مضىٰ عليه ثلاثة أيام ، أرجو ان تستبدل لنا الشاي الذي جلبته ، وتأتينا بشاي قديم ، فما ان سمع صاحب المقهىٰ كلام صاحبنا حتىٰ أشار بيده نحو القبلة وقال : وربُّ الكعبة هذا الشاي جميعه ، شاي الاسبوع الماضي ! وهنا ضحك الحاضرون بشدة .

عامل مطعم القطار ايضاً أخذ يضحك لكلام الدكتور ، وهو خارج من الغرفة ، فسدوا باب الغرفة وبدأ الشيخ يكمل حديثه .

فقال : تلك القاعدة العامة التي اردت الاشارة اليها ، هي : في بعض الأحيان يكون القانون مقطعياً ولفترة معينة من التاريخ ، مثل اغلب القوانين التي تشرعها مختلف دول العالم في الماضي والحاضر لأنظمتها الاجتماعية (طبقاً في تلك الدول التي يهتم فيها المشرعون بمصالحهم القومية ، لا مصالح اسيادهم في الداخل والخارج !!!) وهذا النوع من القوانين، يفقد قدرته وقيمته التنفيذية في مراحل وفترات اخرىٰ ، لأنه يتبع ظروفاً خاصة وحاجة مرحلة تاريخية

معينة ، لذلك ، نشاهد جهازاً تشريعياً مستقلاً لكل دولة في الماضي والحاضر ، لكي يضع مشرعوا تلك الدولة قوانينهم بشكل يتناسب مع ثقافة الشعب وروحه ومع الأخذ ايضاً بالظروف التاريخية ومتطلبات البلد . واغلب هذه القوانين ليست غير مفيدة فقط في بلد آخر ، بل ستفقد قيمتها في نفس البلد بسبب تغيّر الظروف والمتطلبات . وهذه القوانين كالوصفات المؤقتة التي يقدمها الطبيب لمريضه مع الأخذ بحالته الخاصة، وطبيعي ان تتغير كما تتغير وصفات الطبيب بعد فترة من استخدام المريض للوصفات السابقة .

ولكن هناك نوع من القوانين في العالم ،تكون في عداد قوانين العالم الطبيعية ومن جملة سنن الخلق ، وهذا النوع من القوانين باقية ، ما بقي الدهر .

مثل قانون الجاذبية وتركيب الماء من جزئيتين من الهيدروجين وجزئية من الاوكسجين ، وملايين القوانين والقواعد العلمية الاخرىٰ في العالم ، فهل يحق لنا القول ان مرور الزمن سيجعل هذه القوانين بالية واذن لابدّ من تغييرها ؟! بالتأكيد لا ، لأن في هذا النوع من القوانين، ليست هناك حدود للزمان ولا للمكان .

الدكتور : المثال الذي ذكرته صحيح . لان القوانين الطبيعية غير قابلة للتغير ، لكن ما علاقة ذلك بالقوانين الاسلامية ؟

الشيخ : لا تستعجلوا ! لو سمحتم لي ، سأوضح تلك العلاقة .

الدكتور : ارجو المعذرة ، لقد تسرعت بعض الشيء ، فهذه الحياة الآليّة التي نعيشها افقدتنا القابلية علىٰ الصبر .

الشيخ : جميع قوانين الاسلام « العامة » و « الاصولية » هي من نوع القوانين الطبيعية ، ولها قيمة قانونية لجميع الناس وفي جميع مراحل التاريخ ، فلم تكن قوانين الاسلام العامة والاصولية خاصة بأهل ذلك العصر ومجتمع الجزيرة العربية فقط ، حتىٰ يقال انها اصبحت قديمة بعد مرور اربعة عشر قرناً عليها وانها فقدت قيمتها في التطبيق ، أو بعبارة اوضح اصبحت « قديمة » .

بل ان اصول الاسلام جميعها طبيعية تماماً وهي جزء من الفطرة الانسانية السليمة ، ومطابقة لناموس الخليقة ، لقد عرّف رسول الاسلام ﷺ ، الكذاب بأنه عدو رب العالمين ، واعتبر الكذب نوع من الخيانة ، فهل يمكن القول : ان الكذب خيانة ولكن للذين عاشوا قبل اربعة عشر قرناً .

أما اليوم وفي عصر التطور والتعالي البشري ، دنيا الكهرباء والبخار ، ليس هناك كذب أو خيانة ، وان ذلك كلام قديم ؟!

ينقل رسول الاسلام عن لسان الوحي الالهي :

﴿ لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل ﴾[1] .

وان علىٰ الناس احترام حقوق بعضهم البعض الآخر ، وان لا يسرقوا ولا يبخسوا الميزان وان لا يجمعوا المال بطرق غير مشروعة ، بل تكون بطرق مشروعة ، أي العمل الحلال[2] ، وان يصلوا الفقراء .

---

(١) سورة البقرة : ١٨٨ .

(٢) ﴿وأن ليس للانسان إلّا ما سعى﴾ سورة النجم: ٤٠ .
يرى البعض أن العمل يعنى الانتاج الاقتصادي فقط، في حين أن ذلك يعني أن الكثير من فئات المجتمع الذين يعملون في مجالات الثقافة أو الخدمات ـ مثلاً ـ عاطلون، وهذا كلام غير دقيق، لأن الخدمات والثقافة و...أيضاً أعمال مشروعة .

أيُّها السادة المحترمون !

أليس من السفاهة القول ان السرقة والنهب والاعتداء علىٰ حقوق الآخرين ، تعتبر خيانة بالنسبة لعصر مضىٰ عليه الف واربعمائة سنة ، وانه بالنسبة لعصرنا الحاضر عصر الذرة ، لايعد خيانة ؟! فهل يمكن القول ان هذا القانون قديم وغير قابل للتطبيق لانه مضىٰ عليه أربعة عشر قرناً ؟!

واعتبر رسول الاسلام صلى الله عليه وآله الاعتداء علىٰ نواميس الغير ذنباً ، وحذّر الناس من عمل هذا الذنب ، فهل يمكن القول ان هذا القانون اصبح قديماً بمرور الايام ، وان عالمنا لا يعترف بحدود اسمها الاسرة ! وان الاعتداء علىٰ نواميس الغير ليست خيانة ؟!

لقد اعتبر الاسلام السكوت امام الظلم ذنب ، وقال : عادوا الظالمين ودافعوا عن المظلومين ، ويصرح القرآن الكريم في هذا الصدد :

﴿والله لا يحب المعتدين﴾[1].

﴿والله لا يحب الظالمين﴾[2].

ويقول أيضاً :

﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الاّ من ظلم﴾[3].

وفي مكان آخر يقول القرآن :

---

(١) سورة البقرة : ١٩٠ .

(٢) سورة آل عمران : ٥٧ .

(٣) سورة النساء: ١٤٨ .

﴿ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾[1]

أي الذين يقاتلون في سبيل المظلومين ومن اجل الحرية واستيفاء حقوقهم.

والآن يا اصدقائي ألا ترون من السفاهة إذا قلنا ان هذا الكلام يختص بعصر يعود الىٰ الف واربعمائة سنة ماضية، وان هذا الكلام اكل الدهر عليه وشرب ؟! وهل يمكن حصر هذه المسائل بظروف ومراحل تاريخية معينة ؟!

والاسلام لا يميّز في تشريعه بين الاعراف والفئات والطبقات، فليس هناك أبيض وأسود، أو عرب وعجم، أو حاكم ورعيّة، أو عامل ورب العمل، فالجميع لديه متساوون ولا يرىٰ لأحد منهم امتيازاً علىٰ الآخر، فهل نستطيع القول ان مرور الزمان يغيّر ذلك « الأصل » وان علينا نفي وانكار « اصل المساواة بين البشر » أو « اصل الغاء جميع التمايزات » ؟!

فقد أكد الاسلام كثيراً علىٰ عيادة المرضىٰ ومراعاة حق الجار، وبشكل عام مراعاة حقوق الجميع ورفع مشاكلهم، فهل يمكن القول ان هذه القوانين لا يمكن تطبيقها اليوم لأنها تعود علىٰ اربعة عشر قرناً ماضية ؟!

أيُّها السادة المحترمون !

جميع القوانين العامة والاصولية في الاسلام هي من هذا النوع، وجميعها جزء من فطرة الانسان طبقاً لنظام الخلقة، وبالنتيجة هي فوق الظروف

---

(١) سورة الصف: ٤.

التاريخية الخاصة ، ومع الأخذ بذلك ، فهل يوجد في العالم ايديولوجية افضل من الاسلام واكثر منه طبيعية ، حتىٰ نترك هذه القوانين ونتمسك بغيرها اكمل منها ؟! وهل يستطيع الزمان التأثير علىٰ طراوة وحيوية مثل هذه القوانين ؟!

أمّا كيف يمكن للاسلام الاجابة علىٰ متطلبات المجتمع رغم التطوّرات والتغيرات التي تحدث بشكل لا ارادي في مسيرة الانسان التكاملية ومختلف مراحل التاريخ البشري ، فهذا يحتاج الىٰ توضيح مختصر .

هناك قوانين في الاسلام مطروحة بشكل عام واصولي ، وهي التي تحدد الخطوط العامة لجميع قوانين المجتمع العامة وحركته ، مثل : « اصالة العمل » ونفي الاسلام « للعلاقة الاستعمارية » في مسألة الانتاج والتوزيع ، وطبيعي ان تكون هذه الاصول (كما هو الحال في جميع الاصول والقوانين الكلية) ثابتة وغير قابلة للتغيير ، سواء كان البشر في مرحلة الزراعة ، أو في مرحلة الصناعة ، فهذه القوانين ابدية ، ولا بدّ أن تشكل الاساس لجميع تلك القوانين التي يضعها المتخصصون في القضايا الاسلامية (اي المجتهدون الواعون والعارفون بظروف المجتمع والعصر) حسب متطلبات العصر ، وطبيعي فأن هذا الاصل ثابت لا يتغير .

أمّا المتغير فهو كيفية الانتاج والتوزيع التي تتناسب وكل زمان أو مكان ، لكن الانتاج والتوزيع يجب ان يكون في النهاية علىٰ اساس نفي الاستثمار واصالة العمل .

لقد نفىٰ الاسلام ولم يعترف بأية علاقة انسانية يكون فيها احد الاطراف

متضرراً ، فقال : « لاضرر ولا ضرار في الاسلام »[1] سواء كانت هذه العلاقة «الضررية» علىٰ مستوىٰ الاسرة أو في القضايا المالية أو في أية علاقة اخرىٰ - طبقاً لاشك ان هناك اختلاف بين متطلبات كل عصر وزمان ، لكن هذه المسؤولية تقع علىٰ عاتق المجتهد الواعي والمتخصص في المسائل الاسلامية ، والمطّلع علىٰ احوال العصر ، لكي يستنبط الخطوط العامة و المحورية فيما يتعلق « بالحوادث الواقعة » والمستجدات من المسائل من خلال الرجوع الىٰ تلك القوانين العامة والقواعد الاسلامية الثابتة ، وبذلك يمكنه الاجابة علىٰ التساؤلات المستجدة ، او بعبارة اخرىٰ « ارجاع الفروع الىٰ الاصول »، ولا شك ان المتغير هنا هي هذه « الفروع » و « الحوادث الواقعة » أو مقتضيات الزمان، لكن الاصول و المحاور تبقىٰ ثابتة دائماً .

فالاسلام ـ مثلاً ـ حرّم الكذب ، سواءً كان بالكلام مباشرة مع شخص ، او من خلال مكبر صوت . أو من خلال الكلام في المذياع و التلفاز ، فالذي تغير هنا هو كيفية الكلام وليس اصله ، فكان مرّة بشكل طبيعي و أُخرىٰ بمكبرالصوت وثالثة من خلال البث الاذاعي و المرئي الذي يخاطب ملايين الناس ، ويبقىٰ الاصل الثابت في جميع الاحوال هو عدم جواز الكذب وحرمته.

ومن خلال الشرح والايضاح الذي قدمناه ، تبين بشكل جيد ان الثابت في الاسلام هو القوانين والأُصول العامة التي تعد محاور واسس جميع القوانين الاخرىٰ ، و المتغير هو متطلبات العصر و المستجدات من الظروف و الحالات.

---

(١) وسائل الشيعة: كتاب الارث، الباب الأول، الرواية ٩ .

كما تبين لنا الدور الذي تلعبه عملية « الاجتهاد » واستنباط الحكم هنا؟ وكيف يجب علىٰ المجتهد المطّلع علىٰ احوال الزمان ، تقديم اجوبة واقعية للتساؤلات المستجدة ومتطلّبات العصر مع الأخذ بالأُصول والعموميات الثابتة في الاسلام.

وهنا يتبين السرّ في حيوية الاسلام وطراوته الدائمة ، فلو لم يكن هناك «اجتهاد» بمعناه الصحيح والاسلامي ، لما استطاع البشر الاجابة علىٰ متطلباتهم الحديثة و المستجدة بشكل صحيح .

الذين جلبوا العار لتاريخ المسلمين

الشيخ : اطمئنوا اذا لم يكن الاسلام طبيعياً وفطرياً ، لم يكن ليبقىٰ بعد الف واربعمائة سنة بهذه الصورة الحية و المتكاملة ،ولهضمته الأحداث كما تقضم الشاة نبتة الربيع .

اتعلمون ان سّر بقاء الدين الىٰ اليوم ، هي تلك النقطة التي اشرت اليها؟

الدكتور : ارجو ان تتكلّم أكثر بهذا الصدد !

الشيخ : ان بقاء اي نظام في العالم مرهون بعوامل مادية او معنوية ، لكن الاسلام فضلاً عن عدم امتلاكه العوامل المادية والمعنوية لبقاءه ،فأنه كانت هناك عوامل عديدة لسقوطه ، وهذه العوامل الاخيرة موجودة حالياً أيضاً ، لانه ، وبشهادة التاريخ ، تغيّرت مسيرة الدين بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله ، والشخص

الذي عينه الرسول ﷺ لخلافته وزعامة المسلمين بأمر من الباري عزّ وجلّ (أي الامام علي عليه السلام) لم يعطىٰ زمام الامور .

لقد قدمت أيدي المنافقين منصب زعامة المسلمين الىٰ اعدائه الداخليين ، الذين شكلوا بدورهم عصابة خطرة ، وهؤلاء اغتصبوا مقام خلافة الرسول ﷺ واحداً بعد الآخر وجعلوها ملكاً يدار بأيديهم يرثونه ، حتىٰ وصل الأمر إلىٰ بني اُمية و بني العباس .

ان الاعمال التي قام بها هؤلاء (بني اُمية و بني العباس) جعلت من عهديهما من اسوء مراحل التاريخ الاسلامي ، فقد تحولت الخلافة الىٰ سلطان ، و استبدلت الروحانية والزهد ، بمجالس اللهو و الطرب و الخمر . واستبدل قراء القرآن و المؤذنون ، بالجواري الجميلات و المغنون ، واصبحت مجالس اللهو و القمار و موائد الخمرة تقام في قصور خلفاء الرسول ﷺ الغاصبين ! وقد وصل الامر الىٰ حدّ ، نهي فيه الوليد من الافراط في شرب الخمرة من قبل ندماءه والمقرّبين منه، لانه يخالف نصّ القرآن وليس لخليفة المسلمين ان يتصرف بهذا الشكل .

فقال الوليد : اريد ان اعرف عاقبة امري ، عليَّ بالقرآن استفئل به ، ففتح القرآن وبدت له الآية ﴿ وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ﴾[1] ، فاشتاط غضباً برؤيتها ، ثم فتح القرآن ثانية فكانت الآية الشريفة ﴿ وخاب كل جبار﴾[2] فلم يستطع أن يتمالك نفسه من شدة الغضب ، فأخذ قوساً ونبالاً وصار يرمي بها

---

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧ .

(٢) سورة ابراهيم : ١٥ .

القرآن وهو ينشد أبياته المعروفة :

اتـــوعد كـــل جـــبارٍ عـــنيد　　فـــها انـــا ذاك جـــبار عـــنيدُ
اذا لاقـــيت ربك يـــوم حشـــرٍ　　فـــقل يـــا ربِّ مـــزقني الوليـــدُ

لقد وصل الامر للحد الذي وقف فيه عامل (امير) الكوفة في محراب المسجد ليأم الناس صلاة الصبح وهو ثمل ، فصلىٰ الصبح اربع ركعات ، وعندما اعترض الناس علىٰ ذلك ، أجابهم : هل ازيد .

وقد وصلت الفضيحة لدرجة اصبح الغلمان والمردة يحلّون مكان الجواري والنساء .

هذه الفتن التيٰ تعرض لها الاسلام بعد رحيل الرسول ﷺ استمرت حتىٰ أتىٰ هولاكو علىٰ خلافة بني العباس ، اما المعتصم آخر خلفاء هم فقد سحق بأمر من شيخ الاسلام العظيم الخواجة نصير الدين الطوسي .

وبعد ذلك لم تأتي حكومة مقتدرة تحفظ بلاد المسلمين الممتدة وتوحّدها. ولو تجاوزنا ذلك فالمساعي التي تبذلهاالعناصر المعارضة للأسلام (اي الاستعمار) والتي تعتبر المسيحية احدىٰ مظاهرها، واسعة جداً وهدفها تدمير واسقاط النظام الاسلامي الصحيح . اما المبالغ التي تصرف لتشويه صورة الدين والاعلام المضاد له ، فلا احد يعلم بمقدارها إلّا اللّه! فأكثر القساوسة و الآباء اليسوعيين وبالدعم الذي يتلقونه ، منتشرون في الدول الاسلامية بهدف التبشير من جهة وتدمير الدين الاسلامي واسقاطه من جهة اخرىٰ .

حديث من السيد جمال الدين

ومن اكبر هذه العوامل تأثيراً في سقوط الدين ، هو تصرف المسلمين ، وقوة هذا العامل تصل لحدّ ، ان بأمكانه تخريب شبكة تنظيمية واسعة بمفرده، لأن العالم ينظر الىٰ الاسلام من خلال تصرفات المسلمين ، وللأسف الشديد ، فأن تصرفات المسلمين مهينة للحد الذي يخجل الانسان من ذكرها .

كم من القلوب الطاهرة استسلمت امام قوانين الاسلام النـورانـية دون اختيار ، واصبحت علىٰ شرف اعتناق الاسـلام ، إلاّ انـها انـصرفت عـن ذلك بمشاهدة تصرفات بعض المسلمين .

اتذكر ، ان احد العلماء المسيح صرّح رسمياً قبل فترة ، بأن المانع الوحيد امامه لقبول الاسلام هو اعمال وتصرفات المسلمين المهينة !

وعلىٰ حدّ قول السيد جمال الدين الافغاني

« اذا اردنا دعوة الغرب للأسلام ، علينا ان نثبت اولاً اننا لسنا مسلمون ، ومن ثم نبدأ الدعوة » .

أليس من المؤسف ان يصل الأمر بالمسلمين الىٰ هذا الحدّ ، وهم الذين كانوا في يوم من الأيام مثالاً للفضيلة والأنسانية ! كما أن البعض ـ وللأسف ـ من الذين لا يستطيعون التفريق بين « الاسلام » و « المسلمين » ، وان يدركوا هذه الحقيقة وهي ان الرسول ﷺ جاء بالاسلام من جانب اللّه وليس بالمسلمون ، لذلك فهم ينسبون الانحراف في تصرف المسلم الىٰ الدين ويحملون نظرة سيئة عن الاسلام .

هذه وعشرات العوامل القوية الاخرىٰ ، جزء من الموانع التي تقف بوجه الدين .

اصدقائي الاعزاء!

اتصدقون انه مع الأخذ بالاسباب والعوامل التي ذكـرناها هـنا وبـعض العوامل الاخرىٰ التي لم نذكرها ، كان لا بدّ أن لا يبقىٰ ذكر للأسلام في العالم، لكن ولحسن الحظ لم تجتذب قوانينه قلوب العالم فقط ، بل ان شعاع نوره ينتشر كل يوم اكثر و اكثر ، للحد الذي يندر ان نجد مفكراً أو عالماً درس وبحث حول الاسلام ولم يستسلم امام عظمة النبي محمد صلى الله عليه وآله ، وينحني له تعظيماً.

كلام مفكرو العالم حول الاسلام

الدكتور لورافاكسيا فاغليري[1] استاذ جامعة نابل ، يقول :

(ما هو سبب تقدّم الاسلام وانتشاره في آسيا وافريقيا مع وجود الحرية التي تعطى لغير المسلمين في البلدان الاسلامية ومع عدم وجود اي منظمة اعلامية اسلامية حقيقية .

فاليوم لا يمكن القول ان السيف يمهد الطريق لنشر الاسلام ، بل العكس ، ففي المناطق التي كانت يوماً تحكمها دولاً اسلامية نجد اليوم دول حديثة من سائر الاديان لها منظماتها الاعلامية القوية التي تنشط بين المسلمين ، لكنها مع ذلك لم تستطع فصل الاسلام عن حياة الناس .

فما هي القوة الاعجازية الموجودة في هذا الدين ، ماهي القوة الذاتية في الاقناع الممزوجة مع هذا الدين ، واي جزء من الروح والحقيقة البشرية تتفاعل مع ذلك النداء ، وتستجيب له) .

اصدقائي !

اتعلمون سبب تقدم الاسلام في العالم وانتشاره بسرعة رغم وجود عوامل سقوط الاسلام والحدّ من نموه والذي جعل شخصاً مثل الدكتور

---

(١) Dr . Lauravacciea Vaglieri.

فاغليري يعجب من ذلك!

بأعتقادي ان أهم أسباب ذلك هو كون القوانين والاحكام الاسلامية فطرية ، أي لأنّ الاسلام دين الفطرة وقوانينه جزء من ناموس العالم لذلك فكل فطرة نقية تدرك تلك القوانين ستجد في نفسها وبشكل طبيعي ميلاً نحو تلك القوانين ، وكذلك بسبب ان قوانين الاسلام المقدّسة طبيعية فهي باقية ولا تبالي بمرور الأيّام .

اعترافات السيد ويلز[1]

السيد ويلز ، كاتب بريطاني كبير ، يقول :

«الديانة الصحيحة التي وجدتها ملازمة ومجارية للحضارة هي الاسلام فقط ، وإذا اراد شخص ان يتعرّف علىٰ الاسلام ، عليه ان يقرأ القرآن ونظرياته العلمية وقوانينه وأنظمته الاجتماعية .

والقرآن كتاب ديني واجتماعي وعلمي وتهذيبي واخلاقي وتاريخي ، واكثر انظمته واحكامه تستخدم الىٰ يومنا هذا وستبقىٰ حتىٰ نهاية العالم .

وإذا سألني أحد عن حدود الاسلام ، سأجيبه : الاسلام يعني المدنية والحضارة ، فهل هناك من يستطيع القول ان الاسلام ، كان مخالفاً للمدنية والحضارة في دورة من أدوار التاريخ ، ولم يكن السباق الىٰ ذلك ، خلاصة الكلام هي ان القرآن طري وحي وجديد وجذاب في كل عصر

---

(١) Mr . Wills.

وزمان»[1].

أجل ، قوانين الاسلام هي القوانين السماوية الوحيدة التي توجّه وتقود الحياة الانسانية في جميع أدوار التأريخ وهي دائماً جديدة ونـدية ، مـع انـه وبسبب الظلمة وشدة الجهل التي سبقت ظهوره فأن أوائل المؤمنين به اعتنقوه واستسلموا له من زاوية العقيدة والايمان ، في حين ان قيمة الاسـلام العـلمية بقيت مجهولة .

لكن كلّما تقدّم العلم في العالم وتنورت افكار البشرية أكـثر ، ظـهرت عظمة الاسـلام ورسـوله صلى الله عليه وآله أكـثر وأكـثر ، للـحدّ الذي لم يـقتصر احـترام الرسول صلى الله عليه وآله علىٰ ستمائة مليون مسلم في العالم فقط ، بل ان زعيم المسلمين العظيم وقائدهم (الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله) يعتبر أكمل انسان في تاريخ البشرية بنظر أكبر العلماء المعاصرين، وقد اعطوه أرفع وأسمىٰ الالقاب العلمية .

(١) أما السبب في طراوة القرآن دائماً وعدم الملل منه وانه كلما قرأه الانسان وجده جديداً ندّياً ، فقد روي عن الامام محمد الباقر عليه السلام ، انه قال : لأن القرآن لم ينزل لقوم أو زمن معين ، وانما لجميع الناس وعلىٰ مدىٰ الزمان .

نفوذ رسول الاسلام صلى الله عليه وآله في الماضي والحاضر[1]

اصدقائي الاعزاء !

الموضوع الذي ذكرته ، اي عظمة رسول الاسلام صلى الله عليه وآله عند المسلمين وغير المسلمين ، يستحق الالتفات والدقة ، فهل فكرتم في سبب نفوذ ومحبوبية رسول الاسلام العظيم صلى الله عليه وآله بين الناس، خاصة المسلمين منهم ؟!

ألا يدل هذا النفوذ العميق والمتأصّل الذي يأتي من ايمان الناس المنطقي ، بحقّانية هذا الرجل العظيم ؟!

ذلك النفوذ الذي لا يقارن بقوة وسلطة اخرىٰ ! في عصره ، بل وفي عالم

(١) لا نهدف من هذا البحث، الاستدلال علىٰ نبوة الرسول صلى الله عليه وآله من خلال نفوذه (رغم عمقه ورسوخه) ، لكي يسيء استخدامه جماعة من اغنام الله ! الذين سمّوا عقائدهم المزيفة ، مذهباً ، في حين انهم صنيعي الاستعمار ، مع عدم وجود مثل تلك الفرصة لسوء الفائدة بالنسبة لهم ، لأن قائدهم وزعيمهم الوليد غير الشرعي للمستعمر ، وليس له ذلك النفوذ بين اتباعه علىٰ اساسٍ من الطهارة والايمان ، لكيٍ يستطيعوا الاستناد الىٰ هذا الموضوع (حتىٰ لو كان خطأً) ، فنفوذ الصنم في الجاهلية، والبقرة بين اتباعها في الهند ، اكبر واعمق من نفوذ ذلك الرجل بين أغنام الله في الوقت الحاضر ، وعدد اضاحي الاصنام والبقر ، اكثر بكثير من الاضاحي التي تقدم الىٰ ذلك الرجل ، أجل ، نحن وبعد ان ادركنا نبوة النبي محمد وانه مرسل من قبل السماء علىٰ اساس حكم العقل والمنطق ، نعدّ نفوذه علىٰ اساس الايمان والعقيدة المقدّسة فقط ، مؤيداً لنبوته ، وليس كل من كان له نفوذ ، حاز علىٰ مقام النبوة !

اليوم ايضاً هناك ملايين المسلمين في العالم مستعدون لبذل الغالي والنفيس في سبيله.

فهل سحر الرسول صلى الله عليه وآله هذه القلوب بالاموال ؟!

وهل للقوىٰ المادية دخل في هذا الامر ؟! بالتأكيد لا ؛ لأنه لا يمكن تسخير قلوب الناس بالمال إلى هذا الحدّ.

﴿ لو انفقت ما في الارض جميعاً ماألفت بين قلوبهم ولكن اللّه ألف بينهم ﴾[1].

الدكتور : لقد كانت لي ابحاث في هذا الموضوع ، ما ادهشني هو ليس احترام وخضوع عالم اليوم امام عظمة رسول الاسلام ، بل تسخيره لقلوب أهل الجزيرة في ذلك الزمن ، لانني بحثت كثيراً حول تعصب العرب وتمسكهم بما جرىٰ عليه آباءهم ، ووصلت الىٰ هذه النتيجة ، وهي أنَّ العرب لا يقبلون ترك ما كان عليه آباءهم بأي ثمن كان ، وان يغيروا حياتهم القبلية ، فما الذي دعاهم لأن يطيعوا ذلك الرجل الذي أعلن الحرب علىٰ آلهتهم وعارض اساليبهم الوحشية بصراحة ، ومنعهم من العمل بأهواءهم وشهواتهم وجعلهم يتركون الزنا والقمار والخمر والسرقة والاعتداء علىٰ أموال واعراض الآخرين ، تلك الأعمال التي كانت جزءاً من ممارساتهم اليومية ، فأخرجهم بذلك من التوحش الىٰ الفضيلة وكمال الانسانية ، وكيف اصبح اولئك الناس المتردين اوفياء للرسول صلى الله عليه وآله بحيث لم يبخلوا بكل مالديهم ، بل وبأرواحهم من اجل اهدافه السامية !

---

(١) سورة الأنفال: ٦٣.

فمثل هذا التأثير في القلوب ، لايكون الاّ بقوة روحية والهية ، واتصور ان هذا النفوذ والتأثير هو دليل واضح وبيّن علىٰ حقّانية رسول الاسلام ﷺ ، وان هذا الرجل الفذ ، مرسل من قبل السماء ، وانه رجل الهي .

الشيخ : من سعادتي ان اقابل رجل مطلع مثلك .

الدكتور : شكراً لهذا الاطراء .

الشيخ : اصدقائي ! الموضوع الذي تطرق له الدكتور يستحق الاهتمام ، لأنه وعلىٰ مرّ التاريخ ، كانت بعض المناطق التي تعد اليوم جزءاً من البلاد العربية مناطق عامرة كثيرة الدخل ، مثل : اليمن والشام ، وكانت معرّضة علىٰ الدوام الىٰ غزو الدول القوية المجاورة مثل الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية ، فكانت جيوشهم تّتجه نحو تلك المناطق كالسيل العارم ، فيقتلون الرجال والشباب والاطفال ويأسرون النساء ، لكنهم لم يستطيعوا ان يوجدوا اقل تغير في برنامج ومسيرة حياتهم .

ينقل العالم الفرنسي المعروف ، الدكتور غوستاف لوبون[١] قصة تحكي تعصب العرب وصلابتهم وفضاضتهم ، يقول لوبون:

« عندما دخل ديموطريس [٢] البتراء[٣] ، قال له العرب : « أيُّها الملك ديموطريس ! لماذا تحاربنا ، فنحن نعيش في صحراء خالية من كل نعم الحياة

---

(١) Dr . Gustave . Le . Bon .

(٢) Demetrius ، اسماء ثلاثة من الملوك السلوكيين ، والسلوكيون اسم سلسلة من أمراء آسيا الغربية ، وقد حكموا اجزاءً من آسيا الصغرىٰ وايران علىٰ مدىٰ قرنين ونصف القرن بعد الاسكندر الكبير .

(٣) Petra اسم لمكان تجاري قديم في الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية .

التي يمتلكها اهل المدن والقصبات، لقد اخترنا السكن هنا ، لاننا لا نريد أن نكون عبيداً لأحد ، فاقبل هدايانا وخذ جيشك من هنا ، واعلم ان النبط (اسم القبيلة التي ينتسبون اليها) سيكونون اصدقاءك ، أمّا اذا اردت الاستمرار في الحصار ، فلن يستمر طويلاً حتىٰ تنالك آلاف المشاكل والمصائب ، ولن تستطيع ابداً ان تغير ما درجنا عليه منذ صغرنا ، وحتىٰ لو أخذت منا رجالاً اسرىٰ ، فسيكونون عبيداً متمردين وعاصين ، لا يستطيعون تغيير عاداتهم واختيار اخرىٰ مكانها»(١) .

أيُّها السادة !

تلاحظون في هذه القصة التاريخية ، كيف تقف قبيلة صغيرة امام رجل جبار مثل ديموطريس الذي جاء لحربهم مع آلاف الجنود المدججين بالسلاح ، وتخاطبه بقوة وصلابة وصراحة تامة : حتىٰ لو تسلطت علينا فلن تستطيع اجبارنا علىٰ تغيير ما نشأنا عليه منذ الصغر واختيار اسلوب في الحياة غيره.

والحقيقة هي ان ديموطريس لم يكن باستطاعته عمل ذلك ، لأنه كان بمعنىٰ قتل كل افراد القبيلة وكما لم يستطع الغزات الذين سبقوه ذلك .

أمّا رسول الاسلام العظيم ، فقد استطاع تسخير قلوب تلك القبائل وجعلها قاعدة لرسالته ومنطلقاً لتبليغ دعوته الىٰ العالم ، وهووحيداً في اكثر

(١) حضارة الاسلام والعرب .

فترات الرسالة الاّ من دعم الله ونصرته ، فكانوا يستجيبون حباً له واكراماً لشخصه .

اعتراف ابو سفيان :

ينقل لنا التاريخ ، عند فتح مكة وبعد ان جاء العباس عمّ الرسول بأبي سفيان الىٰ النبي ﷺ ، امر ان يبقىٰ ابو سفيان في خيمة العباس تلك الليلة ، حتىٰ طلع الصبح فقام بلال ، مؤذن الرسول ﷺ ، وأخذ يؤذن بصوته الجهور : الله اكبر ، الله اكبر ... كان صوت الاذان غريباً علىٰ مسامع أبو سفيان ، للحد الذي خاف وارتعد منه ، علىٰ الرغم من كونه زعيم مكة وقائد المشركين فيها. فسأل العباس خائفاً: ماهذا الصوت ؟!

قال له العباس : هذا صوت الاذان ، الاعلان الاسلامي العام للأجتماع من اجل الصلاة ، انهض يا ابا سفيان ! توضأ واستعد للصلاة .

أمّا ابو سفيان الذي كان حتىٰ الامس يعبد الاصنام ويعادي الرسول ﷺ ويجمع القبائل لقتاله ، أبو سفيان هذا وجد نفسه محاصراً بين جيش الاسلام ، فاضطر للنهوض من فراشه والتوضأ كما علّمه العباس ، ثم خرجا من الخيمة معاً .

وفجأة شاهد ابوسفيان مشهداً غريباً ، اوشك ان يفقد صوابه !

فما الذي رآه أبو سفيان ؟

لقد رأىٰ ابوسفيان عشرة آلاف مقاتل يتأهبون بنداء من رجل اسود ، هو

بلال مؤذن الرسول ﷺ للصلاة خلف قائدهم المحبوب، بعد ان نهضوا من النوم وتوضأوا، وجميعهم مشدودة اعينهم الىٰ باب الخمية كالعشاق الذي ينتظر لقاء معشوقته، الجميع ينتظر اشراقة شمس قائدهم العظيم من افق الخيمة، فهم ينظرون الىٰ الخيمة وكأن ارواحهم فيها.

أبو سفيان الذي شاهد ذلك، يقول في نفسه: عجباً! هذا النفوذ والسطوة جميعها لرجل كان بالامس مجرد محمد الامين! أليس هو ذلك الرجل الذي ترك وطنه ليلاً خوفاً من تعرضنا له وقرارنا بحقّه، وهاجر من مكة الىٰ المدينة؟! فكيف صارت له هذه السيطرة وهذه القوة؟!

كان أبو سفيان غارقاً في افكاره، وفجأة خرج رسول اللّه ﷺ من خيمته وشفتاه تلهجان بذكر اللّه، فنظر الىٰ اصحابه بوجه ضحوك ملئه السرور، والمسلمون ايضاً كانوا ينظرون اليه بفرحه، لكن في تبادل النظرات تلك، كانت هناك اسرار كثيرة لا يفهما الغير.

وفيما كان الرسول يحمل وعاءً من الماء لتجديد وضوءه وهو خارج من الخيمة، هنا كانت شدة تعجب وحيرة ابو سفيان، لقد كان يرىٰ مشهداً غريباً جداً وكانت عيناه وكأنما تريدان الخروج من حدقتيهما، كان ابو سفيان يرى مشهداً لم يره عند أيٍّ من ملوك واباطرة العالم.

رأى أبو سفيان هجوم المسلمين على الرسول وهو يتوضأ، لكن لماذا؟ وما الذي حصل؟! كان المسلمون يتسابقون علىٰ قطرات الماء التي تقطر من وجه الرسول ﷺ وهو يتوضأ، فلم يكونوا يتركوا قطرة تصل الىٰ الارض فقط، وانّما كان الذي يحصل منهم على قطرة من الماء الذي يتوضأ به الرسول ﷺ

كأنما حصل على اثمن جوهرة علىٰ الارض ، ولهذا كانت حيرة ابو سفيان وشدة تعجبه .

لكن المسلمين الذين أرادوا ان يخرجوا أبا سفيان من تعجبه وحيرته ، قالوا له : لا تعجب يا أبا سفيان فهذا ماء توضأ به الرسول ﷺ وهو اعزّ علينا من ارواحنا .

اجل ، فهو النبي الذي نجّاهم من الشرك والضلالة واوصلهم الىٰ السعادة الحقيقية ، فقد تحرروا من السرقة والقمار والقتل والجريمة ووأد البنات .

أمّا أبو سفيان ، فلم يستطع كتمان ما كان يجول في خاطره من افكار كانت تعذبه ، فصاح : بالله لم أرَ كاليوم كسرىٰ ولا قيصر ، ما هذه القدرة ؟ ما هذا النفوذ ؟

نعم ، أبو سفيان محق في انه لم يرَ تلك القدرة في أيٍّ من بلاط الملوك والاباطرة ، لان قدرتهم سطحية تستند الىٰ حرابهم وظلمهم وتسلطهم علىٰ اجسام الناس . لكن الرسول ﷺ احتل مكاناً لا تستطيع اي قوة احتلاله ، المكان الذي تعجز عن فتحه الحراب .

لقد احتل الرسول ﷺ مكانة في قلوب الناس ، فهم يحبونه ، بل يعشقونه ويفتدونه بأرواحهم ، ومثل هذاالنفوذ لا يتسير لأحد إلّا بالنبوة او القوة الالهية .

وبعد ان صلّىٰ المسلمون الصبح ، استعد جيش المسلمين للتحرك ، واتّجهوا نحو مكآة ، ومع ان ابا سفيان كان زعيم المشركين وعلىٰ رأس معاندي الرسول ﷺ علىٰ مدىٰ واحد وعشرين سنة ولم يترك شيئاً لم يستعمله ضد الرسول ، من التهم والشتائم والحرب وتحريض الناس والقبائل علىٰ حرب

المسلمين ، واجباره على الهجرة من مسقط رأسه ، وذرّ الرماد على رأسه الشريف، ورميه بالحجارة ، لكنه اليوم ورغم ذاك الماضي السيء نجده في محاصرة قوة الرسول ﷺ وبين سيوف اصحابه ، فلو اشار الرسول اشارة صغيرة لقطّعه المسلمون إرباً إربا ، لكن مع كل ذلك فقد اعطاه الرسول ﷺ الأمان وأمر الملسمين بعدم ايذائه ، بل كرّمه وقال : من دخل بيت ابو سفيان - في مكة - فهو آمن .

كان ابو سفيان مسروراً لما وجده من تسامح عند الرسول ﷺ فأراد ان يركب الىٰ مكة . حتىٰ يخبر اهلها بتحرك جيش المسلمين ، إلّا ان الرسول ﷺ امر ان يقف ابو سفيان قبل ذهابه الىٰ مكة إلىٰ جانب العباس في محلّ مشرف لكي يشاهد جيش الاسلام وقوته الخارقة.

أخذ العباس عمّ الرسول بيد ابو سفيان واوقفه في محلّ مشرف علىٰ الجيش ، وبدأ جنود الاسلام بالتحرك فمرّت الكتيبة الأُولىٰ وهي تنادي الله اكبر، ثم الكتيبة الثانية وهي تكبّر ايضاً ، وهكذا مرَّت كتائب المسلمين من امام أبو سفيان ، وكلّما مرَّت كتيبة كان أبو سفيان يتصوّر انها الاخيرة ، إلّا انه كان يشاهد متعجباً كتيبة اخرى تتقدم ، فتعب ابو سفيان من طول وقوفه وازدحام الناس ، فقال للعباس : ألم يأت ابن اخيك بعد ؟

أجابه العباس : لو جاء ابن اخي ستعرفه انت دون أن أُشير اليك .

وهم على تلك الحالة من الكلام، جاءت كتيبة أُخرىٰ من جنود الاسلام ، فقال العباس : والآن سيأتي ابن اخي وهو يتوسط جيشه .

كان ابو سفيان ينظر وكأنما ركّز كل قواه في عينيه ، دقق النظر فإذا بما

يقرب خمسة آلاف من ابطال وصناديد المهاجرين والانصار والشباب المتحمّس الشجاع يحيطون بالرسول صلى الله عليه وآله وهو علىٰ ناقته في وسطهم يتحرك بوقار ليس له مثيل ، كانوا يدورون حوله دوران الفراشة حول الشمعة ، كان بعضهم يمتطي خيلاً وآخرون علىٰ جمال حمراء ، سيوفهم مشهورة ودروعهم مستعدة للدفاع ، مدججون بالسلاح حتىٰ لا يرى منهم إلّا الاعين ، وكانت اجسادهم ترىٰ خضراء من كثرة السلاح الذي يحملونه .

أمّا أبو سفيان فلم يستطع الصبر ثانية ، فألتفت الىٰ العباس وقال له : ملك ابن اخيك عظيم .

فقال له العباس : الويل لك ، انها النبوة وليست الملك .

اجل ، مثل هذا النفوذ والقوة لا يوجد إلّا عند الربّانيّون والذين اخلصوا لله ، ولا يمكن مشاهدتها في بلاط وحكومات القوىٰ المادية والحكام غير الربانيين ، مهما اتسع ملكهم .

الدكتور : اؤيد ما تقوله تماماً ، لقد ضمّ العالم والتاريخ الكثير من كبار الملوك والمخترعين والفضلاء والعلماء والفلاسفة ، ومع أن بعضهم احدث ضجة سطحية لفترة قصيرة ، لكنهم اندثروا واندثرت اسماءهم معهم بعد فترة قصيرة من موتهم ، ولا تجدهم إلّا في طيّات كتب التاريخ ، لكن الانبياء عليهم السلام والرجال الالهيون ، لم يكسبوا ودَّ الناس ويستميلوا قلوبهم في فترة حياتهم فقط ، بل يزداد محبوهم واتباعهم كلما مرّ يوم علىٰ هذا العالم القديم ، الىٰ مستوىٰ نشاهد اليوم ستمائة مليون مسلم في جميع أنحاء العالم ، يفتخرون بأنهم اتباع رجل فذّ لامثيل له في تاريخ الانسانية ، هذا الرجل الذي عاش قبل الف واربعمائة عام

في صحراء الحجاز ، والكثير من تلك الملايين يطبقون أوامره التي فيها سعادة الدنيا والآخرة بدقة في حياتهم اليومية ، ولا توجد اي قوة تستيطيع الحدّ أو الاقلال من نفوذه الروحي ، في حين ان أقوىٰ ملوك الارض ، يجب ان يحمّل نظرياته ، وأراءه علىٰ الآخرين بالقوة ، ونجد الناس يكرهونهم في حياتهم ، بل يلعنونهم ويشتمونهم حتى وهم ينفذون اوامرهم !

النفوذ المعنوي للنبي صلى الله عليه وآله برأي الدكتور لوبون[1]

يقول الدكتور غوستاف لوبون ، العالم الفرنسي المعروف ، حول نفوذ الاسلام بين المسلمين :

« لا يقل الاسلام في التأثير علىٰ اتباعه عن سائر المذاهب والديانات ، والاقوام التي نزلت تلك الاحكام لأرشادهم ـ ومع وجود الاختلاف بينهم ـ إلّا انهم متمسكون بالاحكام بنفس المستوىٰ من تمسكهم بها قبل الف وثلاثمائة عام .

فصوم شهر رمضان الذي هو أصعب من صيام الأربعين يوماً عند بعض فرق النصارىٰ ، نجد المسلمين في العالم يجرونه بمنتهىٰ الدقّة ، وهكذا الصلاة في جميع البلدان التي زرتها في آسيا وافريقيا واماكن اخرىٰ من العالم ، خاصة انني رأيت اهتمامهم بأداء هذا الركن الاسلامي العظيم في وقته .

وفي احدىٰ المرات كنت مسافراً بالمركب في نهر النيل وكان معنا

(١) Gustave . Le . Bon .

مجموعة من العرب ، وفيهم بعض المذنبين المقيدين بالسلاسل ، فعجبت كثيراً حيث رايت المذنبين يتعدّون على القانون المدني ولا يخافون عقاب الحكومة ، لكنهم لا يجرأون علىٰ مخالفة القانون الديني (الشريعة) ، فكان اذا صار وقت الصلاة اخرجوا قيودهم ووضعوها جانباً ، انشغلوا بأداء الصلاة والركوع والسجود لله القهار »[١].

كلام الدكتور لورافاكسيا فاغليري

يقول استاذ جامعة نابل في ايطاليا ، الدكتور لورافاكسيا فاغليري ، حول شدّة نفوذ رسول الاسلام بين اتباعه :

« كيف استطاع رسول الاسلام ﷺ تقوية نفوس اتباعه والجمع بين المثل والغيرة والتعصّب في روحياتهم ، بشكل يحتفظون فيه بتلك الروح بعد عشرة قرون من رحليه ﷺ بنحو لا يرىٰ مثلها في سائر الاديان ، وقد رسخ عندهم ايمان قوي سهّل لديهم أي نوع من التضيحة ، فاحتفظوا بتلك القوة الروحية علىٰ مدىٰ اعصار وقرون تختلف كثيراً من الناحية الثقافية والعلمية مع عصر المسلمين الاوائل (صدر الاسلام) .

الشيخ : سعادة الدكتور ، انا مسرور جداً حيث وجدتك من أهل القراءة والبحث ، الظاهر انك تمتلك معلومات حول الكتب التي كتبها علماء الغرب حول الاسلام .

---

(١) حضارة الاسلام والعرب .

الدكتور : نعم ، فأنا احب المطالعة كثيراً ، خاصة مؤلفات كبار العلماء والمنصفين .

الشيخ : لقد اشار الدكتور في كلامه الىٰ موضوعين ، يجدر الالتفات إليهما بدقة :

الأول : هو ان العديد من الملوك والحكام الاقوياء ، والفاتحين جاؤا الىٰ العالم ، لكن اسماءهم اليوم محصورة في زوايا وكتب التاريخ ، وفي بعض الاحيان تكون اسماءهم ملازمة للعاروالجريمة .

الثاني : انه قال: كان هناك رجال اقوياء أو علماء امناء ، لم يطعهم حتىٰ اقرب الناس اليهم في تطبيق نظرياتهم وتنفيذ أوامرهم ، الآن يلجئوا الىٰ القوة معهم .

وفي تأييد كلام الدكتور ،احكي لكم قصّتين تاريخيتين ،لكي نعرف من خلال الامعان فيهما القيمة الحقيقة لنفوذ رسول الاسلام ﷺ في الماضي وفي عالمنا اليوم .

الخليفة العباسي يزور سامراء

القصّة الأُولىٰ ، تعود لزيارة المستنصر باللّه ، أحد خلفاء بني العباس الأقوياء الىٰ مدينة سامراء .

في أحد الايام تحرك المستنصر باللّه من بغداد ، ومعه الوزراء ورجال الدولة ، نحو سامراء ، وبعد وصوله واتمام مراسيم التشريفات العادية ، توجه

للقيام بمراسيم اخرىٰ ، لا يؤمن بها خلفاء بني العباس الىٰ حدّ ما ، وهي زيارة صحن الامامين العسكريين عليهما السلام [1] فرأىٰ صحناً مجللاً وكبيراً ، وافواج من الناس داخله اليه وخارجه منه ، في منتهىٰ الأدب والخضوع ، يزورون قبرا الامامين وعيونهم تذرف الدموع لصاحبي هذين القبرين ، وقلوبهم مفعمة بحبهما .

وبعد أن أتمَّ المستنصر مراسيم الزيارة ، ورأىٰ تلك المشاهد ، خرج من الصحن واتجه الىٰ قبور آبائه القريبة من الصحن الطاهر ، لكي يقرأ الفاتحة عليها!!! دخل المكان فوجد بناء القبر شبيه بالخربة ، وقبورها بمستوىٰ سطح الارض ، والغبار يعلوها ، فيما تكدّست عليها فضلات الطيور ولا أحد يأتي لقراءة الفاتحة ، فأخذ يقارن في نفسه بين حرم العسكريين وجلاله وقبور آبائه الخربة والتي تبعث الحزن في نفسه، فالتفت إليه أحد المتملّقين من حاشيته ، وقال : يا خليفة المسلمين ، إلىٰ متىٰ تصبر علىٰ هذا العار والهوان ، هذه قبور آباءك الذين كانوا حكام البلدان الاسلامية في حياتهم ، وكانت خزائنهم مليئة

---

(١) تجدر الاشارة الىٰ ان زيارة ائمة الشيعة عليهم السلام ، وبالاضافة الىٰ ابعادها التربوية ، فيها أجر خاص طبقاً للروايات الواردة ، والهدف الاساس والحقيقي لزيارة قبور الائمة عليهم السلام ، لكي يتأمّل المسلم في الطريق الذي خطّه الامام عليه السلام في حياته والفضائل العلمية والانسانية التي كان يمتلكها ، ويتذكّر مواقفهم الخالدة والصريحة امام الظالمين ، فهم ائمة ويجب الاقتداء بهم.

كما ان معاني نصّ الزيارة ، جميعها دروس وعبر (طبعاً تلك التي لها اساس حقيقي وليست موضوعة) ، لكي يجدد الانسان الذي يقرأها ويفهم معانيها ، عهده مع الامام عليه السلام ويهيء نفسه للعمل بها ، لكن يجب الاعتراف بهذه الحقيقة المرّة ، وهي ان الزيارة ومثل العديد من المسائل الاسلامية ، اضحت خالية من محتواها الحقيقي ، ولم يبق منها الّا الشكل ، كما ان بعض الظلمة استفادوا من المشاهد المقدّسة وسخروها لصالحهم من اجل كسب الشرعية عند الجماهير ، في حين انهم يختلفون اساساً ومنطقاً مع روح الاسلام والامام عليه السلام .

بالثروات ، واليوم قبورهم شبه خربة ، لا يزورهم الناس ، قبورهم غير مفروشة وقد غطّاها الغبار وفضلات الطيور ، وانت ابنهم وخلفهم الصالح والقوي . فيما قبور العسكريين عليهما السلام مجلّلة ، يحترمها الناس ، ويلجئون اليها يتوسلون بها لحلِّ مشاكلهم ، مع انهم كانوا في حياتهم اما مسجونون أو مبعدون أو مراقبون ، وكانوا علىٰ الدوام من اخطر منافسي خلافتكم . فالىٰ متىٰ تصبر يا خليفة المسلمين علىٰ ذلك ؟!

انهىٰ الوزير كلامه المتملّق وانتظر الجواب من الخليفة .

أمّا المستنصر فقد طأطأ رأسه بعد ان سمع ذلك الكلام ، وغاص في افكاره ، أمّا الحاضرون فكانوا ينظرون مرّة الىٰ الوزير واخرىٰ الىٰ الخليفة فيما يفكر كل واحد منهم بردة الفعل المترتبة علىٰ كلام الوزير .

كان الصمت ممزوجاً بالرعب في فناء القبر ، وبعد ثوان رفع المستنصر رأسه ونظر الىٰ الوزير (المحرك الرئيسي للموضوع) وبصوت تنتابه رجفة خفيفة من الألم ، قال له : « هذا أمر سماوي » ـ بمعنىٰ ان الاختلاف في المشهدين تقدير سماوي ـ ولا نستطيع ان نغيّر منه شيئاً ، لقد فعلنا كلما استطعنا عليه من اجل قبور آباءنا ، لكننا لا نسيطر علىٰ قلوب الناس ، فحكمنا علىٰ الابدان وليس الارواح ، لقد أرسلنا اثمن المفروشات الىٰ قبور آباءنا وجلّلناها وصرفنا عليها الكثير من الاموال ، لكي تتساوىٰ وقبور ابناء الرسول صلى الله عليه وآله ، ولكن الناس كانوا يأتون في منتصف الليل فيسرقون المفروشات والادوات من قبور آباءنا ، ولم يأت أو سيأتي احد لزيارتها ، في حين ان الناس تصرف آلاف الدراهم والدنانير علىٰ قبري العسكريين من جيوبها واتعابها ، فيشترون

المفروشات ويعلقون الستائر ، فما هو الحلّ ؟ وقلوب الناس خارجة عن متناول قوتنا وسلطتنا .

اقتراح بهمنيار على ابن سينا

اما القضية التاريخية الأُخرىٰ ، التي ترتبط بالقسم الثاني من كلامه ، فهو ما حدث بين الشيخ الرئيس ابن سينا واحد تلامذته المقربين ، اي بهمنيار .

وبهمنيار من تلامذة ابن سينا الملازمين له ، وكان محباً لاستاذه بشكل لا يوصف، وكان مقام ابن سينا العلمي ونبوغه الفكري وقابلياته وقدراته الجمّة ، جعلت منه نابغة في العلم ، فكان ابن بهمنيار متحيراً في ذلك ، مما دفعه لأن يقترح علىٰ استاذه اقتراحاً خطراً .

فقال في احد الايام : استاذ ! لماذا لا تدّعي النبوة ، وتعرّف نفسك بأنّك نبي من قبل اللّه ؟! لأن مثل ذلك الادّعاء يليق بك ، فلو ادعيت النبوة وانكرها البعض ، وأراد ان يعارضك في ذلك ، فسيتعرّف على عظمتك العلمية في أول كلام لك معه ، وسوف يطأطأ رأسه امامك اجلالاً لمنزلتك .

استاذي انت أُسوة أهل زمانك في جميع الفضائل ، فلا تتباطأ في هذا الامر ؟!

كان بهمنيار يلحّ علىٰ ابن سينا دائماً بذلك المقترح ، لكنه لم يسمع منه جواباً علىٰ ذلك ، حتىٰ جاء الشتاء ، وفي احدىٰ الليالي الباردة جداً ، حيث الوفر والجليد غطّىٰ الارض واغصان الاشجار ، كان ابن سينا مستلقياً في غرفة

دافئة يستريح ، فيما ابن بهمنيار يغطُّ في نوم عميق في مكان آخر من الغرفة ، كانت الساعة تشير الىٰ نهاية الليل ، نهض ابن سينا من نومه عطشان جداً ، لكنه لم يجد ماءً بالقرب منه في الغرفة ، فوضع ابن سينا يده علىٰ كتف بهمنيار وقال له بصيغة الأمر الممزوج بالمحبة: بهمنيار ! بهمنيار ! ففتح بهمنيار عينيه ، ووجد يد استاذه علىٰ كتفه ، فسلم علىٰ ابن سينا ، ورد استاذه عليه السلام ، ثم قال : العطش اضناني ووعاء الماء خارج الغرفة ، انهض وأئتني به .

فنظر بهمنيار الىٰ خارج الغرفة بعينين نصف مفتوحتين ، ورأىٰ البخار المنجمد علىٰ زجاج باب الغرفة ، فتذكّر شدّة البرد في الخارج ، وان عليه ان ينهض من فراشه الدافيء ويرتدي ملابسه لكي يأتي بالماء الىٰ استاذه ؟!

كانت هذه الأفكار تزعجه، فقرر في الفور أن لا يؤدي ذلك العمل، لكنّه ماذا عساه أن يجيب ابن سينا ؟ لم يكن باستطاعته أن يصرّح بعدم الاستجابة، لأن ابن سينا استاذه ونابغة العصر ومعلمه وملك الاطباء ، فأضطر أن يدخل الموضوع من باب آخر ، فقال : استاذ ! الطقس بارد خارج الغرفة ، والماء ايضاً بارد جداً ، في حين ان صدرك حار ، فلو شربت الماء البارد بهذا الشكل ، ستتعرض الىٰ الخطر بالتأكيد .

قال ابن سينا : أنا أُستاذك في الطب ، وآمرك ان تأتي بالماء .

وللمرّة الثانية كرر بهمنيار كلامه ولكن بلحن عذب وجميل ، لكنه رأىٰ استاذه مصرّاً على الاتيان بالماء .

وفي النهاية قرر ان يتكلم بصراحة ، فقال : انا لا استطيع تحمل برد

الخارج من أجل ان أتي لك بالماء ، وفيما كانوا يتكلمون في الأمر ، إذا بصوت جميل ينبض بالدفئ يصل من الخارج :

الهي لك الحمد ياذا الجود والمجد والعلىٰ

تــباركت تــعطي مــن تشــاءُ وتــمنعُ

فمن أين كان هذا الصوت ؟ كان الصوت يأتي من مأذنة المسجد ، وكان هناك مسلماً منشغلاً في ذلك الطقس البارد بمناجاة الذات الالهية المقدّسة ، وبعد فترة من المناجاة طلع الصبح ، وارتفع صوت المسلم نفسه بالاذان : الله اكبر ... الله اكبر...

مرّ ذلك الحادث ، وفي اليوم التالي كان بهمنيار يـتأهب للـدرس عـند استاذه ، فألتفت ابن سينا الىٰ بهمنيار وقال : اقترحت عـلي مـرات عـديدة ان ادّعي النبوة ، فهل علمت سبب عدم قبولي بأقتراحك ؟

قال بهمنيار : لا .

فقال له ابن سينا : بهمنيار ! مع انك أنت الذي اقترحت ذلك ، وكنت تصرّ كثيراً علىٰ ذلك ، وأنا معك منذ فترة واستاذك ، مع ذلك لم تكن سلطتي نافذة فيك بحيث تنهض في الليلة الماضية وتأتي لي بالماء من خارج الغرفة ، لكن في تلك الساعة وفي ذلك الطقس البارد الذي وكأنه شلّ قوة جميع الكائنات ، يـنهض رجل مسلم من فراشه الدافيء ويصعد علىٰ ذلك المكان المرتفع (المأذنة) الذي تعصف به الرياح الباردة من كل حدب وصوب لكي يقوم بعمل مستحب (ليس واجباً) أمر به الرسول صلى الله عليه وآله قبل اربعمائة سنة ، دون ان ينظر الىٰ برودة الجـو وبدون شعور بالألم بسبب البرد ، لكن نفوذ ذلك الانسان الرباني فـي اتـباعه

بدرجة يطيعون اوامره وينفذون وصاياه الىٰ هذا الحدّ !

فأنظر ـ والكلام لابن سنيا ـ الفارق الىٰ ايّ مستوىٰ ! اجل يابهمنيار ، فلا يمكن الادعاء بما للعظماء كذباً .

الاصدقاء جميعهم : الحقيقة عين ما اشرت إليه .

السبب الحقيقي لنفوذ نبي الاسلام ﷺ

العقيد : اصدقائي ارجو ان لا تستعجلوا الحكم ، مع ان كلام الشيخ لا يمكن انكاره الى حدّ ما ، فنفوذ الرسول محمد ﷺ ليس عادياً ، لكني اتصور ان جزءاً من نفوذ قدرة الرسول ﷺ في الناس الذين عاصروا ذلك العظيم هي الاعمال التي كانوا يرونها منه والتي كانوا يتصورونها معاجز ، في حين ان المعجزة والامر الذي ليس له اسباب وعلل طبيعية وعادية ، مشكوك فيه في عالمنا المعاصر ، والجزء الآخر من نفوذه والذي يرتبط بعصرنا فهو محصور بين المسلمين غير العلماء ، وطبيعي فالنفوذ الىٰ قلوب مثل هذه النماذج من الناس ليس امراً عجيباً أو صعباً .

طالب الطب ، حسن : انا اوافق سيادة العقيد في هذا الرأي .

الشيخ : اشكركم أيُّها السادة ، علىٰ طرحكم ماترونه موضع اشكال بحرية تامة ودون مجاملات ، وهدفنا من طرح هذه المواضيع هو دراسة الاشكالات التي يراها الاصدقاء في مواجهة الدين الاسلامي المقدس ، والاجابة عليها .

الاصدقاء جميعهم : نحن مسرورون لهذا اللقاء ، وهذا اليومِ الذي تعرّفنا فيه عليك لهو من اجمل ايام حياتنا ، فكلامك جميل ، واجوبتك وافية ، كما ان سفرنا يمضي بسرور ونحن مستفيدون من وقتنا .

الشيخ : تتلخص اشكالات سيادة العقيد في ثلاثة محاور :

الأول : ايمان اهل ذلك العصر بالنبي ﷺ كان بالمعجزة الىٰ حدّ ما .

الثاني : من الصعب اليوم القبول بالمعجزة .

الثالث : نفوذ رسول الاسلام ﷺ اليوم ، غالباً مانجده بين غير المتعلمين وغير العلماء .

وسنتكلم في المواضيع الثلاثة ـ ان شاء الله ـ حسب طريقتنا ، اي بشكل مختصر ومفيد .

أمّا الموضوع الأوّل :

خلافاً لما قاله سيادة العقيد ، فأن اغلب اهالي الجزيرة العربية والمسلمون الذين عاصروا الرسول ﷺ تأثروا بقوانين الاسلام التي جاء بها النبي ﷺ (طبعاً بالحد الذي كان المستوىٰ الفكري لذلك العصر يسمح به) وبالاعجاز القرآني من حيث الفصاحة والبلاغة وكذلك بحياة الرسول الكريم ﷺ التي كانت غريبة عنهم ، وليست بسائر المعجزات .

لأنه؛ إذا كان ايمان العرب بالرسول ﷺ حدث بالمعاجز فقط ، كان لابدّ ان يكون تقدم الاسلام وانتشاره سريعاً في السنوات الثلاثة عشرة التي قضاها

الرسول ﷺ في مكة بعد البعثة ، لان اكبر واعظم معجزاته كانت في مكة ، في حين ان نمو الاسلام في مكة وقياساً للسنوات العشرة التي قضاها الرسول ﷺ في المدينة يعد لاشيء ، بل اصبحت الحياة له لا تطاق في مكة وهو مهدد بالقتل فيها مما اضطره للخروج منها ليلاً والهجرة الىٰ المدينة بأمر من الله تبارك وتعالىٰ ، اما المدينة فقد استقبلته واحتضنته وعاهدته في الدفاع عنه بكل ما تستطيع ، وقد وفو بعهدهم اليه حقاً ، لكن ما الذي دعىٰ أهل المدينة لاستقبال النبي ﷺ واحتضانه والدفاع عنه بالغالي والرخيص ؟

لم تكن المعجزات هي التي جعلتهم يقومون بذلك ، لأنهم لم يروا أية معجزة منه يوم تعهدوا له بالدفاع عنه ، بل كان موسم الحج وقد جاؤا الىٰ مكة فسمعوا كلمات القرآن المحيرة ، وسألوا النبي ﷺ عن الاسلام وقوانينه واحكامه وما يدعو اليه ، وبعد ان تعرفوا عليه آمنوا به طوعاً ، وسبب افتتانهم به هو ان قبيلتين منهم (الأوس والخزرج) كانتا تتقاتلان لقرن من الزمن ، وكانت بينهما دماء ومآسي ، فكم من الشباب قتلوا وكم من النساء ترمّلن وكم من الاطفال تيتموا وكم من الآباء ثكلوا .

كان اهل المدينة قد عانوا الكثير ، كانوا يعيشون حالة من التوحش الكامل ، وقد ملّوا من الجرائم والدماء ، وكان انحطاطهم الاخلاقي بمستوىٰ جعلهم يستشعرون ضرورة وجود مصلح وقوانين عادلة تنقذهم من شقائهم ، كانوا بحاجة الىٰ قوة تستبدل البغض والحقد الذي في قلوبهم بالعاطفة والمحبة ، لقد فهموا ان عليهم ايقاف حمامات الدم تلك ونبذ حياة التوحش والظلم والجريمة .

ولكن ، من هو الشخص الذي يقوم بذلك العمل الجبار ويبلغهم تلك الآمال؟ من هو الرجل الذي يرفع لواء العدل ويجمع هؤلاء المظلومين تحت رايته؟ وهل يمكن ان يجدوا مثل ذلك الشخص وبتلك المواصفات في بلاد مثل الجزيرة العربية؟

اجل ، لقد رأىٰ اهل المدينة ذلك الرجل الذي ينشدونه في سفر حجهم وادركوا انه الوحيد الذي يستطيع انهاء وضعهم المأساوي ، ولهذا اجتمعوا حول الرسول ﷺ ونصروه في الشدائد والمشكلات ، ولماذا لا يفتتنوا بالرسول ﷺ ؟! ولماذا لا يفتدوه بأموالهم وانفسهم ، فرسول اللّه ﷺ ما رآه ذو قلب سليم وشاهد صفاته التي لا تجتمع لأحد ، إلّا وخضع امامه واستسلم له! فأي صخرة صماء ذلك الذي يرىٰ جميع تلك الفضائل : الوفاء والتواضع ، حسن الخلق ، نصرة المظلوم ، الرأفة ، الشجاعة ، الشهامة ، العفو ، الأدب ، الصدق ، الامانة، عدم الاعتناء بالدنيا ومئات الفضائل الأخرىٰ ، ولا يمتلىء قلبه بحب الرسول ﷺ ؟! فهل يمكن لبشر عادي ان يكون هكذا؟

اجل صفاته واخلاقه مع الناس ومع ابنائه وازواجه ومع اتباعه ومع العبيد والصغار و...الخ هي التي جعلت الناس تفتتن به ويكون له نفوذ في قلوبها ، وليست المعجزات التي جاء بها .

سيرة الرسول ﷺ المليئة بالفخر

سيادة العقيد ! من أجل أن يتّضح الموضوع بشكل جيد ، ولكي تعرفوا هل معجزات النبي ﷺ أو اسلوبه الاخلاقي هو الذي سخر قلوب اهل زمانه له ، سأضطر الىٰ بحث مختصر حول اخلاق الرسول ﷺ وفضائله وملكاته الفاضلة.

بلغ العلى بكماله   كشف الدجى بجماله
حسنت جميع خصاله   صلّوا عليه وآله

معاملة النبي ﷺ لأهل بيته

كان الرسول ﷺ مبتسم علىٰ الدوام مع اهل بيته ، ولم يكن فظّاً غليظاً معهم ، فقد كان يحنو عليهم ويعاملهم برأفة ، كان يحاول جهد الامكان ان لا يغتمّوا ولا يحزنوا ، وكان عادلاً بينهم حتىٰ انه لم يشتكي منه احد مدىٰ حياته ، يساعدهم في اعمال البيت ، وكان يقول : مساعدة الزوجة في عملها بالبيت صدقة ، ومع ان بعض نساءه كنّ يتجرأن عليه ويعاملنه وكأنه رجل عادي كسائر الرجال وكنّ يؤذينه ويغضبنه ويعترضنّ عليه ويتدخلن في اعماله ، مع ذلك كان النبي ﷺ محافظاً علىٰ عدالته بينهنّ ، ويجب ان لا نتصور ان جميع وسائل الراحة كانت متوفرة لتلك النساء ، لانهنّ نساء امبراطور الاسلام ، أبداً فلا

الرسول ﷺ كان امبراطوراً ، ولا نساءه كنّ مثل حريم الاباطرة .

فلم يكن لهنّ قصور ولا غلمان وجواري ، وفي بعض الاحيان لم تتوفر لهنّ ابسط ضروريات الحياة ، لكن ثغر النبي ﷺ الضحوك ووجهه البَشر وقلبه الرحيم العطوف ، كان بلسماً لكل صعوبات وضنك ذلك العيش .

تقول أُمّ سلمة : احدىٰ نساء النبي :

في ليلة زفافي ، حيث دخلت بيت رسول اللّه ﷺ كنت اسكن في غرفة لم يكن فيها الاّ قليل من الشعير ومطحنة يدوية ووعاء للعجين وقدر لعمل الخبز وكوز ماء ، فطحنت الشعير وعجنته وصنعت اقراصاً من الخبز ،اكلتها . وهكذا كانت حياة نساء النبي ﷺ حتىٰ في ليلة زفافهنّ .

معاملة النبي ﷺ لأبنائه

لا يمكن وصف المحبة والعطف الذي كان رسول الله ﷺ يغدقه علىٰ ابناءه ، لقد كان يحب ابناءه واحفاده كثيراً جداً ، كان يجلسهم علىٰ ركبتيه ويداعبهم ويقبل وجوههم ، حتىٰ انه كان يلاعبهم احياناً ، ومحبته لابنته الزهراء عليها السلام وابنائها عليهم السلام معروفة ومشهورة .

معاملة النبي ﷺ لأصدقائه

معاملة النبي ﷺ لأصدقائه ومحبيه ، تشبه معاملته لابنائه ، ولهذا السبب كان الرسول ﷺ محبوباً عند اصدقائه ، الى حدّ يفوق التصوّر.

وفي حادثة وقعت بعد معركة احد ،كانت مكة قد اعدّتها ودبّرتها، حيث جاءت مجموعة من الاعراب الىٰ الرسول ﷺ في المدينة وطلبت ان يذهب معهم جماعة من المسلمين لتبليغ الدين وبيان الاحكام ، فأرسل النبي ﷺ معهم جماعة من المسلمين برئاسة عاصم بن ثابت ، لكن الأعراب قاموا بقتل المسلمين غيلة إلّا اثنين منهم اسروهم وارسلوهم الىٰ مكة وباعوهم علىٰ المشركين ، وكان زيد بن دثنة احد الاسيرين ، فأشتراه صفوان بن أُمية، لكي يقتله ثأراً لأبيه ، وبعد ان سجنه لفترة ، تقرر ان يُقتل في يوم معين .

وفي ذلك اليوم اجتمع اهل مكة جميعهم ، ليشاهدوا قتل ذلك الشاب المسلم ، انتقاماً لقتلاهم في بدر .

وفي النهاية ، حانت ساعة الاعدام ، فجاءوا بـ«زيد» وقد اجتمعت جميع طبقات مكة من كبارها ورؤساء قريش من التجار والمزارعين والنساء والفتيات والاطفال ، اجتمعوا اطرف المشنقة ، في تلك اللحظات التفت أبو سفيان وهو زعيم قريش الىٰ زيد وقال : أتحبُّ ان يكون محمداً مكانك هنا حتىٰ يعدم وترجع انت سالماً الىٰ اهلك ، اقسم عليك بمن تعبد ان تقول الصدق ؟

فأجابه زيد : يا أبا سفيان ، أقسم باللّهِ ، أحبُّ ان أُقتل هنا ولا تصيب قدم النبي ﷺ شوكة فتؤذيه !فصاح أبو سفيان بعد تلك الاجابة : لم أرَ احداً اعزّ من محمد عند اصحابه .

أجل ، كان الرسول ﷺ ودوداً مع اصحابه للحد الذي جعلهم يهيمون بحبه ، فلم يحملهم في حياته شيئاً ، ومع انه كان القائد وزعيم المسلمين الذي

فتح الجزيرة العربية واخضع الجيمع للاسلام ، لكنه وفي احدىٰ اسفاره ارادوا ان يذبحوا شاة للأكل ،فتعهد كل واحد بعمل ، فقال احدهم : انـا أذبـحها، وقـال الآخر : انا اسلخها وقال الثالث : أنا اطـبخها ، فـقال النـبي ﷺ وانـا اجـمع الحطب للطبخ .

واضح ان العمل الذي تكفّل الرسول ﷺ به اشقّ من أعمال الآخرين ، لأنه كان يحتاج الىٰ كمية كـبيرة مـن حـطب الصـحراء ! لكـي تـطبخ شـاة ، لذلك قال المسـلمون : يارسـول اللّه ، نحن نجمـع الحطب ولا تـؤذي نـفسك انت .

لم يقل المسلمون ذلك مجاملة منهم للرسول ﷺ لأنهم بـذلوا كـل مـا يملكون من اجله ، هؤلاء الناس لا يتحدثون زيفاً وتملّقاً وانـما لم يـحبوا ان يتعب الرسول ﷺ نفسه .

لكن رسول اللّه ﷺ قال لهم : اعلم انكم لا تحبون ان اتعب ، لكني لا أُريد ان افضل علىٰ اصحابي ، واللّـه لا يـحب الذيـن يـميزون انـفسهم عـن الآخرين .

وهكذا عندما بنىٰ المسلمون مسجد المـدينة ، كـان رسـول اللّـه ﷺ يحمل معهم الحجارة والتراب ، وعندما حفروا الخندق [1] اختص الرسول ﷺ لنفسـه حصـة من العمـل كسـائر المسلمين ، بـل انـه كـان يـعمل اكـثر مـن الآخرين .

---

(١) هو الخندق الذي حفره المسلمون حول المدينة لصد الاعداء في معركة الاحزاب .

اصدقائي !

ألم يكن اهل الجزيرة العربية محقّون في الخضوع لهذا الرجل والافتتنان به ؟! وهل رأيتم رجلاً في العالم يتعامل بهذه الروح السمحة والمحبة للخير مع اتباعه والذين يأتمرون بأوامره وهو في قمة هرم السلطة ؟! هـذه التـصرفات والمعاملة الاخلاقية لا توجد الاّ عند رسول اللّه صلى الله عليه وآله .

معاملة النبي صلى الله عليه وآله لأعدائه

لقد عامل الرسول صلى الله عليه وآله اعداءه كما كان يعامل اصدقاءه واصحابه ، فأي شخص لم ينتقم بشدة في اليوم الذي يتسلط فيه علىٰ اعدائه وينتصر عليهم ؟! لكن الرسول صلى الله عليه وآله كان رؤوفاً بأعدائه ، ينظر اليهم بعين العطف ، وكان متسامحاً للحد الذي وصفوه ـ الاعداء ـ بالعظيم والكريم .

ففي غزوة ذات الرقاع ، كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله واقفاً الىٰ جانب نهر ، وفجأة جاء سيل وحال بين الرسول صلى الله عليه وآله وجيش المسلمين ، فرأىٰ احد جنود العدو ان الرسول صلى الله عليه وآله لوحده وبعيداً عن معسكره ، فجاءه شاهراً سيفه ظاناً ان اللـحظة مؤاتية لقتل الرسول ، وقال : يامحمد ، من سينجيك مني ؟

قال له رسول اللّه صلى الله عليه وآله : ربي .

ضحك الرجل مستهزءاً ، وهوىٰ بسيفه بقوة علىٰ الرسول صلى الله عليه وآله ، لكن اللّه وقىٰ الرسول صلى الله عليه وآله شره ، فوقعت به فرسه قبل ان يضرب ضربته ، ووقع عـلىٰ الارض ، فوقف الرسول صلى الله عليه وآله فوق رأسه وأعاد عليه كلامه ، قال : من سينجيك

مني ؟!

فقال الرجل وعيناه تبرق املاً : جودك وكرمك يامحمد !!

فما هو اساس ذلك الكلام في تلك اللحظات الحرجة ؟ هل قال الرجل كلامه تملّقاً ؟! بالتأكيد ، لم يقله تملّقاً .

لقد رأىٰ الرجل رسول اللّه ﷺ شاهراً سيفه فوق رأسه ، وتذكر اللحظات السابقة ، كان الوضع حرجاً بالنسبة له في الظاهر ، لانه لو قام النبي ﷺ بقتله كان قد فعل ماكان هو يريد فعله قبل لحظات ، الاّ انه لم يوفق لذلك ، والأمل الوحيد لذلك المشرك هو أن الذي يريد قتله ليس انساناً عادياً كسائر الناس بل هو رجل الحق ، كريم بمعنىٰ الكرم ، عفوّ ورؤوف ، لقد تكلّم الرجل المشرك بكلامه استناداً الىٰ تاريخ ذلك الرجل الذي يريد قتله ، فحياته مليئة بالكرم والبذل والعمل الصالح والمحبة ، ولا بدّ أنَّ المشرك تذكر تلك السنة التي اصاب القحط فيها مكة ، فكان ذلك الرجل الذي شهر سيفه الآن عليه ، مثل الأب الرحيم علىٰ ابناءه ، يشتري الطعام بأمواله واموال خديجة (بعد الاستأذان منها) ، كان يشتري القمح والشعير والابل ويقدمها الىٰ الضعفاء في مكة واطرافها ، وبذلك نجّاهم من الموت جوعاً .

كان المشرك يعلم ان هذا الرجل يحمل بين جنبيه قلباً عطوفاً رحيماً ، فكان محقاً بأن يأمل ويرجو في تلك اللحظات الحرجة تماماً ، لذلك قرر الاجابة علىٰ الرسول ﷺ بما يعرفه عن ماضيه وعطفه واحسانه ، لكن الوقت كان ضيقاً واللحظة خطرة ، فليس هناك مجال للأسهاب في الكلام ، ولهذا اجاب الرسول ﷺ موجزاً، وقال : « جودك وكرمك يا محمد ﷺ » ، أي عظمتك

ومقامك وعفوك ورأفتك يمكن ان تنجيني .

أجل، لقد فكّر ذلك الرجل بشكل صحيح ، وكان رجاءه في محله ، لقد انجاه كرم الرسول صلى الله عليه وآله لأنه عندما سمع تلك العبارة ، انزل السيف جانباً ، وقال للرجل : انهض واسرع الىٰ جيشك(١) .

أيُّها السادة !

ألا يستطيع هذا الرجل ان يسخر قلوب الناس بهذه الاخلاق والمكارم الالهية التي هي بذاتها من اكبر المعجزات ؟! هل ان تأثير هذه التصرفات في جذب قلوب الناس اقل من بيان سائر المعجزات ؟

اعجاز النبي صلى الله عليه وآله الاخلاقي عند فتح مكة

اشرنا من قبل أن اهل مكة شاهدوا اكبر المعجزات علىٰ مدىٰ ثلاثة عشرة سنة من بداية البعثة ، تلك المعجزات التي لو رآها أي انسان لأعترف بالنبوة والرسالة ، إلّا انهم كانوا اصم من الصخر فلم تؤثر فيهم ولم يؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وآله ، لكن اولئك الناس عندما شاهدوا عفو الرسول صلى الله عليه وآله وعطفه عليهم عند فتح مكة لانت قلوبهم وآمنوا بالدين .

لقد كان لمعاملة الرسول صلى الله عليه وآله لهم في ذلك اليوم اكبر الاثر في اسلامهم ، وهو بنفس الوقت خير دليل علىٰ ما قاله النبي صلى الله عليه وآله عن نفسه :

(١) روضة الكافي ، تأليف ثقة الاسلام الكليني قدس سره

« ادبني ربي فأحسن تأديبي ».

كما انه نموذج كامل لأسلوبه الاخلاقي في التعامل مع اعدائه.

دخل النبي صلى الله عليه وآله مكة دون قتال (سوىٰ مقاومة صغيرة من بعض المشركين ابيدت علىٰ يد جيش الاسلام).

ومكّة هي مسقط رأسه التي يهفو إليها قلبه علىٰ الدوام، حتىٰ في الليلة التي اراد ان يهاجر فيها الىٰ المدينة، نظر الىٰ اطرافها بحسرة، واغرورقت عيناه بالدموع، فنزل عليه الامين جبرائيل ووعده من جانب اللّه بأن يرجعه اليها. وكانت سنوات تمرّ علىٰ ذلك الوعد الالهي، والرسول صلى الله عليه وآله ينتظر، فمضت اشهر وسنين ببطء وحان الوقت الذي ينجز فيه الوعد.

* * *

عقد النبي صلى الله عليه وآله صلحاً مع كفار قريش وأهل مكة في الحديبية، إلّا ان الكفار لم يعملوا بمفاد الصلح، فكانت النتيجة ان الرسول صلى الله عليه وآله عزم علىٰ فتح مكة بأمر من اللّه، وسار نحوها بعشرة آلاف مسلم، وقد علم اهل مكة من خلال ابي سفيان « الذي ذكرنا تفاصيل لقاءه بالنبي صلى الله عليه وآله قرب مكة » بالتعبئة العامة للمسلمين.

طوىٰ رسول اللّه صلى الله عليه وآله الطريق بين المدينة ومكة، حتىٰ وصل الىٰ « ذي طوىٰ »[١]. نظر الىٰ ماحوله، فوجد جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل مستعدون

---

(١) مكان مشرف علىٰ مكة.

لنصرته وقلوبهم تطفح بالمحبة . فتذكّر يوم هجرته ، ذلك اليوم الذي خرج فيه خائفاً يريد الحفاظ علىٰ نفسه من مكة هذه . لكنه يعود اليها اليوم ومعه عشرة آلاف مقاتل من المسلمين الشجعان ، فمن الذي منحه تلك القوة ؟!

أهو غير ربّه الذي يدعوه ؟! بالتأكيد لا .

فلا احد يستطيع ان يحببه الىٰ قلوب الناس بهذا الشكل سوىٰ اللّه القادر والمهيمن ، اذن ، فاليوم هو اليوم الذي وعده به اللّه ، وقريب ما يتحقق الوعد الالهي .

نعم ، جميع ما حدث كان بنصر اللّه ، فلماذا لا يسجد له ، لماذا لا يعبده ؟ وكان ان صاح النبي صلى الله عليه وآله :

« لا إله الاّ اللّه ، وحده وحده ، انجز وعده ، ونصر عبده ، واعزّ جنده ، وهزم الاحزاب وحده » .

وذكر النبي صلى الله عليه وآله نِعَم اللّه ،تلك النِعَم التي يعجز عن شكرها ، واتقدت شعلة الحب الالهي في قلبه اكثر من ذي قبل ، يريد ان يسجد لربه ، لكنه لا يزال على ظهر الناقة ، تجسم العشق الالهي ورأفة اللّه به بحيث لم يستطع الصبر لينزل من علىٰ ظهر الناقة كي يسجد ، فسجد شكراً للّه وهو علىٰ الناقة ، ثم رفع رأسه من السجود ، فوقعت عيناه علىٰ مكة ، تلك المدينة التي تتوسطها الكعبة ، حيث بناها جده ابراهيم الخليل عليه السلام ، موطن آباءه والمكان الذي يهفو اليه قلبه .

جميع تلك الاسباب جعلته يناجي مكة ويظهر لها حبه ، فقال : اللّه يعلم احبك، ولولا ان اهلك اخرجوني عنك لما آثرت عليك بلداً ، ولا ابتغيت بك بدلاً ، واني لمغتم على مفارقتك .

فلماذا خاطب النبي صلى الله عليه وآله مكّة بهذا الكلام ؟!

وكأنما كان يسمع مسقط رأسه ، أي مكة هذه ، تعاتبه وتقول له : لماذا هجرتني ، وفارقتني ثمان سنوات ، ياحبيب الله ، انا ايضاً أحبك ، فلماذا تركتني الىٰ المدينة التي اخترتها بدلاً مني ، فهل كنت سيئة معك ؟!

وبعد أن أتمّ الرسول صلى الله عليه وآله كلامه ، تحرك من ذي طوىٰ ودخل الحجون[1]، فأغتسل هناك وركب ناقته حتىٰ يدخل مكة .

مكّة في انتظار النبي صلى الله عليه وآله

اجتمع اهل مكة ووقفوا مع زعماء قريش ورؤساء القبائل الىٰ جانب الكعبة ، لكي ينظروا دخول النبي صلى الله عليه وآله ، وكانوا يريدون بذلك أمرين :

الأول : رؤية رسول اللّه صلى الله عليه وآله .

الثاني : معرفة مصيرهم .

دخل النبي صلى الله عليه وآله مكة واستلم الحجر الاسود من علىٰ الناقة ، ثم ارتفع صوته صلى الله عليه وآله بالتكبير :

اللّه اكبر ... اللّه اكبر ...

فتعالت معه حناجر عشرة آلاف مسلم ... الله اكبر ... ، كان صوت التكبير يملأ سماء مكة وينعكس في جبالها ، لكن تأثيره في قلوب المشركين كان اشدّ .

---

(١) محل اقرب الىٰ مكة من ذي طوىٰ .

لقد خاف زعماء قريش من ذلك الصوت ، وكأنما سمعوا صيحة من السماء ، فأضطربت قلوبهم واخذت تخفق بشدّة .

بعد التكبير ، ترجل النبي صلى الله عليه وآله من الناقة ، ودخل الكعبة كي يطهرها من رجز الاوثان ، فلا يجدر ببيت بُنيَ ليعبد فيه اللّه ان يكون مأوىٰ الاثم ومركز الاصنام ، وكان علىٰ الرسول صلى الله عليه وآله ان يطهر البيت من تلك الاصنام والآلهه المصنوعة من الخشب أو الحجر .

وقام الرسول صلى الله عليه وآله بالاطاحة بالاصنام الواحدة بعد الأُخرىٰ ، بعصاه ، وهو يقول :

﴿ جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقاً ﴾(١) .

﴿ قل جاء الحق ، فما يبدىء الباطل ومايعيد ﴾ (٢) .

أجل ، لقد انتهىٰ زمان الاصنام وعبادتها ، انتهى عصر الانحناء والخضوع امام آلهة صنعت من معدن أو خشب علىٰ هيئة البشر ، لقد حان الوقت الذي يعبد فيه الناس الله سبحانه وتعالىٰ ، ويخرجوا من ذلّ عبادة هذه الاوثان ، الىٰ عزّ عبادة رب العالمين .

وبعد ان فرغ النبي صلى الله عليه وآله من الاطاحة بالاوثان ، توجه الىٰ اهل مكة ، فوجدهم قد اصطفوا مثل التماثيل التي صنعت من حجر ، وكأن علىٰ رؤوسهم الطير ، لا يتحركون ولايحركون ساكناً ، ووجوهم المصفرة تعبر عن اضطرابهم الداخلي (بعد ان شاهدوا قوة النبي صلى الله عليه وآله وجيش المسلمين) ، كانت عيونهم

---

(١) سورة الاسراء : ٨١.

(٢) سورة سبأ : ٤٩ .

تريد الخروج من حدقاتها من شدة الخوف ، كانوا غارقين في افكارهم ، ويتصورون المصير الذي ينتظرهم ، بعد تلك الحروب التي خاضوها ضد الرسول صلى الله عليه وآله والاذية التي آذوه ، لكنهم في نفس الوقت يرجون شيئاً من شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ، لأن اهل مكة يعرفون جيداً ، ان الرجل الذي دخل مكة اليوم ظافراً منتصراً ، هو محمد صلى الله عليه وآله ذو القلب العطوف والرحيم ، محمد صلى الله عليه وآله الذي من شيمه العفو عند المقدرة والصفح عمن اساء له ، محمد صلى الله عليه وآله الذي لا يظلم حتىٰ اعتىٰ اعدائه واقساهم ، محمد صلى الله عليه وآله ليس كالآخرين الذي لا يفكرون عند انتصارهم سوىٰ بالانتقام ، فهو الذي وصفه الله سبحانه وتعالىٰ في القرآن ، فقال :

﴿ وما ارسلناك إلّا رحمةً للعالمينَ ﴾(١)

فلماذا لا يرجوا أهل مكة فيه الخير ؟! ولماذا لا يمتزج خوفهم واضطرابهم بالامل ؟! لقد رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك الخوف والرجاء في وجوههم ، لكنه اراد ان يسمعه منهم ، فقال لهم : ماذا تقولون وتظنون ؟

فأجابه اهل مكة : نقول خيراً ونظن خيراً ، اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت .

كان جواب اهل مكة مزيج من الخوف والامل ، فعبارة « قد قدرت » استخدمت للتعبير عن الخوف ، لكن العبارات التي سبقت ذلك كانت مفعمة بالرجاء لكن كفة الامل والرجاء كانت تفوق احتمال الانتقام .

ومن حقّ أهل مكة ان يأملوا العفو والمسح من مثل ذلك الرجل العظيم ،

---

(١) سورة الانبياء : ١٠٧ .

لأنه لو كان يريد الانتقام منهم ، لما اعطىٰ أبا سفيان الامان ، وجعل بيته مأمناً لأهل مكة ، فلماذا لا يأملوا بعد ذلك ، في حين ان ابا سفيان في خارج مكة عندما التقىٰ برسول اللّه ﷺ وبعد ان شاهد جيش المسلمين وهو واقف مع العباس عمّ النبي ﷺ، كان قد سمع سعد بن عباد رئيس قبيلة الخزرج ، يقول بصوت عال :

اليوم يوم الملحمة ، اليوم تسبىٰ الحرمة ، اليوم تذل قريش .

فخاف أبو سفيان بعد سماعه ذلك الكلام ، واخبر الرسول ﷺ بذلك ، فقال له رسول اللّه ﷺ : لا تخف يا ابا سفيان ، سعد مخطيء ، اليوم يوم المرحمة ، اليوم تصان الحرمة ، اليوم تعزّ قريش .

ألم يكن اهل مكة محقّون في رجائهم ؟ لذلك اجابوا الرسول ﷺ وقالوا : نقول خيراً ونظن خيراً .

أما النبي ﷺ ، فعندما سمع جوابهم ذلك ، اغرورقت عيناه المباركة بالدمع ، وعندما رأىٰ ذلك أهل مكة تجلت امام اعينهم جميع اعمالهم السيئة السابقة ، فتذكروا التهم التي كالوها له ، والسباب والرمي بالحجارة والحصار في شعب ابي طالب ومهاجمة بيته ليلاً لقتله واجباره علىٰ ترك وطنه الىٰ يثرب ، ومئات الاعمال الاخرىٰ التي جعلتهم يقفون ذلك الموقف النادم اليوم ، وشاهدوا ايضاً ذلك الرسول ﷺ الذي قاسىٰ ماقاساه منهم ، لكنه يقف اليوم ويعاملهم بلطف ورأفة وهو المنتصر والفاتح الذي يستطيع الانتقام .

فالخجل الذي اعتراهم من مواقفهم تلك من جهة ، والرأفة والحب الذي شاهدوه من النبي ﷺ من جهة اخرىٰ ، اهاجتهم وجعلت اصواتهم ترتفع

بالبكاء ، لقد كان الجميع يذرفون الدموع ، النادمون من سوء اعمالهم ، والمنتصرون الذين عادوا الىٰ وطنهم وحرروا قبلتهم ، حتىٰ النبي ﷺ كان يذرف الدمع ، وبعد لحظات من تلك الحالة ، قال لهم الرسول ﷺ : سأقول لكم ما قاله أخي يوسف عليه السلام لأخوته الذين غدروا به :

﴿قال لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر اللّه لكم وهو ارحم الراحمين﴾(١).

صحيح انكم لم تنظروا فيّ انكم قومي وعشيرتي ، فأستبحتم ايذائي والوقوف بوجهي ، ولكن لاتخافوا « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ، ولا يحق لاحد ان يتعرض لكم ولأموالكم .

وبهذه الكلمات المتقطبة ، خطّ علىٰ اعمالهم السيئة وَغفر لهم اخطاء عشرين سنة بحقه .

اصدقائي الاعزاء !

أي واحدة من معجزات النبي ﷺ تستطيع ان تسخر قلوب اعتىٰ الاعداء مثل هذا الحدّ الذي يفوق تصور البشر ؟ ألم يكن هؤلاء الناس ، هم انفسهم الذين شاهدوا اكبر المعجزات علىٰ مدىٰ عشرين سنة ولم يأمنوا ولم تتغير نفوسهم ، بل كلما جاءهم الرسول ﷺ بمعجزة وآية جديدة ، كانوا يزدادون غضباً وغيضاً وتتحد صفوفهم اكثر في عدائه ، في حين ان العفو العام الذي أعلنه الرسول ﷺ وهو في الحقيقة من معجزاته الاخلاقية التي ليس لها

---

(١) سورة يوسف : ٩٢.

مثيل ، استطاع ان يحرك عواطفهم ، للحد الذي تعالىٰ فيه صوت البكاء من تلك القلوب القاسية حتىٰ ملأ ارجاء مكة .

النبي صلى الله عليه وآله لا يدعو بالسوء

وفي معركة أُحد ، بعد ان دحر جيش الاسلام قوىٰ المشركين ، وعلىٰ اثر غفلة المسلمين وعدم اطاعتهم أوامر الرسول صلى الله عليه وآله ، استفاد جيش المشركين من تلك الفرصة ، وهجم من جديد علىٰ المسلمين ، فكانت نتيجة حملاته المتكررة والشديدة ان فرّ المسلمون الاّ الرسول صلى الله عليه وآله ونفر من المجاهدين الذين صمدوا رغم شدة البلاء ، وقد جرح الرسول صلى الله عليه وآله وكسرّ سنّه وكان الخطر محيط به من كل جانب ، في تلك اللحظات ، قال له بعض اصحابه الذين صمدوا معه : ادعو يارسول اللّه علىٰ اعدائك بالهلاك . فقال صلى الله عليه وآله : مابعثت لذلك ، وانما بعثت لأكون رحمة للعالمين .

اجل هذه نماذج قليلة من معاملة النبي صلى الله عليه وآله لأعدائه .

معاملة النبي صلى الله عليه وآله لغلمانه

المعاملة التي كانت للرسول صلى الله عليه وآله مع غلمانه ، لا يوجد مثيل لها الاّ في عترته الطاهرة ، فلم يكن يُحسن إليهم فقط ، ويعاملهم كأفراد الاسرة ، بل وصىٰ المسلمين بهم كثيراً ، فقال : اطعموهم مما تطعمون والبسوهم مما تلبسون . ولم يطلب منهم يوماً القيام بعمل يذلّهم أو يكون لهم عاراً ، ولم يكن يشكل علىٰ

اعمالهم .

يقول أنس الذي لازم النبي صلى الله عليه وآله سنوات عديدة : خـدمت النـبي صلى الله عليه وآله عشرة سنوات ، فلم يزجرني بكلمة ابداً خلال تلك الفترة ، ولم يشكـل علىٰ ايّ عمل قمت به لرأفتـه ، ولم يؤاخـــذني علىٰ شـــيء لم افـعلـه أو عـمـل قصرّت فيه .

ورأفته كانت بحيث يقول أنس : طلب مني النبي صلى الله عليه وآله يوماً ان انـجز له عمل ، لكني شغلت في الطريق بمشاهدة لعب الاطفال ، فمضىٰ علىٰ ذلك وقت كثير ، وانا لازلت انظر الاطفال في لعبهم ، وفـجأة رأيت النـبي صلى الله عليه وآله يـمسك بقميصي من الخلف ، ويقول لي وهو يبتسم : اذهب الىٰ ماأرسلتك اليه .

محمد ﷺ مصدر الفضائل

•

وفاء النبي

كان الرسول ﷺ من حيث الوفاء ،لا ينسىٰ احداً قدم له خدمة ، الىٰ آخر لحظة في حياته ، فحليمة السعدية التي كانت مرضعته في الصغر ، كان كلما رآها يناديها يا اماه ، ويحسن اليها قدر استطاعته .

وفي معركة بدر أسر المسلمون مجموعة من المشركين ، وبأمر من الله سبحانه وتعالىٰ تقرر ان يدفع كل اسير فدية لكي يتحرر ، وكان من بين الاسرىٰ ، ابو العاص بن ربيع ، زوج ابنة النبي ﷺ زينب ، وكان قد تزوجها في مكة قبل البعثة ، كانت زينب في مكة ، فعلمت بحكم الرسول ﷺ ، فقامت بأعداد فدية لتحرير زوجها أبي العاص ، وارسلتها بيد رجل الىٰ المدينة ، ومن جملة أموال الفدية كانت هناك قلادة لأُمّها خديجة عليها السلام اهدتها إليها ليلة زفافها .

وصل الرجل الىٰ المدينة ، فدخل علىٰ رسول الله ﷺ ، وقدم فدية ابي العاص الىٰ النبي ﷺ ، فما ان رأىٰ رسول الله ﷺ قلادة خديجة بين تلك الاموال ، حتىٰ تأثر كثيراً وتذكر حب خديجة واخلاصها ، فانهال من عينيه الدمع .

أجل ، تذكر النبي ان هذه القلادة تعود لخديجة ، تلك الزوجة التي بذلت جميع أموالها في سبيل اهدافه السامية ، تلك الزوجة التي تحملت لوم نساء

العرب لحبها اياه ، خديجة تلك الوفية التي وقفت الىٰ جانبه ونصرته في جميع المواقف والابتلاءات ،فكم من ايام الصيف الحارّة التي كان الرسول يأوي فيها الىٰ الصحراء أو الىٰ جبال مكة من شدة الجراحات التي كانت تصيبه من جراء الرمي بالحجارة ، فكانت خديجة عليها السلام تحمل كوزاً من الماء وتبحث عنه بين الاحجار أو كثبان الرمل وهي تناديه بصوتها الحنون « حبيبي محمد » ثم تأتي به بكل عطف الىٰ البيت .

والآن ، يرىٰ رسول اللّه قلادة خديجة تلك امامه ، اذن من حق الرسول ان يتأثر ويذرف الدمع ، فهذا التأثر وذلك الدمع يعبر عن وفاءه ، صحيح انها رحلت إلّا انَّ حبّها لا يزال ثابت في قلب النبي صلى الله عليه وآله ، لقد رحلت خديجة الّا انَّ خدماتها للاسلام ورسوله لا زالت باقية في التاريخ .

النبي صلى الله عليه وآله معلم الاخلاق

كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله مثالاً وأُسوة في الاخلاق في حياته بين اولئك الناس الخشنين والبعيدين عن أي خلق اجتماعي . فلم يشتم احد علىٰ مدىٰ عمره ، ولم يأذي احداً بكلمة جارحة ، فكان مجلسه علىٰ شكل دائرة كي لا يمتاز احد عن الآخرين ، ولا يجعل للمجلس صدر وذيل ، حتىٰ ركبتيه كانتا عندما يجلس بمستوىٰ ركب الآخرين ، أو في بعض الاحيان متأخرة عنهم بعض الشيء ! ولم يكن يرتب هيئته أو محاسنه أو ملابسه في حضور الآخرين .

ولم يكن يمدّ رجليه في مجلس ، ولم يكن يأكل بشكل يؤدي الىٰ تنفر

الآخرين من الطعام ، ولم يحدد يوماً مكاناً له في مجلس ، حتىٰ انه كان ينهىٰ اصحابه عن ذلك .

وكان يجلس اين ماوجد مكاناً خالياً ، وكان اذا جلس مع أحد لا ينهض حتىٰ ينهض ذلك الشخص ، لا يقهقه اذا ضحك ،يحترم الشيوخ والطاعنين في السنّ بما يناسب مكانتهم ، وينظر بعطف الىٰ الصغار ، لا يقطع كلام أحد ، وهو ايضاً لا يتكلم الاّ عند الضرورة ، لايجادل في الحديث ، ولا يلوم احد لعيب فيه ، بل كان يوصيه برفع ذلك العيب علىٰ انفراد ، واذا كان في مجلس وقاموا بعمل يؤذيه ،كان يتغافل عنه ، لا يتكأ علىٰ شيء عند جلوسه ، يحترم الاشراف والكبار ، ينقل عبد الملك بن هشام في كتاب « السيرة » : عندما جاء المسلمون باسرىٰ قبيلة طي الىٰ المدينة ،كانت بينهم ابنة حاتم الطائي ، فقالت له : يامحمد ، هلك الوالد وغاب الوافد .

كان ذلك في اليوم الأول الذي التقته فيه ، لكنها لم تسمع جواباً منه، فستيأست من النتيجة ، وفي ثالث يوم حيث التقته ، لم تكن تريد الكلام ، لانها لم تجد كلامها مؤثراً ، لكن الامام علي أمير المؤمنين عليه‌السلام اشار اليها بتكراره ، فقالت وللمرّة الثالثة : هلك الوالد وغاب الوافد .

فقال لها رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : كنت سمعت كلامك وحررتك ،لكنني انتظرت قافلة اطمئن اليها كي اودعك معها حتىٰ تعودي الىٰ موطنك ،فعلمت ابنة حاتم الطائي انها نالت العفو منذ اليوم الأول ، وعدم اعطاء الجواب كان انتظاراً للقافلة تردّها الىٰ موطنها .

تواضع النبي ﷺ

رغم جميع تلك القوة والسلطة التي كانت لرسول اللّه ﷺ ، فـقد كـان متواضعاً مع الناس ، ومع ان قوته كان ترهب الدول العظمىٰ آنذاك ،لكنه كـان يسبق الآخرين في السلام ، فلم يرىٰ طول حياته ان يسبقه احد في السـلام (حتىٰ الاطفال) ، واذا كان يريد ذبح شاة ، كان يذبحها بيده ، وكـثيراً مـا كـان يحدث ان يدعوه الفقراء الذين كانوا يفترشون الارض الىٰ ان يجلس ويأكـل معهم ـ وهو في طريقه ـ فكان ﷺ وهو القائد العظيم ورسول رب العالمين ، يجلس علىٰ الارض الى جانبهم بكل سرور ، ويأكل معهم ، كان يقبل بـدعوة غلام اسود لأكل قرص شعير ، ويساعد اهل بيته في ادارة الرحىٰ ، وكان يحلب النعجة بيده ، ويرقع ثوبه أو نعله ، وعندما كان متجهاً الىٰ حرب خيبر كان يركب حماراً ، لجامه وسرجه من ليف النخل ، وكان ذلك يعبر عن التواضع فـي ذلك الزمان ، وفي احدىٰ المرّات كل رجلاً يحدثه ويرتجف ،فتألم النبي ﷺ مـن ذلك كثيراً ، وقال له : لماذا تخاف منّي ؟! فأنا لست ملكاً ، انا نبي .

أي انّ الناس يخافون عندما يقفون امام ملوك وجبابرة الارض ، لكـن يجب ان لا يخافون من الانبياء والرجال الربانيون ، لأنهم مع قوتهم، يـحبون للناس الحياة .

وعندما دخل عليه عدي بن حاتم قبل ان يسلم ، اجلسه النبي ﷺ علىٰ ردائه وجلس هو علىٰ الارض وهناك نـماذج كـثيرة عـلىٰ تـواضـع رسـول الاسلام ﷺ في حياته ، تجعل القارىء والمشاهد في غاية الحيرة ، أوليس من العجب ان رجلاً يسيطر علىٰ الجزيرة العربية ، وفي قبضته حياة وأموال اهلها ،

يذهب بعد كل صلاة صبح الىٰ طريق ينتهي بأحد آبار الماء ، حتىٰ تأتي النساء اللاتي لهن اطفال صغار ، فيضعن اطفالهن عند الرسول ﷺ والرسول يداعبهم ويلاعبهم حتىٰ تنتهي امهاتهم من سحب الماء من البئر ؟!

جود النبي ﷺ وكرمه

كان النبي ﷺ معروفاً بين جميع العرب بجوده وكرمه ، فبالاضافة الىٰ ان بني هاشم معروفين بالسخاء والكرم ، الاّ ان الناس ، كانت تنظر بعين اخرىٰ الىٰ الرسول الكريم ﷺ ، ويميزونه بالايثار .

كان رسول اللّه ﷺ يقدم الآخرين علىٰ نفسه في الحياة ، وكان يعطي الفقراء من الأكل واللبس الذي يحتاجه هو ، كان يبقىٰ جائعاً لفترات طويلة كي يشبع الآخرين ، وكان يرقع ملابسه لكي يلبس العراة قميصاً جديداً ، فلم يسأله احد ورجع مأيوساً ، ولم يأته صاحب حاجة ورجع بيد فارغة .

ولم يكن الرسول ﷺ يحلّ مشاكل الناس المالية فقط ، بل كان يسعىٰ في حلّ كل مشكلة يواجهونها .

قضاء النبي ﷺ

ينقل لنا التاريخ :

جاء رجل ثري من المسلمين يوماً الىٰ النبي ﷺ ، فرآه يرتدي قميصاً مرقعاً ، فأهدىٰ للنبي ﷺ اثنا عشر درهماً يشتري بها قميصاً له ، فأعطاها النبي

لعلي عليه السلام كي يشتري له قميصاً ، ذهب أمير المؤمنين عليه السلام الى سوق واشترىٰ قميصاً من القطن ناعماً بالدراهم ، وجاء به الىٰ النبي صلى الله عليه وآله ، نظر رسول اللّه صلى الله عليه وآله الىٰ القميص وتلمس نعومته ، وقال : ياعلي ! لا يليق بي ان ألبس هذا القميص الناعم والثمين ، لأنني أمير قوم لا يملك بعضهم الاّ قميصاً مرقّعاً ، خذ القميص واذهب للسوق وأقل المعاملة [1] .

فأخذ الامام علي عليه السلام القميص الىٰ السوق وأقال المعاملة وجاء بالاثني عشر درهماً فقدمها للنبي صلى الله عليه وآله .

فذهب رسول اللّه صلى الله عليه وآله مع علي عليه السلام الىٰ السوق لكي يشتري قميصاً اقل ثمناً من ذلك ، وفي الطريق شاهد جارية تبكي وتذرف الدمع ، وتجول في الطريق تبحث في الارض ، لكنها تزداد في كل لحظة حزناً ، فما أن رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك حتىٰ توقفت قدماه عن السير ، فتقدّم إليها وقال لها بعد السلام : ماذا يبكيك وعن اي شيء تبحثين ؟

لم يكن رسول اللّه صلى الله عليه وآله يستطيع ان يرىٰ الجارية تبكي ، لذلك سألها عن سبب بكاءها كي يساعدها في حلّ مشكلتها ، فهل كان الرسول يستطيع المرور منها وهي تبكي دون ان يسأل عن حالها ؟! طبعاً لا .

ولماذا هناك صنف من الناس ، لا يتأثرون من رؤية افجع المشاهد ، ولا يهمهم ان يروا معاقاً ، أو مريضاً ، أومظلوماً ، أو يتيماً ، أو عرياناً... الخ ،

---

(١) الاقالة ، عبارة عن : اذا ندم المشتري او البائع من المعاملة التي تمت وارجع الاخر لفسخها، فاذا كانت البضاعة التي تعاملوا عليها خالية من العيب ، يستحب في الاسلام ان يقبل الطرف الذي رجع اليه الفسخ .

مثل هؤلاء الناس يجب ان يشك في انسانيتهم .

والغريب ان البعض الآخر لا يتأثر فقط بمشاهدة احزان الناس وآلامهم ، بل يلتذ من ذلك احياناً ، وهؤلاء ممن ينظرون الىٰ البشرية علىٰ انها مجموعة من الاعداء ، يجب ان تنهش بعضها .

اما النبي صلى الله عليه وآله فكان يتألم اذا راىٰ شخصاً محروماً او يعاني من مشكلة ، لذلك فما ان رأىٰ الجارية تبكي حتىٰ سألها عن سبب بكاءها .

رفعت الجارية رأسها ، ونظرت الىٰ النبي صلى الله عليه وآله من خلف سحب الدموع ، وردت عليه السلام ، ثم قالت يا رسول اللّه :

ارسلتني سيدتي بأربعة دراهم كي اشتري بها لحماً ، وقد ضيعتها ، فبحثت عنها كثيراً في الطريق لكني لم اجدها .

فقدّم لها الرسول صلى الله عليه وآله مباشرة اربعة دراهم من تلك الدراهم الاثني عشر ، واتجه من جديد الىٰ السوق ، فرأىٰ في الطريق رجلاً فقيراً يرتدي قميصاً بالياً .

جاء الرجل الىٰ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وقال : يا رسول اللّه ! قميصي ممزّق ولا يستر جسدي .

فقال له النبي صلى الله عليه وآله : تعال معي الىٰ السوق حتىٰ اشتري لك قميصاً ، فذهب الرجل مع النبي صلى الله عليه وآله الىٰ السوق . فأشترىٰ الرسول صلى الله عليه وآله بالدراهم الباقية قميصين كل واحد منهما بأربعة دراهم ، فأخذ هو واحداً واعطىٰ الآخر للمسكين ، وتوجه هو الىٰ البيت ، وفي الطريق وجد تلك الجارية بيدها اللحم وهي تبكي ايضاً ، فسألها من جديد عن سبب بكائها ، فقالت : لقد طال خروجي

من البيت واذا رجعت ستعاقبني سيدتي .

فقال لها رسول اللّه ﷺ : تعالي معي لأشفع لك عند سيدتك ، فـمشت الجارية خلف النبي ﷺ ، حتىٰ وصلوا الىٰ البيت ، طرق الباب ، وسلمّ عـلىٰ أهل الدار ، فلم يسمع جواباً وللمرّة الثالثة سلمّ رسول اللّه ﷺ ، فردّت عليه سيدة من داخل البيت ، ثم قالت : ما الذي أوجب ان تأتي يا رسول اللّـه الىٰ دارنا ؟

فقال رسول اللّه : جئت لاشفع لهذه الجارية عندك ، فلا تعاقبيها .

فقالت المرأة: سوف لن اُعاقبها فقط بشارة بمقدمك الىٰ دارنا ، بل أهبها إليك يا رسول اللّه .

أمّا النبي ﷺ وبعد ان شكر المرأة ، قال للجارية : وانا اعتقك في سبيل اللّه ، ثم التفت الىٰ علي عليه السلام وقال : ما أكثر بركة هذه الدراهم الاثني عشر ، لانها كست عريانين واعتقت جارية .

اجل ، فهذه سيرة الرسول ﷺ في حياته ، لم يكن رسول اللّه ﷺ يبذل امواله فقط من أجل المحرومين والمستضعفين ، بل كان يبذل كل ما في جهده لحلّ مشاكل الآخرين ، لأنه كان لايطيق ان يرىٰ شخصاً يتألم ولا يشاركه هو آلامه .

هذه نماذج صغيرة لبعض صفات النبي ﷺ ، ولو اردنا ان نـعدّ جـميع فضائله فان اطنان من الورق لا تستوعب جانباً منها .

اصدقائي الاعزاء !

كيف تفكرون انتم بحق مثل هذا الرجل ؟! فلو ان احداً وقف امام مثل هذا الرجل بجميع تلك الفضائل والملكات الاخلاقية التي تفوق تصور البشر ، ماذا عساه ان يفعل ، محباً كان أو مبغضاً ، وصديقاً كان ام عدواً ؟!

ألم يكن أهل الجزيرة العربية محقّون ـ وهم في جهلهم ـ أن يضعوا أرواحهم على أكفِّهم أمام هذا الرجل ومن أجل بلوغ اهدافه السامية ؟!

أليست هذه الملكات الفاضلة في شخص لم يدرس جملة واحدة علىٰ مدىٰ حياته ولم يتصل بأي من العلماء ، ذلك الرجل الذي عاش في وحل الجزيرة العربية بين ناس لا يعرفون الاّ سفك الدماء والنهب ووأد البنات ، وبشكل عام بعيدون عن الانسانية تماماً ، اكبر دليل على حقانيته ؟!

أليس ذلك دليلاً علىٰ صدق كلامه ، الذي يعتبر الله معلمه الوحيد في الحياة . فيقول :

« ادبني ربي فأحسن تأديبي » .

ألا يمكن وبعد مشاهدة تلك التصرفات الاخلاقية في ذلك الرجل ، ان نقول ، ان هذا الرجل ، الهي ، سماوي ، رجل الحق ، والمرسل من قبل اللّه ؟!

الاصدقاء جميعهم : الحق ما تقوله ، لأنه لم يسبق في تاريخ الانسانية لرجل ان يجمع تلك الصفات والملكات الاخلاقية دون ان يتأثر بالبيئة التي عاش فيها !

الشيخ : والآن اترككم لتحكموا بانفسكم ، هل المعجزات اكثر تأثيراً من

هذا الاسلوب الاخلاقي في تسخير قلوب الناس ؟!

العقيد : أيُّها العمّ ! لقد اقنعتنا منذ بداية كلامك حين قلت : اذا كان نفوذ الرسول ﷺ في قلوب الناس يعود للمعجزات التي أظهرها لهم ، لكان تقدم الاسلام في مكة قبل المدينة واكثر منها . طبعاً استفدنا كثيراً من الدلائل التي اوردتها في بيان الاسلوب والنهج الاخلاقي الذي اتبعه النبي ﷺ مع الناس الذين كانوا فاقدين للصفات الانسانية ، وقد وجدت كلامك مطابقاً لأحدىٰ آيات القرآن الكريم، حيث يقول :

﴿ ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك ﴾[1].

لأن اللّه تبارك وتعالىٰ تحدث في هذه العبارة المختصرة والبليغة عن سرّ نفوذ النبي ﷺ في قلوب الناس آنذاك ، وذلك السرّ هو النهج الاخلاقي الذي اتبعه الرسول ﷺ وليست المعجزات التي اظهرها .

الطالب الجامعي (حسن) : اللعنة علىٰ اولئك الذين ينشرون اباطيلهم كالطاعون في بلادنا ، خاصة بين الشباب والمثقفين ، في حين ان كلامهم ما هو إلّا تُهم وافتراءات وشبهات ، ليبعدوا الناس من الاسلام الذي جاء لسعادة الانسان والمجتمع . والكثير من امثالي ، أمّا غير مطلعين علىٰ العقائد الدينية تماماً ، أو ان اطلاعهم محصور بتلك المواضيع التي تعلموها في الصغر من آبائهم وامهاتهم ، وبالاضافة الىٰ جهلهم بالاسلام ، فهم غير مستعدين لدراسة القضايا الاصولية والعلمية في الاسلام ، أو حتىٰ السؤال من الاشخاص الذين يمتلكون معلومات كافية في هذا المجال ، لكي يسمعوا الجواب المناسب .

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٩ .

أصدقائي، الحقيقة انني وقبل كلام هذا العمَّ الفاضل ، كنت اوافق سيادة العميد الرأي بأن نفوذ النبي ﷺ في الناس بالماضي هو بسبب المعجزات التي أتىٰ بها ، وكما تعلمون فالعلم اليوم لا يصدق المعجزة او اي شيء خارج عن العلل والعوامل الطبيعية، وذلك كله بسبب شائعات يلقيها اناس مغرضون في المجتمع وبين الشباب خاصةً، لكني اشكر اللّه الذي وفقني في هذه السفرة ، لان التقي بهدا الرجل العالم والاستماع الىٰ كلامه، فعلمت وتيقنت ان نفوذ الرسول ﷺ في قلوب الناس ، هو واحدة من اكبر الادلة علىٰ نبوته .

حقيبة الدكتور فارغة

واضاف حسن : لكن ومن اجل مزيد الاستفادة ، نرجوا منه ان يتحدث عن المعجزات من زاوية العلوم العصرية ، من اجل ان تحل ـ لربّما ـ هذه القضية بالنسبة لنا أيضاً .

الاصدقاء جميعهم : موافقون .

الدكتور : أيُّها السادة ، ألم تفكروا بالشيخ الذي يتكلم منذ ساعات ، انصفونا قليلاً ، دعونا نأخذ استراحة ونغير جواً ، فمن جاء معه بفاكهة او حلويات . عليه ان يخرجها !

العقيد : دكتور ! يظهر من كلامك انك تعبت ، وتريد ان تأكل ما جلبه الاصدقاء معهم الىٰ طهران ، وتجعلهم يرجعون الىٰ بيوتهم بأيد خالية مثلك، عندذاك سيواجهون عصيَّ نساءهم .

حسن : دكتور ، تريد ان توقعنا في فخٍّ ، لكن اطمئن حيلتك لم تنطلي علينا ، وقد تنبّهنا العقيد اليها ، وحقك لا نحن تعبون ولا نعطيك من فاكهتنا ولا حلوياتنا .

الدكتور : وبعد ضحكة طويلة ، أقسم انني لست تعباً ولا أُريد اكل شيء ، بل رأفة بهذا الشيخ .

الشيخ : ارجوك يا دكتور دعني وشأني ولا تجعلني سلَّماً الىٰ فاكهتهم وحلوياتهم !

فأنفجر الجميع بالضحك .

الدكتور : عجيبة هذه الشلَّة التي اجتمعت معها ، أيُّها الشيخ ! كان املي الوحيد فيك من بينهم جميعاً ، فلماذا اصبحت معهم ؟! لذلك ومن اجل الدفاع عن نفسي ، سأضطر لان اكون اول من يفتح حقيبته ، لكي تعلموا ان حقيبتي ليست خالية ، ولكن عليكم ان تخرجوا كل ما لديكم .

وبعد تلك العبارة ، نهض الجميع الىٰ حقائبهم ، وارتفع صوت الحقائب وهي تفتح ، لكن وبعد ثوان اتّضح ان حقيبة الدكتور فارغة ، فلا حلويات ولا فاكهة ، وهو أيضاً بهت من ذلك ، فلا يجد شيئاً كلما بحث اكثر في زوايا الحقيبة ، وفجأة ارتفع صوت الجميع بالضحك .

العقيد : دكتور ، الظاهر ان ظنّي كان في محله ، أم ان فاكهتك وحلوياتك غيبية ، لا تراها اعين ابناء الحلال .

الدكتور وهو ضاحكاً : سيادة العقيد ، اللعنة علىٰ ذلك الخادم !

اقسم ، انني البارحة كنت في منزل مضيفي ، فأوصىٰ خادمه بأن يذهب للسوق ويشتري لي كيلو من الحلويات وثلاثة كيلوات من انواع الفاكهة ، لأزيل بها مشقّة السفر .

وقد ذهب الخادم ، ثم جاء بعد ساعة وسمعت صوت حقيبتي تفتح ، لذلك كنت مطئمناً الىٰ انني احمل معي حلويات وفاكهة ، والان علمت ان ذلك الخادم فعل فعلته معي ، لانه من جهة انزل النقود في جيبه ومن جهة أُخرىٰ اخـجلني امامكم ، لذلك أُقدّم اعتذاري .

في النهاية ، بدأوا يأكلون الحلويات والفاكهة التي جاء بها باقي الاصدقاء ، وقضوا فترة من الوقت علىٰ ذلك .

المعجزة برأي العلماء والعلوم العصرية *

حسن : أيُّها العمّ ، أرجو ان تبدأ البحث الذي وعدتنا ايّاه ، أي المعجزات برأي العلماء والعلوم العصرية .

الشيخ : بديهي أفضل دليلاً علىٰ امكان الشيء وجوده العيني (الموضوعي)، ومع ان اغلب الحقائق الموجودة في العالم لها اسباب وعلل طبيعية، لكنه لا احد ينكر انه رأىٰ في حياته أموراً غير عادية لا تنسجم والاسباب الطبيعية، لربما تكونون قد شاهدتم بعض المرضىٰ الذين خضعوا للعلاج العلمي بأشراف اشهر الاخصائيين في الطب ، إلّا انهم لم يصلوا الىٰ نتيجة فقط ، بل سمعوا اجوبة تبعث علىٰ اليأس بصراحة من اطبائهم ، لكن هؤلاء الاشخاص ، شفوا من خلال تحول معنوي دفعة واحدة ، وهذه الحقائق الخارجية كثيرة بحيث لا يستطيع أي شخص انكارها ، ومن تلك الامراض ، العمىٰ الولادي والمعاقون الذين نشاهد ونسمع شفاءهم علىٰ الاقل مرّة أو مرتين في السنة ، في احدىٰ مشاهد الائمة عليهم السلام او سائر المشاهد واماكن الزيارة .

وقبل ان أتناول البحث العلمي في هذا المجال ، سأذكر لكم نماذج علىٰ

(*) على الرغم من أن موضوع المعجزات، أحد أهم المسائل والمشاكل الدينية المعاصرة، لكننا طرحنا الموضوع من جهة كونه مورد استناد جميع الأديان الالهية والأنبياء الكرام عليهم السلام وهدفنا منه هو اثبات وجود المعجزة فقط .

ما قلته وشاهده مئات الناس وله أدلة قطعية .

الاعمىٰ الذي أبصر

لقد رأيت شخصياً (مثل مئات الناس) رجلاً أعمىٰ منذ الولادة في مشهد قبل سنوات شفي بعد توسله بالامام الرضا عليه السلام ، وقد شاهد ذلك العديد من اهالي مشهد الذين لا يزالون علىٰ قيد الحياة ، والرجل أيضاً حي الآن ، والعديد من اهالي مشهد يعرفونه ، وقد ساعدوه عندما كان أعمىٰ ، هذا الأعمىٰ وبعد أربعين سنة من عمره ، كان في السنوات الاخيرة تقوده ابنته الصغيرة ، وتدور به الشوارع والازقة والصحن الشريف للأستجداء.

وفي احد الايام يكلمه شخص بالباطل في ابنته ، فيحزن بشدّة دفعة واحدة ، ويحدث عنده تحوّل روحي ، فتقوده ابنته وهو يذرف الدمع الىٰ الصحن الشريف ، ويتوسل الىٰ الامام الرضا عليه السلام ان يشفي اللّه بصره ، حتىٰ لا يحتاج في خروجه من البيت الىٰ قيادة ابنته ، ولكي لا يسمع بعد ذلك مثلما سمعه من ذلك الرجل ، بحقِّها ، وفيما لم يمض عليه حتىٰ ساعة من ذلك الانقلاب الروحي ، فجأة يجد نفسه مبصراً ، فيتخلص من تلك الحياة الاليمة ، والرجل حيّ لحد الآن .

الرجل الذي لا يجد لقدمه علاجاً

القصة الثانية ، تخص احد اصدقائي من طلبة العلم ، ففي احد الايام يشعر

بألم في رجله ، بحيث لايستطيع ان يضع كـعبه عـلىٰ الارض ولا المشـي إلّا بالاتكاء علىٰ العصىٰ ، وقد رآه العديد من اصدقائه والكثير من أهالي طـهران وقم علىٰ تلك الحالة سنين متوالية ، وقد راجع الرجل الكثير من اشـهر اطـباء طهران ، لكنهم وبعد الصور الشعاعية التي أخذوها لقدمه (والصور موجودة لحدّ الآن) قالوا له ان عظم الكعب فاسد وليس له أي علاج ، فيأس المريض نهائياً من العلاج .

بعد سنوات يسافر الرجل للحج ، وبانتهاء الموسم ، يعرّج علىٰ الكاظمية لزيارة الامامين الكاظم والجواد عليهما السلام ، هناك يلتقي بأحد اصدقائه الروحانيين (طلبة العلم) فيشكو له شدّة الألم التي يعانيها من قدمه ، فيعرّف له صديقه طبيباً يهودياً معروفاً في بغداد .

يقول الرجل : مع انني كنت ضـيفاً عـلىٰ الامـامين مـوسىٰ بـن جـعفر الكاظم ومحمد بن علي الجواد عليهما السلام فلم استحي في ان اراجع رجـلاً يـهودياً في مرضي (مع ان الرجـوع للـطبيب غـير المسـلم جـائز فـي الاسـلام ولا اشكال فيه).

يقول الرجل كلامه بتمام الاخلاص والنقاء القـلبي ، ودون أي تـصنّع ، يدير وجهه ويضغط علىٰ عصاه ويدخل الحرم الطاهر ، ويبدأ بالبكاء والتوسل ، وبعد دقائق يرىٰ ـ متعجباً ـ قدمه عادية ، يستطيع ان يقف عليها دون الحاجة الىٰ عصاه ، وفي تلك اللحظة التي تذكر فيها العصىٰ أخذ يبحث عنها فلم يجدها ، لقد ضاعت في زحمة الحرم ، وهو لم يعد بحاجة إليها .

يعجب المريض لذلك الحدث ، ومن اجل ان يطمئن لشفاء قدمه ، يـبدأ

بالركض في الصحن الشريف ، فيرىٰ نفسه قد شفي حقاً، وبعد ايّام يعود الىٰ طهران ويذهب الىٰ الاطباء الذين عجزوا عن علاجه ، فيحدثهم بما جرىٰ له ، فيعقد الاطباء لجنة لدراسة وفحص رجله ، فيأيدون شفاءها ويعترفون بأن الذي حدث ما هو إلّا معجزة ولا غير .

علماً ان الرجل واطباءه لا يزالون احياء ويسكنون في طهران .

حدث غريب في زاغ مرز

والاغرب مما ذكرناه ، هو ما حدث في زاغ مرز [1] قبل أربع سنوات ، خلاصته : في احدىٰ الأُسر المحترمة تمرضت طفلة بسن الثامنة مرضاً شديداً ، فكانت تعاني من الحمىٰ والضعف المفرط والصفار.

اخذها أهلها الىٰ اطباء مدينة بهشهر ، ووصفوا لها ادوية كثيرة ، دون ايّة نتيجة ، بعد ذلك اخذوها الىٰ اطباء مدينتي ساري وبابل (اهم مدن محافظة مازندران في شمال ايران) ولكن دون نتيجة أيضاً ، فجاءوا بها الىٰ طهران ، وتم تشكيل لجنة طبية لعلاجها ، وبعد فحص واختبارات دقيقة اعطوها بعض الادوية وعاد بها أهلها الىٰ قريتهم ، لكنهم لم يشاهدوا اي تحسن في صحتها ، لذلك اعادوها مرّة اخرىٰ الىٰ طهران ، وبعد فحصوصات اخرىٰ وصور شعاعية ادخلوها مستشفىٰ النجمية ، وطبقاً لتوصية ثاني لجنة طبية ، قاموا بعملية جراحية لها، لكنها أيضاً لم تتحسن بعد رجوعها الىٰ قريتها ، لذلك جاءوا بها للمرّة الثالثة الىٰ طهران وادخلوها غرفة العمليات ثانيةً، لكنهم لم يشاهدوا أي

(١) قرية تبعد ثلاثون كيلومتراً عن مدينة بهشهر، احدى مدن شمال ايران .

تغيير في حالها، فحملوها للمرّة الرابعة الىٰ طهران، وبعد عمليتن جـراحـيتين وكل تلك الادوية واللجان الطـبّيّة ومـصرف مـا يـقرب خـمسة عشـر الف تومان[1]، اخبروهم بأن ابنتهم لا تشفىٰ وان عليهم ان يقطعوا الامل بـتحسّن حالها وينتظروا ساعة وفاتها.

وطبيعي ان يتألم اهلها كثيراً لسماعهم ذلك الخـبر ، لقـد ذهـبت جـميع الاتعاب والمبالغ الكبيرة التي صـرفوها سـدىٰ ، فأعـادوها الىٰ البـيت وهـم ينتظرون موتها .

ولانه لا بدّ ان يفيق الناس من سباتهم العميق ويتذكروا ربهم من خلال مشاهدة قدرته وعظمته ، ولكي يتم الله حجته علىٰ العقول القاصرة والتي انساها ضجيج العالم المادي كل شيء ، حتىٰ الله .

فنرىٰ تلك المريضة التي يأس منها كل الاطباء والتي تنتظر ساعة موتها ، تقول وهي علىٰ ضعفها وكأنها تتحدث عن عالم الغيب :

« خذوني الىٰ مشهد، طبيبي الحقيقي ، هو الامام الرضا عليه السلام » .

وكان من الواضح ان لا يهتم اهلها بكلامها ، لان مثل هذا المريض الذي يأس منه جميع الاطباء وعجزت جميع الادوية عن علاجه ، لا يؤمن النـاس عادة بشفاءه بالطرق المعنوية والسبل غير الطبيعية لذلك لم يتقبل احد حديثها سوىٰ أُمّها المسكينة ، لكن ما عسىٰ تلك الأُم ان تفعل امام معارضة جميع افراد العائلة ؟

(١) ما يعادل ٢١٤٧ دولار وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت. (المترجم)

لكنهم ـ وبعد مداولات كثيرة ـ وافقوا في النهاية، وهم يرون أنَّ الفتاة لن تبلغ محطة القطار في بهشهر إلّا وهي جثة هامدة، وكان هذا رأي اطباء بهشهر الذين استشاروهم في الأمر أيضاً، لكن اصرار أُمّها كان أقوىٰ من جميع ذلك.

حملت الأُم ابنتها الىٰ بهشهر واشترت بطاقة قطار، وغادرت بهشهر.

وممّا يُذكر ان موظفوا محطة القطار امتنعوا عن بيع المرأة في بداية الامر بطاقة القطار، لانهم كانوا يرون ان المريضة سوف تموت في الطريق بعد ساعات من تحرك القطار، لكن مكانة الاسرة المرموقة واحترامها جعلهم يوافقون في النهاية ويبيعوهم البطاقات.

كانوا قد حجزوا لها غرفة هي وأمها وثلاثة نساء اخريات لمداراتها خلال السفر، وعندما جاء رئيس القطار لضبط البطاقات، تشاجر مع أُمّها وأراد ان ينزلها في احدىٰ المحطات التي في الطريق، لانه كان يقول انها ستموت قبل ان يصل القطار الىٰ مشهد. لكنه انصرف عن ذلك بعد مشاهدة بكاء أُمّها وتوسلها به، حتىٰ وصل القطار الىٰ محطة گرمسار [1] فأنزلت الأُم ابنتها بمساعدة النسوة الثلاثة، ثم ذهبت لشراء بطاقات الىٰ مشهد، ومرّة اخرىٰ يمتنع موظف المحطة عن بيعهم بطاقات لانه يقول بأن المريضة ستموت في الطريق، لكنه وبعد الحاح الأُم ومشاهدة دموعها، يبيعهم بطاقات فيركبونها ويتحرك القطار نحو مشهد، وتصل المريضة حيّة الىٰ مشهد، فيحملونها مباشرة الىٰ الصحن الشريف ويضعونها خلف الشباك الحديدي الذي يقع خلف ضريح الامام الرضا عليه السلام والمريضة تلفظ انفاسها الاخيرة، فيما الأُم تبكي وتذرف الدمع بحرقة وتطلب

---

(١) احدىٰ المحطات علىٰ طريق مشهد، حيث يلتقي فيها قطاري مشهد ومازندران.

من ثامن الائمة عليه السلام الشفاعة بشفائها من الله تبارك وتعالىٰ .

ثم جاء الليل ، وأوى الناس الىٰ بيوتهم للاستراحة ، ققلت أبواب الحرم والصحن الشريفين ، وذهب حرس وخدم الروضة الرضوية المقدسة الىٰ بيوتهم ، إلّا مجموعة من النساء بقيت خارج الحرم وداخل الصحن الشريف ، وبين الحين الاخر يأتون الىٰ المرأة يسألونها عن حال ابنتها التي لا تزال خلف الشباك الحديدي .

كانت الساعة تشير الىٰ نهايات الليل وقرب طلوع الفجر ، والأُم المسكينة تغط في نوم عميق من شدّة تعب السفر والمآسي التي انهكتها ، وهي علىٰ تلك الحالة ، اذا بيد علىٰ كتفها توقضها بشدة ، وصوت يقول بحنان : أُماه .. أُماه ! انهضي لقد شفيت ، أنا بصحة جيدة ، لقد شفاني الامام الرضا عليه السلام .

فتحت الام المسكينة عينيها بصعوبة ، فرأت ابنتها سليمة ذهب عنها المرض ، لكن المشهد كان مفاجئ بالنسبة لها فسقطت علىٰ الارض مغشياً عليها بعد صيحة عظيمة .

وعلىٰ أثر تلك الصيحة ، يحيط بهم الخدم الذين يحرسون الصحن الشريف ، وبعد دقائق تخرج المرأة من غيبوبتها وينتقل الجميع الىٰ فندق قريب .

كيف فسّرت برقية الشفاء ؟!

وفي أول فرصة ، تبرق الأُم خبر شفاء ابنتها وانطلاقتهم الىٰ البيت ، لكنهم يفسرون البرقية بموت الفتاة المريضة ، ويتصوّرون بأن كلمة شفاء كناية عن

موتها!

عند ذلك، يجتمع اقرباءهم ومعارفهم في البيت ويعقدون مجالس عزاء وبكاء و... أمّا الفتاة التي شفيت وأُمها والنسوة الثلاثة اللاتي معهنّ فيركبن الىٰ طهران، وللمرة الثانية تبرق الأُم خبر حركتها وابنتها الىٰ طهران، لكن خبر موت الفتاة كان من القوة بحيث لم يصدق اهلها البرقية الثانية، الىٰ ان يتأكدوا من صحتها وانها شفيت! فيتجمعون في محطة بهشهر لاستقبال تلك القافلة الصغيرة والمباركة القادمة من مشهد!

ينتشر الخبر بسرعة في بهشهر، فيأتي الاطباء الذين راجعتهم من قبل ويصدقون شفاءها التام. وقد مضىٰ علىٰ الحادث اربعة سنوات فقط، والفتاة لا تزال بصحة جيدة دون اية علامات مرضية حتىٰ جزئية، كما ان الاطباء الذين عالجوها في بهشهر وساري وبابل وطهران وكذلك الجراحون الذين اجروا لها عمليتين جراحيتين، لا يزالون علىٰ قيد الحياة، وهكذا الفحوصات والصور الشعاعية لا تزال موجودة.

هذه ثلاث حوادث غير طبيعية ولا تنسجم والاسباب والعلل العادية، وهي من المعاجز التي وقعت في السنوات الاخيرة، وجميعها كنت شخصياً قريباً منها، ولو اردت ان اذكر لكم ما سمعته، فأن مجلسي يطول اشهراً وسنوات!

المعجزات من الزاوية الطبيّة والعلميّة

من حسن الحظ ليس لدىٰ العلوم العصرية دليلاً قطعياً ينفي وجود

المعجزة والأُمورالخارقة ، بل ان تلك الحوادث غير الطبيعية والتي لا تتفق مع أي علة او سبب طبيعي كثيرة في بلدان العالم للحدّ الذي لفتت انتباه كبار علماء العصر واجبرتهم علىٰ الاعتراف بها صراحةً.

الدكتور الكسيس كارل[١] الفيزيولوجي [٢] وعالم الاحياء [٣] أوّل من حاز علىٰ جائزة نوبل [٤] في الولايات المتحدة ، والذي يشغل منصب رئاسة العديد من المراكز الطبية والعلمية في اوروبا وعضو في الكثير منها ، يقول في كتابه « الانسان ذلك المجهول»:

هناك من يؤمن بالمعجزة والعلاجات السريعة في الاماكن المقدسة في كل عصر ومكان ، اما اليوم فقد ضعفت اسس تلك العقائد ، كما ان بعض الاطباء ينفون وجود المعجزة بشكل تام ، ومع ذلك يجب التأمل في تلك الامور التي نمتلك عنها مشاهدات !

وقد تم جمع العديد من تلك المشاهدات بواسطة مؤسسة لورد[٥] الطبية ، ومعلوماتنا في التأثير السريع الذي يتركه الدعاء في شفاء المرضىٰ لا يتجاوز احوال المرضىٰ الذين كانوا يعانون امراضاً مختلفة ، مثل : السل والسرطان والجذام و ... وقد شفوا بالدعاء.

اما كيفية ذلك فلا تختلف كثيراً عن بعضها فالغالب يعانون من آلام حادة

---

(١) Dr . Alexis Carrel.

(٢) Phsiologist.

(٣) Biologie.

(٤) Nobel.

(٥) Lourde، مأخوذة من محل يحج إليه الزوار المسيح للزيارة والدعاء.

وعوارض مرضية، يشفون منها بسرعة ، وما هي الاّ دقائق او ساعات حتىٰ تلتئم الجروح وتغيب علامات المرض وتفتح شهية المريض ، وفي بعض الاحيان تختفي الاختلالات العملية قبل الصدمات العضوية .

في حين انه ومن اجل تغير شكل العظام في مرض البوت [1] او العقد اللنفاوية المصابة بالسرطان وعودتها الىٰ حالتها الطبيعية ، يحتاج في الاغلب الىٰ يومين أو ثلاثة !

وهذا الشفاء الاعجازي ، يصاحبه سرعة عجيبة في التئام الاصابات العضوية ، ولا شك ان ميزان هذا الألتئام والشفاء اسرع واكثر من الحدّ الطبيعي .

ويقول الدكتور الكسيس كارل أيضاً في كتاب « الدعاء » :

لقد قدمت مؤسسة لورد الطبية خدمات كثيرة في المجالات العلمية ، حيث اثبتت حقيقة هذه العلاجات ، فللدعاء بعض الاحيان تأثيرات عجيبة، لقد كان هناك العديد من المرضىٰ يعانون آلاماً لا تنقطع جرّاء الجذام أو السرطان وتعفن الكلىٰ والسل الرئوي او العظمي و.... ، لكنهم شفوا بعد ذلك .

اصدقائي الاعزاء !

تلاحظون كيف يعترف الدكتور الكسيس كارل في كتابيه ، وكيف تنفي

Patt – ١

المشاهدات القطعية والوثائق التي تم جمعها في كلية لورد الطـبية ، نـظريات بعض الاطباء ، وهذا الاعتراف من شخصية علمية كبيرة مثل الدكتور الكسيس كارل جديرة بالاهتمام، لان العالم المذكور ليس كبعض المتدينين يتكلم فيما سمعه فقط ، وانما هو شخصية علمية معروفة، لكلامه قيمة عالية في جميع انحاء الغرب ، كما ان لكلامه قيمة علمية خاصة .

هذا الرجل وبتلك المكانة العـلمية التـي يـمتلكها ، يـعترف بـصراحـة بالمعجزات استناداً الىٰ وثائق قطعية !

ويعترف الدكتور الكسيس كارل في كتابيه المـذكورين بـصراحـة؛ بأن بعض الامراض مثل البوت او سرطان الغدد اللمفاوية مع فرض علاجها فأنـه يصاحبها تغيير في شكل العظام، او يحتاج ذلك الىٰ ايام من اجل التئام الجروح او تحسن بعض الصدمات العضوية، في حين ان هذا النوع من الشفاء، تلتئم فيه الجروح بثواني او سـاعات قليلة عـلىٰ ابـعد مـدىٰ، وتـزول فـيه الصـدمات العضوية.

ومن اعجب واخطر الامراض التي ذكرها الدكتور كـارل ، هـو مـرض السرطان ، الذي لا يزال العلم عاجز عن علاجه ، او اكتشاف دواء له ، للـحد الذي مات فيه قبل سنة وزير خارجية امريكا، دالاس بهذا المرض وهو في اكثر البلدان تطوراً في مجال الطب ، وهذا المرض الذي عجز العلم حتىٰ اليوم عن علاجه عـدّه الدكـتور كـارل مـن جـملة الامـراض التـي شـفيت بـالمعاجز والكرامات ؟!

وينقل الدكتور فرانك لاباخ [1] في كتابه « الدعاء اكبر قوة في الكون » مواضيع كثيرة، تحت عنوان « الدعاء لأئمة العالم » او عناوين اخرىٰ ، وقد نقل الدكتور لاباخ بدوره قسم من تلك المواضيع عن صحيفة « يونايتد پرس » الامريكية المعروفة ، وقسم آخر منها عن شخصيات عديدة ، مثل : الجنرال كينك والجنرال مك آرثر ، والجنرال روي. اس . كايغر قائد القوة البحرية .

ولمزيد الاطلاع يمكن للسادة المحترمين الرجوع الىٰ كتابه المذكور وكذلك الىٰ الكراس الذي اعدّه البروفيسور ليونيان ، بعنوان « ما هي المعجزة ؟» .

اذن فحدوث المعجزة او الامور غير العادية ، امر غير مرفوض حتىٰ في البلدان الغربية، وقد اعترف بذلك كبارالعلماء واهم المراكز الطبية بمنتهىٰ الصراحة ، وعلىٰ حدّ قول الدكتور الكسيس كارل : لقد خدمة مؤسسة لورد الطبية العلم كثيراً بأن اثبتت حقيقة مثل هذا الاستعلاج والشفاء .

ولادة عيسىٰ عليه السلام بدون أب من منظار العلوم العصرية

الدكتور : كلامك مقنع جداً ، خاصة في استنادك الىٰ اقوال الدكتور كارل والدكتور فرانك لاباخ وبروفيسور ليونيان ، لكن يجب ان لا ننسىٰ ان كلام هؤلاء واعتراف مؤسسة لورد الطبية هو حول الامور الخارقة وغير الطبيعية

---

(١) Dr . Frank Lawbach.

الشائعة والتي تحدث عدة مرات في السنة الواحدة في اماكن التبرك والزيارة، وليس كلامهم حول قضية اعجازية وغريبة يؤمن بها المسلمون، وللأسف فان القرآن هو مصدرها، في حين ان الايمان بمثل هذا الامر لا يمكن تفسيره علمياً بأي شكل!

هنا ينظر الحاضرون جميعاً! الىٰ الدكتور بتعجب، فيما الشيخ ينصت له بإمعان، لكي يعرف الموضوع الغريب الذي يعتبر القرآن مصدر الايمان به، لكن الشيخ فقد صبره في النهاية وقطع كلام الدكتور قائلاً:

سعادة الدكتور! ارجو ان تقول لنا بسرعة ما هو الموضوع الذي جعلك تعجب الىٰ هذا الحدّ!

الدكتور: الموضوع هو عقيدة المسلمين (مثل المسيح) بعيسىٰ، لان المسلمين أيضاً وتبعاً للقرآن الكريم يؤمنون ان عيسىٰ ولد بدون أب! مع ان هذا الكلام مردود من منظار العلم.

الاصدقاء جميعهم: نظرية الدكتور صحيحة تماماً ونحن جميعاً نؤيدها، لان ولادة طفل بدون أب من المواضيع التي لا تنسجم واية واحدة من الأُصول العلمية، ولذلك تجد المسلمين لا يتحدثون بذلك إلّا حول عيسىٰ فقط.

الشيخ: اساساً، هذا الموضوع الذي يراه السادة الاعزاء غريباً يتطابق والقواعد العلمية والاكتشافات العصرية، ولكن من اجل توضيح المسألة التي ترونها عجيبة ومردودة، أودُّ الاستماع الىٰ كلامي بدقّة.

الاصدقاء جميعاً: اطمئن يا عمّ، كلنا آذان صاغية.

الشيخ : من اجل تشكيل الجنين في الرحم ، لا يكفي فقط وجود الأب ، كما يتصوّر اغلب الناس ، بل يحتاج أيضاً الىٰ الخلايا الحيّة الموجودة في بويضة المرأة ، فالحيمن الموجود في نطفة الرجل والذي يسمىٰ « اسبرما توزويد» [١] يلتقي ببويضة المرأة التي تسمىٰ « اوفل »[٢] بعد عبوره من المهبل وعنق الرحم، وفي الرحم أو في أنابيبه (انبوبا فالوب) يتمُّ لقاح البويضة، ويتّحد معها الحيمن وينتج عن ذلك كائن جديد يتحول الىٰ جنين في الرحم .

اذن ، ليس فقط يشترك الرجل والمراة في التركيبة الاولية لجسم الطفل والتي تسمىٰ « النواة » ، بل ان حصة المرأة في تلك الخلية الاولية (النواة) وعلىٰ حدّ اعتراف الدكتور كارل وعلماء آخرين ، اكثر من الرجل ، لان البروتوبلاسم الذي يحيط بهذه النواة يأتي من المرأة ولا يشترك معها الرجل في ذلك !

خلاصة الكلام ، هو ان اهمية نطفة المراة في التشكيل الاولي لجسم الطفل بحدّ يمكن معه تهيئة المواد الموجودة في نطفة الرجل من الخارج وبذلك تنتفي الحاجة لنطفة الرجل في تكوين الجنين ، استناداً لشهادة العلوم والاكتشافات العصرية ، في حين ان الحاجة لنطفة المرأة اساسياً ولا يمكن استبدالها بغيرها .

يقول عالم الاحياء « الدكتور الكسيس كارل » :

عندما افكر في حصة كل من الاب والام في التكاثر ، عليَّ ان اتذكر

(١) Spermatozoide.

(٢) ovel.

تجارب لوب[1] باتايون[2] حيث تمكنا من ايجاد ضفدعة من بويضة غير ملقحة ودون تدخل حيمن وذلك عن طريق تقنيات خاصة، وبهذا الشكل يمكن استبدال الحيمن بعوامل كيميائية او فيزيائية، في حين انه لا يمكن الاستغناء عن بويضة المرأة بأي حال[3].

وبالاضافة الىٰ ذلك فنظرية « ولادة الباكر» مطروحة علمياً علىٰ المستوىٰ العالمي، وهي حقيقة يذعن لها الطب.

ايها السادة !

تلاحظون كيف يعترف الدكتور كارل صراحة انه يمكن استبدال حيمن الرجل بعامل فيزيائي او كيميائي، بل ان لوب وباتايون قد جرّبوا هذه النظرية العلمية فيما يخص الضفدع، وكانت النتيجة ايجابية.

ومع الاخذ بما ذكرناه اعلاه، فهل من التعجب او الغريب ان يستطيع خالق الكون الذي منح القوة للانسان ودلّه علىٰ آلاف القوانين التي تسيّر الكون ان يخلق طفلاً (عيسىٰ) من امرأة (مريم) بدون أب ؟ في حين ان الانسان الذي هو مخلوق تلك القوة الجبارة يمكنه ان يوجد جنيناً من خلال ادخال عوامل فيزيائية او كيمياوية علىٰ بويضة المرأة ودون الحاجة الىٰ حيمن الرجل، علىٰ الرغم من محدودية عقله وامكانياته ؟!

---

(١) Loeb.

(٢) Bataillon.

(٣) الانسان ذلك المجهول.

واستناداً الىٰ تلك التجربة العلمية القطعية ، فهل من الصحيح القــول : ان ايمان المسلمين في ولادة عيسىٰ ـ عليه وعلىٰ نبينا وآله السلام ـ بدون اب ، لا ينسجم والاصول والقواعد العلمية ؟!

ما تحدّث به علماء اوروبا
حول نبي الاسلام ﷺ

الدكتور : لقد استفدنا كثيراً من المواضيع التي طرحتها ، ونحن مسرورون بلقائنا رجلاً عالماً مثلك ، لذا نطلب منك ان تتحدث عن الموضوع الثالث الذي وعدتنا به ، اي نفوذ نبي الاسلام في العصر الحاضر .

الشيخ : بعد شكري لشعوركم النبيل ، ابدأ كلامي في الموضوع الثالث الذي وعدتكم به .

اصدقائي !

أي شخص يمتلك اقل اطلاع عن مقولات كبار العلماء والمستشرقين أو انه رأىٰ كتاباتهم ، تتضح له هذه الحقيقة دون اي شك ، وهي : ليس هناك عالم منصف او شخص يمتلك اقل المعلومات حول نبي الاسلام ، إلّا وعظّمه واحترمه واجلّه ونظر اليه نظرة جديرة بشخصية عالمية عظيمة في تاريخ البشرية ، والحقيقية هي ان الاقلام غير المغرضة والصادقة عندما تريد الكتابة عن احوال افضل شخص في عالم الانسانية ، كتبت عن حياة رسول الاسلام المليئة بالفخر والاعتزاز .

ونستطيع القول : ما عدا مجموعة قليلة من اشباه العلماء الذين وظّفوا

علومهم للتقرب غير المشروع الىٰ اجهزة السلطات القوىٰ العظمىٰ الدنيئة ، وما عدىٰ اقلام السوء التي تتحرك للابقاء والمحافظة علىٰ سلطات البابا والقساوسة الذين نسوا الله وتاهوا في بحر الضلال ، وما عدىٰ اولئك الذين باعوا شرفهم وانسانيتهم مقابل حفنة من الدنانير والدراهم ، وبشكل عام ، ما عدىٰ اولئك الذين يعدّون عار تاريخ البشرية ، لا يوجد انسان حرّ وصاحب نظرة ثاقبة وسليمة او عالم مطلع في اي من الاديان والمذاهب ، إلّا ويحني رأسه امام عظمة رسول الاسلام الكريم ، وذكره بأفضل الكلمات والتعابير .

لا اتكلم عبثاً

ولكي يعلم اصدقائي ، ان كلامي ليس عبثاً وانما يستند الىٰ دليل ، ومن اجل ان يعرفوا ان نفوذ نبي الاسلام صلى الله عليه وآله العلمي في القلوب الطاهرة لاكثر العلماء غير المسلمين ليست هي بأقل من نفوذه في قلوب اتباعه ، سأذكر لكم اقوال بعض اشهر علماء العالم حول رسول الله صلى الله عليه وآله (للحد الذي يسمح به وقت سفرنا القصير) .

ولكن قبل ان ابدأ بنقل كلام اولئك العلماء ، اود ان الفت انتباه اصدقائي الاعزاء الىٰ اهمية الموضوع ، وهو انه ليس عجيباً لو قام شخص مسلم بمدح الرسول صلى الله عليه وآله والثناء عليه لانه علىٰ اي حال من اتباعه .

ولأن ذلك المسلم ومهما كان عالماً ، فانه ينظراليه علىٰ أنه رسول من قبل الله سبحانه وتعالىٰ، وسيحكم علىٰ الرسول ، علىٰ اساس ايمانه هو بالنبوة .

أمّا اذا امتدحه عالم غير مسلم وشخصية علمية كبيرة تعتنق ديانة وعقيدة اخرىٰ علىٰ الرغم من تعصبه الطبيعي الذي يحمله لمعتقده، فذلك جدير بالاهتمام وله قيمته الخاصة، لان ذلك الشخص ينظر بعين علمية مجردة الىٰ الرسول ويدرس الرسول ﷺ والديانة التي اتىٰ بها من الناحية القانونية، وعلىٰ هذا الاساس يحق لنا ان نعجب اذا اعتبر احد علماء المسيحية ـ مثلاً ـ وهو الذي تَبعَ عيسىٰ المسيح، ان رسول الاسلام شخصية كاملة وفذّة في تاريخ الانسانية وهو اكمل وافضل البشرية كمالاً وملكات اخلاقية وعلمية...

وهنا ننقل لكم بعض ما قاله او كتبه العلماء غير المسلمين من الشرق والغرب، حول نبي الاسلام ﷺ:

١ ـ ماذا يقول بك الخوري ؟!

بك الخوري احد كبار علماء المسيحية، وفي احدىٰ التجمعات الرسمية التي اقيمت في دمشق. وضمن خطاب طويل، قال:

هذا هو محمد، اعظم عظماء الدنيا، وسوف لن ترىٰ الدنيا مثيلاً له، فدينه المقدس، اكمل اديان العالم، وشريعته المقدسة، تحتوي علىٰ اربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وادبية وتشريعية[1].

لقد دعىٰ رسول الاسلام الناس باسم الله المبارك الىٰ دينه، والشريعة

(١) الظاهر أن هذا العالم المسيحي لم يلحظ إلّا أربعة آلاف مسألة من المسائل الاسلامية وإلّا فأن هذا الرقم الصغير لا يكفي لبعض كتب الفقهاء لوحدهم.

المقدسة التي اتىٰ بها هذا الرجل الكامل للانسانية ، لابد ان يصدقها اي عالم ومشرّع منصف ، لان هذا الدين يخطوا الىٰ الامام الىٰ جانب العلم ، وهو مطابق لاسمىٰ نظام كامل للحقائق العلمية .

محمد اعظم العظماء السابقين واللاحقين علىٰ الارض

لقد استطاع بشكل جيد ان يجعل من العرب الذين كانوا يعيشون الفرقة والجاهلية ، امة واحدة وموحدّة ، واستطاع ان يفتح العالم آنذاك ، ولقد اتىٰ بأكبر دين يحتوي علىٰ جميع الحقوق والواجبات والاصول في التعامل بين الناس علىٰ اساس ارقىٰ واكمل الاحكام في العالم .

٢ ـ رسالة الدكتور شمّيل التاريخية ؟!

الدكتور شبلي شمّيل ، أحد كبار مفكري وفلاسفة مصر في القرن الاخير ، وهو من قادة المذهب المادي ولم يكن يعتنق اية ديانة ، يقول في احدىٰ رسائله الىٰ السيد محمد رشيد رضا ، صاحب تفسير ومجلة (المنار) :

« يا غزالي العصر ، أيُّها السيد محمد رشيد رضا ، انت تنظر الىٰ محمد كرسول وتراه عظيماً وجليلاً ، ولكني انظر اليه كأحد البشر ، أراه اكبر ممّا تتصوّره أنت ، مع اننا نختلف عقائدياً ، لكننا نتّفق علىٰ اساس العقل والصدق في الكلام وقول الحق والانصاف والحياد ثم يسرد قصيدة طويلة في آخر رسالته في مدح الرسول صلى الله عليه وآله ، لا نذكرها هنا اختصاراً للكلام .

٣ ـ كلام الدكتور غوستاف لوبون

الدكتور غوستاف لوبون الفرنسي ، من اشهر علماء اوروبا ، ويحمل شهادة في الطب والاجتماعيات والطبيعيات ، وقد جمع الكثير في كتابه « حضارة الاسلام والعرب » من خلال الجهود الكثيرة التي بذلها والدراسات التي قام بها ومن خلال سفره وسياحته التي افنىٰ عمره من اجلها ، حول عظمة نبي الاسلام والمسلمين واحكام الاسلام وقوانيه .

لقد تجاوز الدكتور لوبون في هذا الكتاب العصبية الدينية ونشر الكثير من الحقائق في اوروبا لصالح المسلمين ، وقد نقلنا فيما سبق كلاماً عن هذا العالم ، كما سننقل عنه لاحقاً ان شاء الله كلاماً كثيراً ، كل في محله المناسب .

٤ ـ اعترافات توماس كارلايل [١]

توماس كارلايل الانجليزي ، هو أحد علماء اوروبا الاجلاء ، يقول في كتابه المترجم الىٰ العربية تحت عنوان « الابطال » أُموراً كثيرة في عظمة نبي الاسلام وشريعته المقدسة وقرآنه المجيد .

وقد جاء في قسم من الكتاب :

عندما نتأمل في بلاغة القرآن ، بغض النظر عن ان هذا الكتاب المبارك هو

---

(١) Carrlaele .

وحي سماوي والهي ، نرىٰ انه ابلغ كتاب دوّن بالعربية من حيث اللفظ والعبارة ، ولا احد يتدبر في القرآن الذي جاء به نبي الاسلام ، الاّ ورأىٰ انه قريب من حقائق جوهرية ظاهرة ومعلومة عنده ، بمعنىٰ ان القرآن يعود الىٰ اصل حقيقي ومرتبط بمبدأ عالي ومقدس .

وهذه القضية واضحة وهي ان كل كلام حقيقي وصحيح وصادق له نفوذ وسلطة خاصه في القلوب ، والحق هو ان جميع الكتب، سماوية وغيرها تتصاغر امام القرآن الكريم وعظمته ، وهذا الكتاب الذي هو الكتاب السماوي لنبي الاسلام خال من كل عيب أو نقص ومن كل باطل .

٥ ـ ليون تولستوي[١]

ليون تولستوي من كبار علماء روسيا ، يقول في كتابه « حكم محمد » :

«من أراد ان يطلع علىٰ سهولة وبساطة الدين الاسلامي ، عليه ان يقرأ القرآن بدقّة، لان القرآن يحتوي علىٰ احكام وتعاليم وحقائق واضحة وبينة وسهلة وبسيطة ، حيث يمكن لكل واحد من البشر الاستفادة منه .

وفي هذا الكتاب المقدس ، هناك آيات شريفة لها دلالة تامّة علىٰ سمّو منزلة هذا الدين وطهارة روح الذي نزل عليه المقدّسة ،أي محمد صلى الله عليه وآله ».

---

(١) Lion Tolstue.

٦ ـ المسيو سافاري

المسيو سافاري من المستشرقين الفرنسيين ، وقد ترجم القرآن الىٰ الفرنسية أيضاً، وفي مقدمة ترجمته يتحدث كثيراً عن القرآن المقدس وعظمة الذي نزل علىٰ صدره، أي نبي الاسلام ﷺ .

وفي هذه المقدمة أيضاً ، هاجم بشدة القساوسة وعلماء النصارىٰ المغرضين الذين كانوا يسعون للنيل من الاسلام المقدس والقرآن الكريم .

٧ ـ المسيو سديل[١]

المسيو سديل من كبار المؤرخين الفرنسيين ، يقول في تاريخ حياة الرسول الاكرم ﷺ حول الاسلام والقرآن الكريم :

« لم يترك القرآن شيئاً من الآداب والحكمْ لم يتطرق اليها ، وأساس هذا الكتاب المقدّس مبني علىٰ العدل والاحسان والحكمة، وهو يهدي المجتمع البشري نحو الفضيلة والانسانية والكمال .

معارف الاسلام الوضاءة واحكام القرآن جعلت اعداءه يرغمون ويرضخون امامه، ويكفي ان نقول في عظمة هذا الكتاب المقدس والنبي الذي جاء به ، انه جعل من عرب الصحراء المتوحشين الذين لم يكونوا يملكون أي امتياز، بل كانوا غارقين في بحر الرذيلة، أُناساً سعداء وبمستوىٰ هداة ومعلمي

---

(١) Sidillat .

البشرية ».

٨ ـ غويته [١]

يقول الشاعر الالماني الشهير غويته :

« لقد ابعدنا قساوستنا الغافلون عن الله سنوات طويلة عن معرفة حقائق القرآن المقدس والذي جاء به ، لكننا ، كلما خطونا الىٰ الامام في طريق العلم والمعرفة ، ونفضنا عن انفسنا غبار العصبية الباطلة ، زاد تعجبنا بعظمة احكام الاسلام المقدسة الذي يعد القرآن المجموعة الكاملة لها .

وسيلتفت جميع العالم في القريب العاجل الىٰ عظمة هذا الكتاب (القرآن) الذي لا يوصف، وسيكون له تأثير عميق في علوم العالم ومعارفه ، وبالنهاية سيكون محور العالم».

٩ ـ السيد بلر

السيد بلر من علماء اوروبا المعروفين ، تحدث كثيراً في كتابه حول نبي الاسلام وقوانينه النيّرة وقرآنه المجيد .

---

(١) Guithe.

١٠ ـ جون ديفنبورت [1]

جون ديفنبورت الانجليزي ، يقول في كتابه الذي اسماه « عذر التقصير الىٰ ساحة محمد والقرآن »:

« من المحيط الاطلسي وحتىٰ سواحل نهر كنغ لا يعد القرآن قانوناً فقهياً فحسب ، بل دستوراً يحتوي النهج القضائي والانظمة المدنية والجزائية ويحتوي ايضاً جميع القوانين التي تدبر جميع العمليات المالية للبشر.

وعقيدة محمد ﷺ وايمانه خالية من الشوائب وسوء الظـن والابـهام والشكوك.

١١ ـ اللورد بيدلي

يقول اللورد بيدلي في كتاب « نداء الاسلام في الغرب » :

« لمحمد طمأنينة ووقار وخصوصيات لا تحصىٰ وهو يـعارض جـميع الخرافات والاوهام والالحاد.

والقرآن هو دستور واساس الدين المقدس الذي جاء به محمد ، ويحتوي القرآن علىٰ جميع المسائل الاجتماعية والاحكام والقوانين الالهية ، من أجل سعادة البشر وراحتهم.

---

(١) John Davenport.

والبشر دائماً بحاجة الىٰ مرشد سواءً في الماضي او الحاضر ، لكي يصلوا الىٰ محل السعادة والحقيقة الابديتين . وقد ظهر هذا المرشد الكبير في شبه الجزيرة العربية، وطرح للبشر كتاباً محكماً ، حيث كان يمتلك القدرة والجدارة في القيادة .

ونحن نطلب ان يوجد لنا الدين الالهي العدالة الاجتماعية والمساواة والحريّة التي لابد ان تسود بين جميع الاقوام.

والأناجيل الاربعة التي توجّه المسيحية ، لا يمكنها القيام بهذه المسؤولية، لان من جملة حقوقنا الفردية والاجتماعية حق الحياة ، والحياة قصاص ، وهو ما سلبته منا الاناجيل الأربعة .

لكن القرآن المقدّس حارس وحافظ علىٰ اموال وارواح واعراض البشر، وله احكام مؤكدة في استرداد الحقوق المغصوبة » .

١٢ ـ ماذا يقول اسير وليام موليس ؟

وهو من علماء بريطانيا ، يقول في كتاب « سيرة محمد » :

« قرآن محمد كتاب مليء بالدلائل الواضحة والمنطقية والعديد من المسائل العلمية والاحكام القضائية والقانونية والأوامر المؤكّدة من أجل الحفاظ علىٰ الحياة الاجتماعية والمدنية ، وقد جاءت في هذا الكتاب المقدس بعبارات بسيطة وفي نفس الوقت محكمة ومنظمة ، حيث تجذب القارئ اليها » .

١٣ ـ اعتراف غريب لفولتير [١]

المفكر الفرنسي المعروف فولتير، يقول حول مارتين لوثر [٢]:

ان لوثر ليس جديراً بان يحلّ خيط حذاء محمد.

١٤ ـ كلام من برناردشو [٣]

يقول الفيلسوف الانجليزي المعروف، برناردشو: «محمد اعظم الانبياء، ولو كان يحكم دنيا اليوم لحلّ جميع العقد والمشاكل التي تعاني منها البشرية واحدة بعد أُخرىٰ بحكمته ودرايته». ويضيف:

«أي انّ دين محمد هو الدين الوحيد الذي يتناسب وجميع ادوار الحياة البشرية، وبأستطاعته ان يجذب إليه جميع الاجيال. لكني اتصوّر ان اوروبا في المستقبل، ستقبل علىٰ دين محمد وآثار ذلك ظاهرة اليوم، يجب ان نعتبر محمد منقذّ البشرية».

---

(١) Valtaire.

(٢) Martin Lather، أحد قادة الاصلاح الديني المسيحي في القرن السادس عشر في أوروبا (المانيا) وكان هو شخصياً من الروحانيين المسيحيين الاحرار المثقفين، اعترض على فساد الكنيسة الكاثوليكية وترجم الانجيل إلى الالمانية وأوجد مذهباً جديداً في المسيحية (البروتستانية). (المترجم)

(٣) Birnard Show.

١٥ ـ السيد جون فنيزات :

الكاتب الانجليزي السيد جون فينزات ، يقول : « محمد اعظم اولئك الذين يطلبون الخير للانسان ، وظهور محمد دلالة علىٰ احد اكمل العقول في جميع العالم » .

الىٰ هنا استمعتم الىٰ اعترافات بعض اكبر فلاسفة الشرق والغرب ، حول نبي الاسلام صلى الله عليه وآله ودينه المقدّس وقرآنه المجيد .

وان جميع كل ما قاله العلماء والمثقفون في حقّه يحتاج الىٰ مجال اوسع من الوقت .

مثل ما اعترف به السيد باير[١]، والدكتور ماركسي فلومانس الامريكي واستاذ جامعة واشنطن[٢] المستشرق الالماني المعروف نولد[٣]، والسيد جول لابوم ، العالم الفرنسي الذي كتب فهرساً لمواضيع القرآن بالفرنسية ، وسائر العلماء الذين تحدثوا عن نبي الاسلام صلى الله عليه وآله والقرآن الكريم.

ومن خلال نقل هذا الموجز من الاعترافات التي ذكرناها عن علماء ومستشرقي الشرق والغرب ، يتضح جلياً بانّه ليست قلوب المسلمين في الشرق هي الوحيدة المفعمة بحب الرسول صلى الله عليه وآله ، بل هناك أُناس في قلب اوروبا المادية وامريكا الغارقة في زخارف الدنيا ، وصلهم شعاع من عظمة هذا الرسول الكريم

---

(١) Bair.

(٢) Washington.

(٣) Nuldt.

فاتجهوا نحوه بقلوبهم ، علىٰ الرغم من سلطة البـابوات والقسـاوسة وحـراب الدول الاستعمارية ، وبالرغم من البيئة التي يعيشون فيها والمتطورة من الناحية المادية، بحيث انهم لو كانوا غير مطلعين علىٰ تلك القوة الخلاقة وكيفية توالدهم وتناسلهم وتكوينهم ، لإدعوا الربوبية .

في تلك المجتمعات ، لو زرت المحافل العلمية لكبار العلماء ، لعرفت ان رجالاً كثيرون من اهل العلم والمعرفة ممن يحضون بأحترام الناس في جـميع العالم ، يعشقون نبي الاسلام ، ذلك الرجل الأُمّي الذي كان يعيش ، قـبل الف واربعمائة سنة في عالم مظلم وبين جاهلية لا توصف علىٰ رمال الحجاز.

لو وددتّم أيّها السادة المحترمون مزيد من الاطلاع علىٰ ما قـاله كـبار علماء اوروبا فيما يتعلق بالنبي ﷺ عليكم بالرجوع الىٰ كتاب « محمد مـن منظار الآخرين » .

البحث في بعض قوانين الاسلام

الدكتور : ايها الشيخ ، الاعترافات التي نقلتها لنا عن كبار علماء الشرق والغرب حول نبي الاسلام ﷺ والقرآن وقوانينه ، قيمة ومهمة جداً ، ومع ذلك يبقىٰ هناك سؤال ، هو : مع ان هؤلاء العلماء والمستشرقين لم يكونوا مسلمين ومن اتباع نبي الاسلام ، فما هو سبب اعترافاتهم تلك ؟!

الشيخ : اهم موضوع ، جعل دنيا العلم تركع امام نبي الاسلام ، هو القوانين المحيرة التي جاء بها ذلك الرجل العظيم من قبل الله للمظلومين في العالم.

وكيف لا يركع كبار علماء الشرق والغرب أمام نبي الاسلام ﷺ وهو الذي جاء بقوانين من قبل الله لضمان سعادة البشر في مختلف المجالات ، فيما عجز الآخرون عن الاتيان بمثلها ، علىٰ الرغم من انه كان يعيش في عصر مظلم قبل أربعة عشر قرناً في صحراء الحجاز وهو الأُمي الذي لم يدرس كلمة واحدة.

ولو اردنا البحث في هذا الامر بشكل علمي وعميق ، ودراسة قوانين الاسلام ومن ثم مقارنتها بقوانين سائر العالم ، فسوف يطول بنا الحديث فيما وقت سفرنا قصير لا يسع ذلك ، ولكن من اجل ان نعرف قيمة الدين الذي نتشرف ونفتخر باتباعه ، سنبحث في عموميات وكليات بعض قوانين الدين ، ولكي يتضح ايضاً ، ان اعتراف الشخصيات العلمية الكبيرة في العالم بما يتعلق

بالرسول والرسالة هو نتيجة لمشاهدة هذه الالتفاتات العلمية الظريفة الموجودة في تلك القوانين التي جاء بها الرسول ﷺ.

المساواة في القانون

من خصوصيات الاسلام، المساواة بين جميع الناس في القانون، فالاسلام يرىٰ الجميع متساوين امام القانون، ولا يرىٰ لأحد ميزة علىٰ آخر.

والقانون في الجهاز الديني يحكم الجميع بنحو واحد وبمنتهىٰ القوة، وفي هذا الصدد يقول القرآن الكريم:

﴿ يا ايّها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثىٰ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ﴾[1].

اصدقائي الاعزاء!

في ذلك العصر الذي كانت فيه الحروب العرقية والطبقية منتشرة بشدة في جميع انحاء العالم، في ذلك العصر الذي كان فيه السود والفقراء فاقدين لجميع الحقوق الاجتماعية والفردية، اعلن نبي الاسلام ﷺ المساواة التامة بين جميع البشر قانونياً من خلال ندائه السماوي الذي جاء به، والغىٰ جميع الفوارق الوهمية التي أوجدت فوارق عميقة ورهيبة بين الناس، واعلن امام غرور اهل الجزيرة العربية بصراحة:

(١) سورة الحجرات: ١٣.

«لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض علىٰ أسود إلّا بالتقوىٰ».

لقد بعث رسول الاسلام صلى الله عليه وآله في الضعفاء والفقراء والسود الحياة من جديد وجعلهم يتحركون في الحياة جنباً الىٰ جنب مع البيض والاقوياء والاغنياء.

وقد خطىٰ نبي الاسلام صلى الله عليه وآله خطوات واسعة ومهمة في مجال المساواة بين جميع الناس امام القانون، ليس في ما مضى فقط، بل لا زالت تلك القوانين علىٰ درجة كبيرة من الاهمية والقيمة والاحترام إلى اليوم.

أو ليس غريباً؟! ان الفئات المحرومة في المجتمع، والاشخاص الذين كانوا لايملكون شيئاً من انفسهم امام رئيس القبيلة، وكان عليهم ان يفتدوه بأرواحهم فضلاً عن اموالهم، اصبحت بعد ان أنار الاسلام عقولها وبعث الحياة في جسدها، ترد على صفعة رئيس القبيلة بصفعة مماثلة لها، وتقتص لنفسها منه. لقد استطاعت تلك الانامل الضعيفة بالمساواة التي طرحها الاسلام ان تلامس خدّ رئيس القبيلة الذي كان مالك الرقاب السابق؟!

ان المساواة التي يطرحها الاسلام بين الناس امام القانون، قوية وثابتة بشكل لا يستثنىٰ منها اي مقام ومسؤول او اية قوة.

ملك آل جفنة في قبضة القانون

كان جبلة بن الايهم (الغساني) من ملوك آل جفنة، وقد اختار الاسلام، وأراد ان يزور الخليفة آنذاك، فتحرك نحو المدينة مع كوكبة من حاشيته ومعهم

خمسمائة حارس مدجج بالسلاح لحمايته والسير بين يديه.

وعندما قاربوا المدينة ارسلوا رسولاً يخبر الخليفة بقدومهم، فخرج الخليفة في استقبالهم واكرمهم، ودخلت قافلة جبلة المجلّلة المدينة وأهلها لا يعيرونهم أهمية، بينما رجال القافلة مدججون بالسلاح ويرتدون افضل الملابس والمجوهرات.

وبعد ايام من دخولهم المدينة حان وقت الحج فخرجوا مع الخليفة الى مكة، وكانت قافلتهم تحضىٰ بأحترام المسلمين اين ما حلّوا في الطريق حتىٰ وصلوا مكة.

لا بدّ ان يصفع ملك آل جفنة

وفي مكة وقع حادث جعل جبلة ملك آل جفنة يبتعد عن الاسلام ويرتد الىٰ النصرانية بعد ان كان مسلماً، والحادث بشكل مختصر:

داس رجل عربي من قبيلة بني فزار برجله وهو لا يعلم ذيل حُلة جبلة التي كانت تخط وراءه الأرض وهو يطوف الكعبة[1]، فغضب جبلة لذلك، فأمسلك بأنف الرجل وضغط عليه، فتألم الرجل كثيراً، فيما يذكر بعض المؤرخين انه صفعه علىٰ وجهه، فسكت الرجل مضطراً وهو يرىٰ تلك المجموعة الكبيرة من الحرس مع جبلة اين ما يتحرك حتىٰ في طواف الكعبة.

---

(١) كان طول الحلّة وجرّ الذيل في ذلك العصر وبين العرب، من علامات الاشراف والترف، وقد حكم عليها الاسلام بالكراهية.

لكن عدم امتلاك قوة لا يعني الضعف في حكومة العدل والقانون، لأن المظلوم يعلم جيداً ان هناك يد القانون القوية هي التي تدافع عنه وتحميه.

وعندما وجد ذلك الرجل نفسه مظلوماً ومعتدىٰ عليه من قبل جبلة، اشتكىٰ عند الخليفة استناداً الىٰ عدل الاسلام، واخبر الخليفة بما جرىٰ.

وبعد ان سمع الحاكم (الخليفة) شكوىٰ الرجل، احضر جبلة علىٰ الفور، وسأله عمّا حدث.

ومقابل سؤال الحاكم، أجاب جبلة بصراحة بأنه فعل ذلك، وقال: لولا حرمة الكعبة لعاقبته بالسيف! لأنه اعتدى عليّ.

وبعد ان استمع الحاكم الىٰ جواب جبلة، قال: لقد تعديت يا جبلة علىٰ الرجل وهو مظلوم وانت تعترف بذلك، واستناداً للقانون يجب ان ترضى الرجل منك، او تستعد للقصاص.

لكن جبلة الذي لم يفهم علىٰ الظاهر معنىٰ القصاص، تساءل: وكيف يقتص هذا الرجل مني؟

فقال الخليفة: كما صفعته او ظغطت علىٰ انفه وآلمته، يجب ان يصفعك او يضغط علىٰ انفك.

كاد جبلة ان يطير عقله بعد سماعه ذلك الكلام، وتساءل متعجباً: كيف يمكن لهذا الرجل ان يصفعني وانا ملك آل جفنة القوي، فيما هو رجل عادي من المسلمين.

فقال له الخليفة: ان الاسلام جمعك وايّاه وليس لك فضل عليه الاّ بالتقوىٰ.

والاسلام لا يفرق بينك مع قوتك وهذا الرجل البسيط، فالجميع متساوون امام قانون الاسلام.

فقال جبلة: كنت اتصوّر ان تزداد عزّتي ويزيد جلالي بالاسلام، وتزيد كذلك سلطتي علىٰ اتباعي ورعاياي.

فقال له الخليفة: جبلة! لا تتحدث عبثاً، فالجميع متساوون امام القانون.

وبعد ان شاهد جبلة هذه الصراحة، طلب من الخليفة ان يمهله الليلة كي يتأمّل في الامر اكثر، ويرضي الرجل من نفسه، او ان يقوم الرجل بالقصاص منه.

فوافق الخليفة علىٰ طلب جبلة (طبعاً بعد ان اخذ موافقة الرجل)، لكن جبلة لم يشاهد بعد تلك الليلة، لانّه فرّ ومن معه ليلاً من يد القانون، واتّجه مباشرة الىٰ القسطنطينية عند هرقل ملك الروم، وارتد الىٰ النصرانية [1].

وهذه القصة التاريخية نموذج علىٰ المساواة التي طرحها الاسلام، وهو ما حدث قبل اربعة عشر قرناً في ذلك العصر المظلم.

---

(١) شرح نهج البلاغة للخوئي.

نماذج علىٰ التمايز العرقي في الغرب

اصدقائي الاعزاء!

هل يوجد في جميع العالم الغربي الذي اصمّ البشرية نداءهم بالمساواة. وهل يمكن ان نشاهد مثل ذلك النموذج العملي للمساواة في قلب تلك الدول؟ وهل يمكن لفرّاش بسيط ان يقتص من رئيس جمهورية الولايات المتحدة الظالم، اذا ما حصل عليه اعتداء من قبل ذلك المتجبرّ؟ أيستطيع ان يقتص منه ويصفعه، مثل ما حدث في تلك القصة التاريخية؟!

أيّها السادة المحترمون!

بين القول والعمل مسافة شاسعة، لقد مضت سنوات طويلة ونحن نسمع بتساوي الاسود والابيض في جميع انحاء الغرب، وقاموا بنشاطات عديدة لرفع التمايزات العرقية، كما حدثت حروب دموية لألغاء التمايز بين السود والبيض في الغرب، ومثال ذلك حرب الشمال والجنوب في الولايات الامريكية حيث كان الشمال يدعو لتحرير الرق، فيما كان الجنوب يصرّ علىٰ بقاءه، وقد استمرت تلك الحرب اربعة سنوات وقتل فيها من الشماليين ما يقرب مليوم شخص، فيما قدم الجنوبيون ٢٥٨ الف قتيل، ما عدىٰ ٣٦٠ ألف جريح والدمار

الواسع الذي حدث نتيجة لتلك الحرب[١].

ومع كل النشاطات التي قامت في هذا المجال، لا زال التمايز العنصري موجوداً في الولايات المتحدة الامريكية! ولا زال السود المساكين لا يستطيعون دخول الفنادق المخصصة للبيض بطمائنينة، او الدخول الى القطار المخصص للبيض، ولا زال زواج الأبيض بالسوداء او العكس يعتبر عملاً دنيئاً، ومن العار للأسر البيضاء ان يتزوج احد من افرادها او اقرباءها من السود المساكين، ولا زالت فنادق البيض مفصولة عن فنادق السود هناك!

تحدثت بعض الصحف مؤخراً ان احدىٰ الشخصيات الافريقية المعروفة كان ينوي السفر الىٰ الولايات المتحدة، فحجز بالهاتف قبل ايام من سفره غرفاً له ولرفاقه في احد الفنادق الامريكية المعروفة، لكنه بعد ان وصل من المطار الىٰ الفندق المذكور وعرّف نفسه لمدير الفندق وطلب منه مفاتيح الغرف التي حجزها من قبل، اجابه المدير بصراحة: هذا الفندق خاص بالبيض، ولا يسمح لكم بدخوله لأنكم من السود!

ولا زالت هناك قطارات في امريكا (تلك التي تتحرك بين مسافات طويلة) فيها شرطة مسؤوليتهم المحافظة على النظام والحيلولة دون وقوع مشاجرات بين البيض والسود، الذين يحدد لكل منهم اماكن خاصة، لكن وعلىٰ الرغم من وجود الشرطة، فأنه غالباً ما تقع مشاجرات دموية بين السود والبيض. وقبل مدة شاهدت في احدىٰ صحف طهران المسائية صورة لطفلين

(١) تاريخ الولايات المتحدة الامريكية، تأليف: الان نوينز وهنري ستيل كاماجر، ترجمة: الدكتور محسن راهنما.

ابيض واسود، وقرأت التعليق العجيب والمهم جداً تحت الصورة وهو: «الاطفال البيض والسود يدرسون في مدرسة واحدة جنباً الىٰ جنب»!

أليس عجباً، ان تعتبر الدول الغربية دراسة الاطفال البيض والسود في مدرسة واحدة، احدىٰ مفاخرها الاجتماعية! وهذا غيث من فيض للحالة المأساوية التي يعيشها السود في امريكا والدول الاوروبية، وأليس عجيباً ان لا يدرك البيض الامريكان والاوروبيون تلك الحقيقة وهي ان الاختلاف في اللون والعرف ليس دليلاً علىٰ الفضيلة والتفوق!

لكن مجرد اللون لا يعد سبباً للاستضعاف والحرمان في الاسلام، فالمسلم الابيض يعمل جنباً الىٰ جنب مع اخيه الاسود في جميع المجامع الدينية سواءاً في القديم او اليوم، ولا يشعر بأي انزعاج او ضجر، وهم متساوون في الحقوق الاجتماعية وجميع شؤون الحياة، يتزوجون منهم ويزوجونهم و... كما ان الحكومة الاسلامية تستطيع ان تعطي اكبر المناصب السياسية او الدينية الىٰ السود علىٰ اساس الكفاءة، وهو ما نملك عنه نماذج عديدة في تاريخ الاسلام، وهذهِ من الامثلة علىٰ المساواة في الاسلام الذي جاء به النبي الاكرم صلى الله عليه وآله قبل الف واربعمائة سنة، في حين ان عصر الذرّة اليوم لا زال يحلم بذلك.

المساواة الاسلامية من منظار علماء اوروبا

يقول الدكتور غوستاف لوبون، العالم الفرنسي الشهير في كتابه «حضارة الاسلام والعرب»:

«المساواة بين المسلمين علىٰ اكمل وجهها، تلك المساواة التي يتحدّث عنها الاوروبيون جميعاً بشوق وحرارة ولا نجدها إلّا في طيات الكتب، نجدها عملياً بين المسلمين، وقد أصبحت من الأعراف الشرقية، فالتمايزات الشديدة التي حدثت بين الفئات والطبقات في اوروبا اثر الثورة الصناعية والتي ستشهدها ثورات اكثر دموية اخرىٰ. غير موجودة بين المسلمين، فالخادم والمرافق يستطيع ان يتزوج ابنة سيده دون ممانعة ومشكلة [1]».

ويقول السيد لوبلاي [2] حول المساواة في الاسلام:

«الانظمة المطبقة فيما يتعلق بالكادحين والعمال ونتائجها السيئة التي ظهرت في اوروبا، لا يزال المسلمون مصانون منها، فلا زالت تسودهم انظمة اساسية تصلح بين الغني والفقير والسيد والعبد، وتجعلهم قريبون من بعضهم، مثل صلاة الجماعة والمسجد والحج، ويكفي القول ان بعض الدول الاوروبية المتسلّطة التي ترىٰ ان تتعلّم منها تلك الدول (الاسلامية) الكثير، عليها هي

---

(١) يفهم من هذا الكلام ان التمايز الطبقي في اوروبا وصل الىٰ حدّ يتعجب فيه الدكتور غوستاف لوبون من زواج المرافق والخادم من ابنة سيده، ويعتبر ذلك حدثاً غير عادياً.

٢ – Mu.le.play

ان تتعلّم منهم دروساً كثيرة (مثل المساواة).

والحقيقة ان نموذج الحكومة الديمقراطية «حكم الشعب» يعمل به في الاسلام بأحسن وجه، لانه ومع وجود خليفة مقتدر فأن الجميع متساوون امام القانون وليس هناك وضيع أو شريف أو غني أو فقير، والحقوق تراعىٰ بالكامل، لقد الغىٰ الاسلام التمايزات العائلية والطبقية والقبلية والقومية، وقال بأن جميع المسلمين متساوون وأُخوة امام الاسلام ورسول الله ﷺ».

أجل، لم يساوي الدين الاسلامي المقدس بين المسلمين من قبل فقط من الناحية القانونية، بل لو اسلم قوم في اقصىٰ نقاط الدنيا وكانوا من اكثر الناس تخلفاً، فأنهم ومنذ لحظة اسلامهم يصبحون اخوة لسائر المسلمين ومتساوون معهم في الحقوق والواجبات ولا يحق للحكومة الاسلامية ان تعتدي عليهم او تهاجمهم».

يقول الدكتور غوستاف لوبون في هذا الصدد:

«لم يكن العرب يستطيعون الضغط علىٰ مختلف الاقوم في البلاد التي فتحوها، لإن اولئك الناس دخلوا الاسلام وقبلوا احكامه وقوانينه برضىً وارادة، وجميع المسلمين (من اي قوم كانوا) متساوون واخوة برأي الحكومة الاسلامية وهذه الاخوة والمساواة مبنية على اساس احكام القرآن، الذي لا يستطيع الفاتحون العرب تغيره، وبذلك اتحد الغالب والمغلوب وشكلوا امة قوية كبيرة، وقد استمرت هذهِ الوحدة وهذا الاتحاد علىٰ مدىٰ حكم العرب وخلافتهم».

مسألة الرّق وحلولها

تطرّقنا الىٰ مسألة التمايز العرقي ونفي هذا النوع من التفوق والافضلية بين البشر من الناحية القانونية، وقد يتساءل البعض، اذن ما هي قصة «العبد والجارية» التي يعترف بها الاسلام رسمياً؟

وفي جواب ذلك السؤال، نقول ان الحقيقة خلاف ذلك، فالاسلام لم يقرّ مسألة الرّق، بل وضع لها حلاّ تدريجياً وسريعاً ومن عدّة طرق.

وبسبب سعة الموضوع وعدم امكانية شرحه بشكل كافي من جهة، ولأهميته من جهة اخرىٰ، فأننا سنتعرض له بشكل سريع ومختصر.

١ـ لم يأت الاسلام بالرّق، بل وجده حقيقة واقعة في المجتمع الذي نزل فيه، اذن، لا علاقة لأصل المسألة بالاسلام.

٢ـ لم يكن باستطاعة الاسلام، كما لم يكن عملياً اساساً، نفي الرّق بشكل كامل ابتداءً، بسبب ترسخه في ذلك المجتمع، ولانه ليست هناك ثورة استطاعت تطبيق جميع اهدافها بمجرد الاعلان عن نفسها مباشرةً، ويجب ان لا ننسىٰ الحقيقة العلمية التي تقول ان التغير النوعي لا يحدث الاّ بعد طي مراحل كميّة.

فإذا لم تكن هناك مراحل كمية، يكون الأمر تطرفاً ولربما يواجه ردود فعل حادة أيضاً، مما يعرّض «أصل الدين» الىٰ خطر حقيقي، ولأثبات هذه

الحقيقة يكفي ان نشير الىٰ قرار ألغاء الرّق في أمـريكا الذي أعـلنه ابـراهـام لينكولن، رئيس الجمهورية سنة ١٨١٦، والذي ادىٰ الىٰ وقوع الحرب الاهلية بين الشمال والجنوب والمآسي التي تعرضت لها ولايات الشمال والجنوب علىٰ السواء، (كان الجنوب يعارض الغاء الرّق بسبب دورهم في الانتاج الزراعـي هناك[١] فلم تكن ولايات الجنوب متطورة مثل ولايات الشمال كي تسـتبدل العبيد بالآلات الصناعية في الانتاج).

أو الاصلاح الذي حدث في جنوب فيتنام الشمالية عـلىٰ يـد حكـومة «هانوي» و «فيت مين» ولأنها كانت مستعجلة وبدون طي مراحل كميّة، ادت الىٰ مقتل عشرة آلاف شخص[٢] الىٰ ان تدخل «هوشه مينه» شخصياً وانـهىٰ المسألة.

والآن، مع الأخذ بالعديد من الحقائق التاريخية والعلمية، ومـع الأخـذ أيضاً بدور الرّق، المهم والاساسي في المجالات الانـتاجية والخـدماتية فـي مجتمع الجزيرة العربية قبل اربعة عشر قرناً، أليس من البساطة ان يقول شخص: «لماذا لم يلغي الاسلام منذ الوهلة الاولىٰ الرّق، ولم يمنعه تماماً؟!» فهل كان هذا الامر عملياً وممكناً اساساً؟! وهل توجد في تـاريخ العـالم ايـديولوجية ثورية استطاعة تطبيق جميع اهدافها بعد انتصارها مباشرةً، حتىٰ يكون الاسلام ثانيها؟!

٣ـ لقد تحدث القرآن في ستة اماكن عن «حرية العبد» وقد اوصىٰ او امر

---

(١) من اجل معلومات أُخرى في الموضوع، راجع:
تاريخ الولايات المتحدة الامريكية، تأليف: الان نوينز وهنري ستيل كاماجر.
(٢) يمكن الرجوع في ذلك الىٰ كتاب «حياة هوشي مينه».

به[1] في حين انّه لا نجد فيه ما يقول بأخذ الرق او «الاستعباد» بتاتاً.

٤ـ وضع الاسلام طرقاً «تدريجية» او مرحلية ولكن مؤثرة وحاسمة لحل مسألة الرّق ونفيها بشكل كامل، وهي كثيرة جداً، منها:

أ ـ العقود الثنائية بين المالك والمملوك، مثل «المكاتبة» او «التدبير» والذي ينتهي الىٰ عتق العبيد، وقد اقرّها الاسلام (خاصة الدور الذي تلعبه الحكومة الاسلامية في هذا الصدد، من خلال مساعدتها للرّق مالياً من اجل تحريرهم).

ب ـ هناك بعض الذنوب، اشترط الاسلام تحرير العبيد للتكفير عنها (الكفارات).

ج ـ يصرف قسم من ميزانية الدولة (الزكاة) لشراء العبيد من قبل الحكومة وعتقهم، وقد امر القرآن بذلك.

د ـ وفي النهاية، جاء في بعض الروايات الاسلامية، انه لو كان احد المسلمين يمتلك عبداً (غلاماً او جارية) ولم تشمله الطرق التي ذكرناها اعلاه لكي يعتق، فأنه يعتق بعد ثلاثة سنوات (قبل المالك او لم يقبل). هذا بالاضافة الىٰ التوصيات والتأكيدات الكثيرة التي وصىٰ بها الاسلام وأمر بها لتحرير العبيد من الغلمان والجواري، خاصة وصاياه في الزواج من الجواري لان الزواج منهن كان مساوياً الىٰ حدّ ما بتحريرهن، لانه كان عليهم ان يعتقوهن اولاً ومن ثم الزواج منهنّ.

---

(١) راجع القرآن الكريم: سورة النساء الآية ٩٢، وسورة المائدة الآية ٨٩، وسورة المجادلة، الآية ٣ ومن ثم الآية ١٣ من نفس السورة.

٥ ـ في الفترة التاريخية ما بين ظهور الاسلام وحتىٰ تهيئة الارضية لألغاءه، اوصىٰ الاسلام واكد كثيراً علىٰ حسن معاملتهم ومراعاة الانصاف والعدل والمساواة معهم، للحد الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «واطعموهم مما تطعمون وألبسوهم مما تلبسون» لكي يشعروا أنهم جزءاً من الاسرة التي يعيشون معها ولهم حقوقهم وامتيازاتهم فيها.

٦ ـ ذمّ الاسلام كثيراً، عمل «بيع العبيد»، وقال رسول الله ﷺ: «شرّ الناس من باع الناس» كما ان هناك روايات كثيرة بهذا المعنىٰ.

٧ ـ أمّا فلسفة وجود بعض الغلمان والجواري في بيوت الائمة المعصومين، فهو امران:

الاول: كان الائمة يريدون من ذلك تقديم نموذج عملي لحسن معاملة الغلمان والجواري والاحسان اليهم والانصاف معهم والمساواة، بل كانوا بعض الاحيان يقدمونهم علىٰ انفسهم، لكي يتعلم المسلمون عملياً كيفية التعامل مع العبيد ما داموا في بيوت اسيادهم غير معتقين. والشاهد على ذلك تاريخ حياة «فضّة» بعنوان جارية في بيت فاطمة عليها السلام.

كانت بنت رسول الله ﷺ تقسم عمل البيت يومياً من الطحن بالرحىٰ وعمل العجين والخبز والعناية بالاطفال مع فضّة، ولم يكن للزهراء عليها السلام اي ميزّة في البيت.

الثاني: كانوا يعلّمون الآخرين كيف يشترون العبيد (ويخرجوهم من حالة مجرد «بضاعة» تدار في السوق) ويعتقونهم مباشرة أو بعد فترة قصيرة في المناسبات المختلفة، مثل عيدي الفطر والاضحىٰ وامثالها، بشكل جماعي او

فرادىٰ، ويخلصوهم بذلك من حياة العبودية، وهذا ما كان يفعله الائـمة لكـي يعلموا الناس ذلك.

٨ ـ تجدر الاشارة الىٰ ان الفصل الذي تبحث فيه المسائل المتعلقة بالرّق في الفقه الاسلامي، يسمى كتاب «العتق» وهودليل علىٰ سياسة الاسلام العامة فيما يتعلق بالرّق.

ومع الأخذ بالمسائل التي طرحناها بصورة سـريعة هـنا، فـيما يـتعلق بالرّق، يتضح جلياً، انه لم يكن ممكناً للاسلام فقط الاطاحة بنظام ظالم مـثل الرّق الذي كان متأصلاً في مجتمع ذلك اليوم دفعة واحدة، بل هو غير ممكن من الناحيتين العلمية والثورية أيضاً، ومع ذلك فقد وظف هذا الدين السماوي جميع امكانياته واستخذم جميع الطرق والاساليب لمحو هذا العار من جبين البشرية ولكي يقتلعه من الاساس في المجتمع، وهو العمل الذي نجح فيه الاسلام بأتم وجه.

وفي ختام هذا البحث، لابد من الاشارة الىٰ هذه الاشكالية وهي: لماذا يجيز الاسلام استخدام اسرىٰ الحرب بعنوان عبيد في بعض الاحيان؟ ومن اجل فهم هذا السؤال جيداً، يجب الالتفات الىٰ ان الاسلام لم يكن يملك الا سبيلاً واحداً من بين عدة سبل، فيما يتعلق بأسرىٰ الحرب:

١ ـ السبيل الاول هو اطلاق سراح جميع اسرىٰ الحرب، وفي هذه الحالة تواجه الامة الاسلامية مشكلتين:

الأُولى: ان هؤلاء الاسرىٰ الذين اطلق سراحهم هم من اعداء الاسـلام وسيعودون مباشرة الىٰ صفوف الكفار بعد اطلاق سراحهم، وسيقفون ثانية في

الجبهة المواجهة للأسلام.

أمّا المشكلة الثانية: هي ان اطلاق سراح الاسرىٰ يكون من جانب المسلمين فقط وبما ان الكفار لا يطلقون سراح اسرىٰ المسلمين ففي حال تبادل الاسرىٰ. لا يكون بأيدي المسلمين ما يبادلونه بأسراهم.

٢ ـ ابادة جميع اسرىٰ الكفار، وهذا العمل، اولاً، غير صحيح في الحالة العادية وليس انسانياً ابداً وثانياً، سيؤدي الىٰ ان يقوم الكفار بالمثل ويقتلون جميع اسرىٰ المسلمين.

٣ ـ سجن اسرىٰ الحرب، وهذا الفرض يستلزم اولاً، اهدار قوة بشرية كبيرة في السجون، وثانياً، تحميل الدولة الاسلامية مصاريف باهضة اقتصادياً وانسانياً وامنياً.

٤ ـ استعباد هؤلاء والاستفادة منهم في العمل، وهو الحلّ المنطقي والصحيح الوحيد الذي كان للاسلام، لانه و بهذا العمل، اولاً، يستخدم بشكل جيد قوىٰ الاسرىٰ ويوظفها في مجالات الانتاج والخدمات وفي المجالات الثقافية احياناً.

وثانياً، تعتبر البيئة الاسلامية (وكما حدث بالفعل) مركز تأهيل وتربية بالنسبة لهؤلاء الاسرىٰ، لكي يتعرفوا علىٰ نظام العدل الاسلامي واحكامه وقوانينه الانسانية، وثالثاً، كانوا يعتبرون رهائن بيد المسلمين لمبادلتهم في اللحظة المناسبة بأسرىٰ المسلمين الذي وقعوا بيد الكفار.

النظام الاقتصادي الاسلامي

وهنا أجد من الضروري الحديث عن المذهب الاقتصادي في الاسلام وطريقته في توزيع الدخل والموارد والثروات الطبيعية، ولأن هذا البحث يحتاج الىٰ دراسة موسعة ودقيقة، فسأكتفي بالاشارة الىٰ بعض النقاط فيما يتعلق به:

١ ـ النظام الاقتصادي الاسلامي غير طبقي وهو لا يعرف التمايز بين الاشخاص اساساً.

٢ ـ يرىٰ الاسلام ان الاصالة «للعمل» فقط، ويصرّح:

﴿ وان ليس للأنسان الّا ما سعىٰ ﴾[1]

ومع ذلك فإذا كانت نتيجة العمل هي جمع المال وكنزه، فالاسلام لم يجز ذلك أيضاً، وقد أمر بانفاقه في سبيل الله، قال تعالى:

﴿ ... والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرّهم بعذاب أليم﴾[2].

٣ ـ الهدف من الانفاق في الاسلام هو ملأ الفراغ الطبقي، او حسب تعبير الروايات «لكي يستغني الفقير» وتصبح مستوياتهم المعيشية متقاربة، وهو ما

---

(١) سورة النجم: ٣٩.

(٢) سورة التوبة: ٣٤.

يصرّح به الامام الصادق عليه السلام، فيقول: حتىٰ يلحقهم بالناس[1].

٤ ـ لا يقرّ الاسلام أي نوع من العلاقة التي تأتي بالضرر بين البشر، منها في العلاقات المالية، والرسول الاكرم صلى الله عليه وآله يقول في هذا الصدد: لا ضرر ولا ضرار في الاسلام[2].

٥ ـ وللاسلام رأي خاص فيما يتعلق بالمصادر الطبيعية، مثل: الاراضي والمعادن والانهار والمياه الجوفية والغابات والبحار، فملكيتها نوعاً ما تعود الىٰ الامام المعصوم عليه السلام وتكون ادارتها والاستفادة منها وتوزيع العوائد الحاصلة منها ومن صلاحيات الحكومة الاسلامية الحقيقية.

---

(١) وسائل الشيعة، كتاب الزكاة، الباب الثامن، من ابواب المستحقين للزكاة، الرواية رقم ٤.

(٢) وسائل الشيعة، الباب الاول من كتاب الارث، الرواية رقم ٩.

بحث القوانين القضائية في الاسلام

الشيخ: لعل تطور النظام القضائي هو من اهم مفاخر امريكا واوروبا وانجازتهما القانونية والعلمية، اما اهم الخطوات التي قاموا بها في هذا المجال، فهي كالتالي:

أ ـ حصانة القاضي واستقلاله، لكي يتمكن من محاكمة الخائن في اي مستوىً من السلطة.

ب ـ استقلال القاضي من الناحية المالية، لكي لا يسهل شراء رأيه وارتشاءه.

يقال: ان بريطانيا خطت خطوات واسعة في هذا المجال، فهي لم تحدد لقضاتها مرتباً شهرياً وانما تمنحهم شيكات بيضاء موقعة من قبل الدولة وهم يدونون فيها المبلغ الذي يحتاجونه(1).

---

(1) جاء في مجلة نقابة المحامين، العدد ١٠٠ سنة ١٩٦٥، بحث حول المسائل القضائية في بريطانيا، بعنوان: «العدالة في بريطانيا»، وقد جاء في الفصل الخاص بـ«حقوق القضاء» ما يلي: لا يمكن أن نتوقع من القاضي الذي ليس مرفهاً في معيشته المقاومة أمام الضغوطات والاغراءات والتهديدات، فالقاضي يكون مستقلاً ومستغنياً عندما لا يشعر بالحاجة المادية، لذلك فالمرتبات الشهرية التي تمنح للقضاة في بريطانيا كبيرة جداً، وإذا علمنا أن مرتب أحد القضاة في محكمة عادية يبلغ ما يعادل ١٣ الف تومان وأن مرتب رئيس القضاة يساوي ١٧ الف تومان، في حين أن استاذ جامعي في بريطانيا يأخذ مرتباً مقداره الفي تومان فقط، عند ذلك يمكن مقارنة وضع القضاة من الناحية المادية مع غيرهم من موظفي الدولة. والطريف أن مرتبات القضاة تدفع لهم من صندوق خاص يموّل بشكل

ج ـ الجميع متساوون امام القاضي والقضاء، وليس لأحد ميزة على آخر.

وهذه الموارد الثلاثة التي ذكرناها، هي اهم ما حققته اوروبا وامريكا في مجال القضاء، ومن حسن الحظ ان الاسلام ومنذ ان جاء به الرسول الكريم ﷺ اهتم بهذهِ الامور علىٰ اتم وجه وافضل شكل بوحي من الباري عزّ وجلّ، في حين تلك الدول كانت آنذاك بلدان متخلفة وسكانها متوحشين.

البقرة المسكينة!

الدكتور: يظهر ان القطار توقف، ما الذي يحدث؟!

العقيد: ما تقوله صحيح، فالجميع ينظرون الىٰ الخارج.

نهض الجميع من مقاعدهم واحنوا رؤوسهم لينظروا من الشباك الىٰ خارج القطار! ونزل مسؤولوا القطار أيضاً واخذوا يتفحصون العجلات، فلربما هناك من سحقه القطار، في حين أخذ المسافرين يسألون مسؤولي القطار كل لحظة، ماذا حدث؟

وبعد ثوان تبين ان بقرة مسكينة صدمها القطار ولم يصب منها إلّا عظم الفك. أمّا البقرة الجريحة، فقد نهضت بسرعة وهي مرعوبة واتّجهت

مستقل من خزانة الدولة ولا يحتاج إلى تصويت مجلسي اللوردات والعموم.

عزيزي القارىء، مع الأخذ بالتقرير الموثق الذي جاء اعلاه، حول مرتبات القضاة في بريطانيا، نصحح المعلومات التي وردت في نصّ الكتاب.

مهرولة بأتجاه القرية، فيما الدم ينزف من فكّها. ومن جهة اخرىٰ، هرع الكثير من اهالي القرية نحو القطار، فالظاهر انهم علموا باصابة القطار لبقرتهم.

اما رئيس القطار فما ان رأىٰ هجوم القرويين، حتىٰ خاطب السائق: استعجل ايها السيد، بسرعة ما دام القرويون لم يصلوا، فلو وصلوا ورأوا بقرتهم علىٰ تلك الحالة، سيلقنوننا درساً بعصيهم ومساحيهم لن ننساه طول العمر.

فأسرع السائق الىٰ القاطرة وصَفَر القطار بشدّة، فصعد المسافرون الذين كانوا قد نزلوا، وتحرك القطار قبل وصول القرويين.

الدكتور: ايها العمّ، ارجوا ان تستمر في حديثك حول القضاء.

اول مورد قضائي متطوّر في عالم اليوم

الشيخ: كما قلت لكم ان اهم ما تفتخر به اوروبا وامريكا اليوم هو استقلالية القضاة. في حين ان الاسلام قام بتلك الخطوة قبل الف واربعمائة عام، وقد اهتم بهذا الموضوع في قوانينه القضائية، كما ان الاسلام خوّل القضاة صلاحيات لم يخولها لأي احد سوىٰ الخليفة ونائبه.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في عهده لمالك الاشتر عامله علىٰ مصر: ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك، الىٰ ان يقول له: واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له

عندك [1].

اصدقائي الاعزاء!

وكما لاحظتم في ذلك العهد الذي كتبه امير المؤمنين عليه السلام، فأنه اعتبر اعطاء القاضي قوة وصلاحيات مستقلة ضرورة لابد منها، لكي لا يطمع فيه شخص ويغتاله بالدسيسة عند الوالي او الخليفة. اذن، فنحن نشاهد الاستقلال والحصانة التي توصل اليها عالم اليوم واعطاها للقضاة في العهد الذي كتبه علي عليه السلام لمالك الاشتر بوضوح.

نموذجان تاريخيان في استقلال القضاء في الاسلام

هنا، ومن اجل بيان مدىٰ قوة واستقلالية القضاء في الاسلام، ننقل قصتين تاريخيتين:

الأولىٰ: تنازع رجل غير معروف مع الهادي العباسي الخليفة حول بستان، فأحتكموا عند القاضي ابو يوسف، ورأىٰ ابو يوسف ان الحق لذلك الرجل الغريب، في حين ان للخليفة ايضاً شهوده!

فأمر ابو يوسف الخليفة بادلاء القسم لأثبات صحة اقوال شهوده، لكن الخليفة امتنع عن القسم، واعتبر ذلك اهانة له، وعندما رأى ابو يوسف ان الحق

---

(١) نهج البلاغة: ١٣٥، طبعة مصر.

مع الرجل الغريب، اعطاه البستان واذان الخليفة[١].

الثانية: هو ان الفضل بن ربيع، واحد من اراذل حاشية الرشيد الخليفة العباسي المعروف، شهد لصالح الخليفة في حادثة قضائية، فلم يقبل ابو يوسف القاضي شهادته، فغضب الخليفة وقال للقاضي: لماذا لا تقبل شهادة الفضل بن ربيع ؟!

فقال القاضي: لأنني سمعت الفضل بن ربيع يقول لك: انا عبدك وغلامك. فإذا كان صادقاً، فلا تقبل شهادة العبد لصالح سيده، واذا كان كاذباً، فنحن لا نقبل شهادة الكاذب[٢].

المورد الثاني للتطور القضائي في عالم اليوم

أما المفخرة القضائية الثانية لعالم اليوم، في استقلال القضاة مالياً فهو للحيلولة دون حاجتهم إلى الآخرين. ومن حسن الحظ فقد قام الاسلام بذلك قبل الف واربعمائة عام سبقت علىٰ عصر الذرّة والتطور الذي تتبجح به الدول الاوروبية وأمريكا.

وهذا هو الامام علي عليه السلام يقول في عهده لمالك الاشتر في هذا الصدد:

وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته الىٰ الناس[٣].

---

(١) العدالة الاجتماعية في الاسلام.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) نهج البلاغة: ١٣٠، طبعة مصر.

المورد الثالث للتطور القضائي في عالم اليوم

الخصوصية الثالثة فياوروباوامريكا بأعتبارهما دولاً حرّة ومتطورة!! هي المساواة امام القانون والقضاء فجميع الامتيازات تلغىٰ في المحاكم القضائية. وهذا الموضوع ايضاً موجود في قوانين الاسلام القضائية بشكل افضل وادّق. (كما سيأتي في المبحث اللاحق، ضمن البحث في: شروط القضاء الاسلامي).

اصدقائي الاعزاء!

ان الاسلام وضع اساساً للمساواة في المحاكم القضائية، بحيث استطيع القول وانا مطمئن كل الاطمئنان ان اكثر دول اليوم تقدماً وفي قلب اكثر الدول تحضراً في اوروبا وامريكا لا تستطيع ايجاد مثل تلك المساواة، لن تأتي مثل تلك المساواة لعشرات القرون الأُخرىٰ في عالم البشرية.

الدكتور: صحيح ان ادق النظريات العلمية والقانونية التي تهتم بها اوروبا وامريكا حالياً وفي جميع شؤون الحياة المادية والمعنوية، كان الاسلام قد طرحها بأحسن وجه قبل ألف وأربعمائة عام، لكن يجب ان لا ننسىٰ ان عالم اليوم له تطوراته في مجال القضاء «خاصة فيما يتعلق بالمساواة في محاكم القضاء»، وحتى لو كانت لا تصل الىٰ دقة وظرافة قوانين الاسلام من الناحية العلمية، فليس كما ادعيت من اننا لن نصل بعد عشرات القرون الىٰ قوانين، كتلك التي وضعها الاسلام.

الشيخ: سعادة الدكتور، اقول بصراحة وقاطعية، ان الاسلام يمتلك قوانين سامية في هذا المجال الاجتماعي والسياسي والامني الحيوي والذي هو اساس سعادة الفرد والمجتمع، ولا يوجد لها مثيل في جميع انحاء العالم، ولكي لا يتصور اصدقائي انني اتكلم اعتباطياً ولا يستند كلامي الىٰ شيء، لابد ان اشرح قسم من قوانين الاسلام القضائية، لتكون شاهداً حياً علىٰ صدق اقوالي، وهذهِ الشروط (القوانين) يمكن تقسيمها الىٰ اربعة اقسام:

شروط القضاء الاسلامي الفريدة

القسم الاول:

من شروط الاسلام الفريدة في القضاء، المساواة التي يجب ان يعملها القاضي فيما يتعلق بطرفيّ النزاع، وهذا القسم من الشروط، كالتالي:

١ ـ من اجل المساواة بين طرفي النزاع، قرر الاسلام ان يكون محل جلوسهم في المحكمة في مكان واحد حتىٰ لو كان احدهم الخليفة والثاني فقيراً او عاجزاً، فليس من حق الحاكم (القاضي) ان يميزَّ بين طرفي النزاع[١].

لا بدّ من محكمة!

ينقل لنا التاريخ: في احدىٰ المرّات وبعد ان انهىٰ هارون الرشيد اعمال

(١) المصدر نفسه.

الحج، ذهب الىٰ المدينة، فطلب منه اهل المدينة ان ينصب لهـم قـاضياً، لأن قاضيهم كان قد توفي، وقد عرّفوا اثنين من اتقىٰ علماء المـدينة الىٰ هـارون الرشيد لهذا الامر، فأراد هارون ان يختبرهما، فأحضر احدهما، وفي حين كان وزيره واقفاً بين يديه، قال هارون للرجل العالم: بيني وبين وزيري نزاع علىٰ ضيعة، ثم شرح للعالم اسباب النزاع وطلب منه ان يقضي في الامر، وبـعد ان استمع الرجل العالم الىٰ كلام هارون وشرحه، ثم الىٰ كلام الوزيـر وشـرحـه، قال بعد تأملّ وتفكرّ: الحقّ مع الخـليفة، وقـضىٰ لصـالحه، فأجـازه هـارون بالانصراف.

ثمّ أمر بأحضار العالم الآخر المرشح للقضاء، وشرح له ايضاً ذلك النزاع الوهمي بينه وبين وزيره (كما شرحه للعالم الأول) ثم طلب منه ان يقضي في الامر.

فقال له العالم والفقيه: انا لا استطيع القضاء هنا، لأن هذا المجلس ليس محكمة رسمية بنظر القانون القـضائي الاسـلامي، ولان احـد طـرفي النـزاع وهو انت تجلس في صدر المجلس وفي المكـان المـخصص لك، فـي حـين يقف الطرف الآخر وهو وزيرك بين يديك، فـي حـين ان الاسـلام يأمـر بأن يجلس طرفي النزاع في محل ومستوى واحد وان لا يكون بـينهما أي تـمايز وتفاضل.

وبعد ان سمع هارون الرشيد ذلك الكلام الذي يعبر عن روح اسلامية حرّة في الرجل، نصبّه قاضياً للمدينة.

اصحاب الابل يشتكون الخليفة

وكنموذج عملي كامل آخر للمساواة القضائية في الاسلام، قصة شكوىٰ مجموعة من اصحاب الابل استأجر المنصور العباسي ابلهم للسفر الىٰ الحج، لكنه امتنع عن اعطاءهم اجورهم بعد رجوعه من الحج. فأشتكىٰ اصحاب الابل الىٰ قاضي المدينة (ومكانته آنذاك لا تتجاوز مكانة رئيس محكمة في مدينة صغيرة اليوم) تعدّي المنصور علىٰ حقوقهم، فأرسل القاضي مباشرة خلف المنصور للحضور في المحكمة الرسمية، وحاكمه وهو جالس الىٰ جانب اصحاب الابل، ثم اخذ منه اجرة الابل بعد ان اعطىٰ الحق لأصحاب الابل في المجلس نفسه.

٢ ـ ومن اجل مراعاة المساواة الكاملة بين طرفي النزاع، علىٰ القاضي المساواة في النظرة والاشارة بينهما، وان لا ينظر الىٰ احدهما اكثر من الآخر او يشير عليه، الّا في حالة الضرورة.

٣ ـ علىٰ القاضي ان يتكلم مع الاثنين بالتساوي ولا يحق له الكلام مع احدهما اكثر من الآخر او ابراز محبة نحوه اكثر من الآخر.

٤ ـ علىٰ القاضي الالتفات والاهتمام بكلامهما علىٰ حدّ سواء.

في عهده لشريح قاضي الكوفة، يقول الامام امير المؤمنين علي عليه السلام:

ثم واس بين المسلمين بوجهك ومنطقك ومجلسك حتىٰ لا يطمع قريبك في حيفك ولا ييأس عدوك في عدلك[1].

---

(١) مستند الشيعة، للنراقي، كتاب القضاء، اضافة إلى سائر كتب الفقه.

حضرة الدكتور! لكم ان تحكوا هل يجب على القاضي ـ في اكثر دول العالم تحضراً ـ ان يراعي هذا الحدّ من المساواة بين طرفي النزاع، ويساويهما حتىٰ في النظرة؟!

هل يعتبر القاضي في اوربا وامريكا غير ملتزماً بالقانون اذا تحدث مع احد المتنازعين اكثر من الآخر واهتم به اكثر من غريمه؟!

٥ ـ اذا سلّم علىٰ القاضي احد طرفي النزاع عند دخوله المحكمة قبل الآخر، يحق للقاضي ان يقدم جواب سلامه علىٰ الآخر، ولكن اذا سلّما معاً، علىٰ القاضي ان يقول في جوابهما: سلام عليكما. ولا يحق له ان يقدم جواب سلام احدهما علىٰ الآخر، لكي لا يعطي بذلك امتيازاً لأحدهما علىٰ الآخر ويخلّ بالمساواة التي يجب ان تكون بينهما[١].

حضرة الدكتور! هل توجد من هذه الالتفاتات القانونية في قضاء عالم اليوم؟! ألا يحق للقاضي في الدول الغربية ردّ سلام احد اطراف النزاع ومجاملته اكثر من الآخر؟! وهل سيتعامل قضاة امريكا بالمساواة اذا كان طرفي النزاع احدهما رئيس جمهورية امريكا والآخر مستخدم عادي؟!

القسم الثاني:

وهي الشروط التي يجب توفرها في القاضي لكي يتسلّم هذا المنصب الحساس والمقدس.

---

(١) المصدر نفسه.

سعادة الدكتور! تعلمون جيداً ان الشرط الوحيد للقضاء في الدول الغربية وسائر دول العالم التي قبلت بنظامها الاجتماعي، هو الكفاءة العلمية، لكن الاسلام وضع شروطاً للقاضي منطقية وعقلانية، تلك الشروط التي لا نجد مثيلاً لها في جميع القوانين القضائية لدول العالم العظمىٰ، وبالنتيجة فأن اغلب المراجع القضائية في عالم اليوم ليست ملجأً تطمئن اليه الطبقات المحرومة والمستضعفة والشروط هي:

١ ـ من شروط القاضي في الاسلام وبالاضافة الىٰ كفاءته العلمية، ان يكون عادلاً وله حصانة اخلاقية وعلمية، لانه الملجأ الوحيد للطبقات المحرومة والمستضعفة والمظلومة في البلاد. لذلك كان من الضروري ان يكون صاحب فضائل اخلاقية وان يكون عفيفاً، حتى يطمئن الضعفاء والمظلمون عند تعرضهم لظلم وعدوان الاقوياء ان هناك من يلجئون اليه، وهم القضاة الذين سيأخذون لهم الحق ممن ظلمهم واعتدىٰ عليهم كائناً من كان و في اي مستوىٰ من القوة والمسؤولية.

ولكن اذا كان القاضي منحرفاً اخلاقياً وغير عادل ومليء بالذنوب، فهل سيحصل ذلك الاطمئنان لدىٰ الطبقات الضعيفة والمحرومة؟! وهل سيكونون بمأمن من تعديات الاقوياء واصحاب الاموال؟! وهل يستطع القاضي الغارق بالخيانة والذنوب ان يكون المدافع عن المحرومين والمظلومين؟! وهل يمكن تحقيق توقعات الشعب من القضاة، بمجرد امتلاكهم كفاءة علمية حتىٰ لو كان القاضي خائناً ومنحرفاً؟!

الدكتور: صحيح فالاسلام ومن خلال هذهِ الشروط التي وضعها

للقاضي حقق اكبر انجاز علمي وقضائي. لان القاضي العادل والذي يمتلك اخلاقاً فاضلة وتقوىٰ هو الذي يستطيع ان يكون ملجأ للطبقات المحرومة والمستضعفة فيما لو تعرضت للظلم والاعتداء، ولا يمكن لشخص غير عادل لا يمتلك فضيلة اخلاقية ان يقوم بتلك المهمة الحساسة والحياتية لمجرد امتلاكه شهادة دراسية.

الشيخ: والعدالة والتقوىٰ هما أوّل شرطان يجب توفرهما في القاضي بعد كفاءته العلمية، اما الشرط الاخرىٰ، فهي:

٢ ـ ان يكون القاضي صبوراً، ليتمكن من حلّ اعقد المواضيع القضائية بهدوء وتأمل ودون اي استعجال.

٣ ـ يجب ان يتمتع القاضي بالحلم وان لا يغضب لسماعه كلام طرفي النزاع الذي لا يخلو عادة من الكلمات الجارحة والنابية.

٤ ـ يجب ان يكون القاضي علىٰ مستوىٰ من الاخلاق الفاضلة، للحد الذي اذا اطلع في يوم من الايام علىٰ خطأ ارتكبه. يسحب كلامه ولا يعتبر ذلك عاراً.

٥ ـ يجب ان يكون القاضي صاحب همّة عالية، لكي لا يتوقع اجراً مقابل قضاءه بالحق وحكمه الصحيح.

٦ ـ يجب ان لا يكون القاضي عاطفياً، لكي لا يتعب من الدقّة في القضايا، ولا يقضي فيها من خلال نظرة سطحية، بل يبذل كل ما في طاقته ووسعه للتدقيق فيها.

٧ ـ يجب ان يكون القاضي انساناً وقوراً وحكيماً لكي لا يتأثر بمدح او هجاء اطراف النزاع له.

وقد جمع الامام امير المؤمنين عليه السلام هذهِ الشروط كلها في عهده الذي كتبه لمالك الاشتر حينما ولاّه مصر، فقال[١]:

«ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تحكمه الخصوم ولا يتمادىٰ في الزلّة ولا يحصر من الفيء الىٰ الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه علىٰ طمع ولا يكتفي بأدنىٰ فهم دون اقصاه واوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، واقلهم تبرماً بمراجعة الخصم واصبرهم علىٰ تكشف الامور واصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء».

التعجب والحيرة!

الدكتور: رفاقي الاعزاء، من خلال معلوماتي الكثيرة عن القوانين القضائية في العالم، يجب ان اعترف بصراحة، ان مثل هذهِ الشروط التي يجب توفرها في القاضي بحكم العقل والمنطق، غير موجودة في جميع دول اوروبا وامريكا وفي صميم اكثر الدول تحضراً علىٰ الارض، علىٰ الرغم من ذلك الضجيج الذي احاطوا انفسهم به، ومما يبعث علىٰ التعجب والحيرة هو ان المسلمين وعلى الرغم من امتلاكهم مثل هذهِ الذخائر من القوانين القضائية العلمية يمدون ايديهم الىٰ انظمة الغرب ليستعيروا منها قوانينهم الوضعية.

---

(١) نهج البلاغة: ١٣٠، طبعة مصر.

والاعجب من ذلك كله هو ليس فقط عدم تطبيق هذهِ القوانين في المجتمعات الاسلامية، بل ان اغلب المسلمين لا يعلمون بوجود مثل هذهِ القوانين الراقية والمتطورة.

اصدقائي الاعزاء!

من خلال استماعي لهذهِ الحقائق والمعارف العلمية التي جاءت في هذا الدين المقدس والذي ظهر قبل الف واربعمائة عام في عالم مظلم، من أجل خلاص البشرية، ومقارنتها بقوانين اكثر البلدان تحضّراً في اوروبا وامريكا، اعطي تمام الحق للعلماء الغربيين وغير المسلمين ان يخضعوا بهذا الشكل امام نبي الاسلام العظيم ﷺ وان يعترفوا له بأدق واسمىٰ مكانة علمية.

القسم الثالث:

الشيخ: الحالات التي يجب ان يتجنبها القاضي عند الحكم، وهذه الشروط هي:

١ ـ يكره[1] للقاضي اصدار الحكم وهو في حالة غضب.

٢ ـ يكره القضاء عندما يكون القاضي جائعاً او عطشاناً.

٣ ـ يكره القضاء، اذا كان القاضي حزيناً غير مرتاح نفسياً.

---

(١) المكروه، هو العمل الذي يجوز القيام به، ولكن يستحسن تركه.

٤ ـ يكره القضاء، اذا كان القاضي متضايقاً من البول او الغائط[١].

اصدقائي الاعزاء!

نفهم من خلال هذهِ الشروط التي وضعت للقاضي في الاسلام، ان الدين يريد ان يكون حكم القاضي خالٍ من كل تأثيرات جانبية صغيرة او كبيرة من اجل ان يكون حكمه صحيحاً وحقاً، لانه وخلاف ذلك لربما يضيع حق مظلوم او لا يطمئن المعتدىٰ عليه لجهاز القضاء في ان يأخذ حقه من المعتدي.

القسم الرابع:

وهي ما يتعلق بالشروط التي يضعها الاسلام لموظفي المحاكم القضائية، لان عدم تقواهم لربما يؤدي يوماً ما الىٰ عرقلة تنفيذ حكم القاضي ويؤخر قطع يد المعتدي عن المظلوم، وهذا القسم من الشروط كالتالي:

١ ـ لابد ان يكون كاتب المحكمة والشخص المكلّف بتحرير حكم القاضي، من ذوي الهمم العالية والبعيدين عن صفات الطمع وحب المال و... لكي لا يخون بالتطميع او ان يؤدي الىٰ عرقلة او تأخير اجراء الحكم.

٢ ـ لا يحق للقاضي ان يضع لنفسه حاجباً[٢]؛ لان القاضي ملجأ للمظلومين ويجب ان يكون الوصل اليه سهلاً يسيراً دون مانع أو حاجب، كي

(١) مستند الشيعة للنراقي، كتاب القضاء.

(٢) لم ير بعض الفقهاء والمجتهدين حرمة في تعيين حاجب للقاضي، بل اعتبروه مكروهاً.

يمكنه تخليص المظلومين من مخالب الظالمين بأقصىٰ سرعة؛ لان الحاجب ربما قام بتظليل الحاكم (القاضي) من خلال صداقته او قربه من الظالم والمعتدي، وذلك بالتمعلق للقاضي، ونقل اخبار غير صحيحه عن وضع المجتمع والناس له، ولربما يكون حائلاً دون وصول صوت المظلومين الىٰ مسمع القاضي[1].

اهم انجاز قضائي اسلامي

أتعلم يا سعادة الدكتور، ان اكبر انجاز قضائي في الاسلام، هو سرعة العمل وعدم وجود اي نوع من التشريفات!

اصدقائي الاعزاء!

اتعلمون ان القوانين القضائية مثل القوانين الطبية، اي كما ان قوانين الطب موظفة لمعالجة المريض وخلاصه من مخالب الألم، فأن المحاكم القضائية أيضاً موظفة بتخليص المظلومين من ايدي الظالمين واحقاقهم، وكما ان الطب الجيد هو الذي يعالج مريضه بسرعة ويخلصه من آلام المرض، فكذلك افضل المحاكم والقوانين القضائية هي تلك التي تقطع بسرعة يد المعتدين عن المظلومين وتخلصهم من مآسي الظلم.

أمّا إذا أصبحت قوانين الطب في يوم ما سجينة تشريفات معينة، فمثلاً،

---

(١) مستند الشيعة للنراقي، كتاب القضاء.

يؤتىٰ بمريض الزائدة الدودية[1] وهو يتلوّىٰ من شدّة الألم، ويقول له الطبيب، يجب ان تملأ استمارة وننظم لك اضبارة، ثم نرسل الاضبارة الىٰ وزارة الصحة، وبعد ان تمر بجميع المراحل القانونية، ويتخذ قرار بمعالجتك، وأُبلّغ بذلك القرار، سأقوم بعلاجك!!

فهل يمكن تسمية مثل هذه المؤسسة الطبية ـ ايها السادة ـ مؤسسة طب وعلاج، بل هي ألعوبة وعبث؟! وأي طبٍ هذا الذي يرىٰ المريض يتلوىٰ ألماً، فيما ينتظر هو القيام بالروتين الاداري؟!

اصدقائي الاعزاء!

لم توضع القوانين القضائية إلّا لانصاف المظلوم من الظالم، والمحاكم القضائية ملاجىء قوية وسند للناس المحرومين والمستضعفين، وعلىٰ هذا الملجأ والسند ان يغيث الناس بسرعة بسلاح القانون ويخلصهم من وطأة الظلم.

لكننا وللأسف نشاهد ان اعمال هذهِ المؤسسة المهمة مكبلة بتشريفات باطلة وزائفة ليس فقط في بلادنا بل حتىٰ في الدول التي تدعي لنفسها المدنية والتطور، ممّا أدىٰ عملياً الىٰ استمرار الظلم والاعتداء علىٰ حقوق الآخرين، فعجلة القضاء في جميع دول العالم بطيئة الىٰ حدّ نشاهد في بعض الاحيان المظلوم يموت تحت وطأت الظالم وبعد موته يصدر الحكم بمعاقبة الظالم وتخليص المظلوم!! وعذرهم في ذلك هو ان القضية يجب

---

(١) Appendicite، التهاب في الزائدة الدودية، تصحبه آلام وحمّى وقيء.

ان تطوي مراحلاً قانونية واننا مشغولون بدراستها جيداً!! ولكي لا يمل الاصدقاء من كثرة الحديث، انقل لهم نماذُج لأساليب الاجهزة القضائية في عالمنا المعاصر:

القضية التي استمرت ١٩ عاماً!!

ينقل أحد مسؤولي وزارة العدل الكبار سابقاً وهو الآن متقاعد، وكان عند تقاعده يشغل منصب مدعي عام احدىٰ المدن، يقول السيد (م) في مذكراته: كنت مشغولاً في الشعبة الاولىٰ لمحكمة المدينة بدراسة قضية. مفادها ان شخصاً بأسم (ح) اقام دعوىٰ ضد بلدية طهران لخلع يدها عن قطعة ارض، وذلك سنة ١٩٢٧، وكانت هذهِ القضية مستمرة لفترة ١٩ عاماً، أي حتى سنة ١٩٤٦، حتى اعلنت في تلك السنة نهايتها وامرت بأخلاء الارض المتنازع عليها.

القضية التي استمرت ١٨ عاماً

ويذكر نفس الشخص، فيقول: اقام احد المقاولين سنة ١٩٢٨ دعوىٰ ضد وزارة الحرب لأخذ طلبه منها، وبقيت هذه القضية ١٨ عاماً تطوي مراحلها القانونية، حتى اعلنت نهاية تحقيقها سنة ١٩٤٦ وحكمت بدفع المبلغ المذكور الىٰ المقاول من قبل وزارة الحرب.

تنظيف الوفر في شهر آب!!!

يقال ان رجلاً اشتكىٰ الىٰ القضاء من جاره الذي حول الوفر من سطح بيته الىٰ داخل بيت الرجل وذلك في شهر شباط (اي في الشتاء) ولانه يخاف علىٰ بيته من الضرر لأن بناءه قديم. وبعد ان قدم الرجل شكواه رجع للبيت فارغ البال وهو ينتظر ان يصدر حكماً بأزاحة الوفر والجليد من فناء داره في عصر ذلك اليوم أو في غده، لكنه مضت اسابيع وشهور ولم يصدر الحكم، حتى اجتازت القضية مراحلها القانونية وصدر الحكم بالاخلاء ولكن ذلك كان في شهر آب والله العالم في تلك السنة او السنة التي تلتها!

هنا ضحك الجميع طويلاً.

لا بدّ من تحمل دلال ملك الموت!!

قرأت في احدىٰ الصحف خبراً لطيفاً بالعنوان اعلاه، ونصّ الخبر يقول: «وصل لأحد العمال ابلاغ من المحكمة، وعندما يذهب العامل في اليوم الثاني للمحكمة وعرّف نفسه، لم يقبل بذلك اعضاء المحكمة، وقالوا له: يجب أن تأتي الىٰ المحكمة برفقة احد رجال الشرطة، فيذهب المسكين الىٰ احدىٰ المناطق القريبة من المحكمة ويتوسل الىٰ احد رجال الشرطة لكي يرافقه (يحضره) الىٰ المحكمة!!»[1].

(١) مجلة الرقيّ، العدد ٣٥٨. (بالفارسية)

ايها السادة المحترمون!

مثل هذهِ الامور كثيرة جداً في التاريخ القضائي لبلادنا. وان ذكرها بأجمعها يحتاج الىٰ سنوات من الوقت.

والحقيقة هي ان القيود التي وضعها العالم المتحضر علىٰ القوانين القضائية سلبتها السرعة اللازمة وجعلها كما هي الآن مضحكة، مما ادىٰ الىٰ يأس الفئات المستضعفة من احقاق حقها بواسطة الاجهزة القضائية، للحدّ الذي يرضىٰ اكثر المظلومين المستضعفين بغض النظر عن حقوقهم المسلّمة والقانونية علىٰ أن يرجعوا الىٰ المحاكم.

لكن الاسلام العظيم لا يرضىٰ ان يكون هناك عمل مهما كان صغيراً بعنوان طي مراحل قانونية او عناوين أُخرىٰ في دائرته القضائية، ومع ان المحكمة الاسلامية ليس فيها الّا عضوان هما القاضي والكاتب (الذي يحرر الحكم)، الّا انه في الغالب يفضّ النزاع في اول جلسة قضائية، ويأخذ كل واحد حقه.

المحكمة القضائية الاسلامية برأي غوستاف لوبون

يقول الدكتور غوستاف لوبون حول القضاء في الاسلام:

«القضاء الاسلامي وترتيب المحاكمات وجيز و بسيط، فهناك شخص منصب من قبل الحاكم لأمر القضاء، يتابع جميع القضايا شخصياً ويحكم فيها،

وحكمه هذا قطعي، ففي المحكمة الاسلامية، يدعىٰ طرفي النزاع الىٰ الحضور شخصياً الىٰ المحكمة ويقومان بشرح القضية ويقدم كل طرف منهم دليله، ثـم يصدر القاضي حكمه في ذلك المجلس.

لقد حضرت مرّة في احدىٰ هذهِ المحاكم في المغرب ورأيت كيف يقوم القاضي بعمله، كان القاضي يجلس علىٰ كرسيه فيبناية متصلة بدار الحكومة، كما ان كلّ واحد من المتداعيين أيضاً يجلس في مكانه ومعه شهوده، وكـانوا يتحدثون بألفاظ مختصرة وكلام بسيط، فإذا كان احدهم يـحكم عـليه بـعدّة سياط، كان الحكم ينفذ فيه في ختام الجلسة، واكبر فوائد هذا النوع من القضاء هو عدم ضياع وقت المتداعيين، وعدم وجود خسائر مالية للمتداعيين بسبب المراجعات الادارية التي نراها اليوم، ومع البساطة والايجاز الذي ذكرته فأن الاحكام الصادرة كانت عادلة ومنصفة».

ليس في الاسلام استئناف ولا تميز

الدكتور: الشروط التي ذكرتها والالتفاتات العلمية الموجودة في القضاء الاسلامي ليس لها مثيل في قوانين القضاء الوضعية في جـميع العـالم، حسب معلوماتي الشخصية، ورغم الضجيج الاعلامي الذي تقوم بـه اوروبـا دعـاية لمؤساستها القضائية، فليست هـناك مـؤسسة مـتطورة كـما هـو الحـال فـي المؤسسات القضائية الاسلامية. لكن هناك امر في قوانـين القـضاء الوضـعية المعاصرة لا نجدها في القوانين القضائية الاسلامية، وتلك مرحلة الاسـتئناف والتميز، اي ان القوانين القضائية المعاصرة تكون علىٰ مرحلتين، فـلو اخـطأ

القضاة في المرحلة الاولىٰ او ارتكبوا خيانة، تذهب القضية مباشرة الىٰ محكمة الاستئناف ومن ثم الىٰ التميز وهناك تدرس وتتابع من جديد، في حين ان الاسلام فاقد لهذهِ الميزة القضائية (الاستئناف والتميز).

الشيخ: ان وجود مرحلتان قضائيتان في عالم اليوم وعدم وجود ذلك في القانون القضائي الاسلامي هو دليل هام علىٰ استحكام مباني القوانين القضائية الاسلامية، وهشاشتها في القوانين القضائية الوضعية المعاصرة، ولان الاسلام يأخذ الحدّ الاقصىٰ من الاحتياط والدقة في المرحلة الاولىٰ وضمن الشروط الواجب توفرها في القاضي. لان تلك الشروط التي ذكرناها مسبقاً تجعل من الصعب ان يخطيء القاضي او يخون وبذلك تنتفي الحاجة الىٰ مرحلة الاستئناف والتميز.

أمّا دنيا اليوم التي ترىٰ ان شرط القضاء الوحيد هو الشهادة الدراسية، دون الاخذ بالجوانب الأُخرىٰ والتي تجعل من اي شخص قاضياً لمجرد انه خريج فرع القانون، لابد وان لا تطمئن لقضاءهم وان تجعل احتمال الخطأ والخيانة مساوياً لاحتمال الصحة في الحكم!

سعادة الدكتور! حتىٰ لو فرضنا ان جميع القضاة عدول واتقياء، فان الاسلوب القضائي المتبع اليوم لا يبعث علىٰ الاطمئنان، لان الاضبارة التي يجب ان يدرسها القضاة نظمت في محلّ آخر، ومن اين للقضاة ان يطمئنوا اليها وانها لم تطلها يد التحريف والتزوير، وهل تستطيع تلك الاضبارة أن تعكس واقع الناس المساكين والمظلومين؟! وهل الاحكام التي تصدر من مثل هذه الاضبارات صحيحة ويمكن الاطمئنان إليها؟

سعادة الدكتور! يحاول عالمنا المعاصر حلّ مشاكله القضائية مثل احتمال الخيانة او الخطأ (وهو احتمال قوي جداً وفي محله) عن طريق محكمة الاستئناف والتميز، في حين ان هذا الامر خطأ تماماً وتصور مغلوط، لان القضاة الكبار في محكمة الاستئناف والتميز ليسوا ملائكة، بل من اولئك المتعلمين الذين يعتبر شرط استخدامهم الوحيد هو شهادتهم الدراسية، اي ان قضاة الاستيناف والتميز ايضا من نفس شاكلة القضاة العاديين، فكيف لا يطمئن الىٰ حكم المحاكم العادية ويطمئن الىٰ حكم محكمة الاستئناف والتميز؟! فهل ان قضاة المحاكم العادية غير عدول وغير متقين، لكن قضاة محاكم الاستيناف والتميز عدول ومتقون؟!

أليسوا جميعاً من صنف وهيئة واحدة، والشرط الوحيد لعملهم هو الورقة التي في ايديهم (الشهادة الدراسية)؟!

أمّا الاسلام وعلىٰ الرغم من عدم وجود محكمة استئناف وتميز في تشكيلاته القضائية، يمكن الاطمئنان الىٰ قضائه سبب الشروط التي يضعها للقضاء، وللحد الذي يعترف بصراحة الدكتور غوستاف لوبون:

«علىٰ الرغم من بساطة عملية القضاء الاسلامي والايجاز الذي فيها، إلّا ان جميع الاحكام الصادرة عادلة ومنصفة. على العكس من القضاء في دول اوروبا وامريكا رغم تشكيلاته العريضة والطويلة والمعقدة».

سعادة الدكتور! لقد اراد العالم الاوروبي والامريكي من خلال محاكم الاستئناف والتميز، الدقّة والحيطة التي اتبعها الاسلام قبل تعيين القاضي من

حيث شروط القضاة والشهُود، ولقد اثبتنا ان اجراءات الاسلام لهـا دور مـهم وبارز في القضاء لا يمكن لمحاكم الاستئناف والتميز القـيام بـه، ويـجب ان نعترف بأن محكمة الاستئناف والتميز ايضاً تتبع نفس الاجراءات الروتينية التي تتبعها المحاكم العادية، وليس لها تأثير سوىٰ في المبالغ الطائلة التي تـصرف سنوياً من اموال هذا الشعب المسكين!

جواب سؤال

الطالب الجامعي، حسن: أيّها العمّ العزيز كيف لا يـوجد فـي الاسـلام مـحكمة اسـتئناف وتـميز، مـع ان الاسـلام يـرىٰ احـتمال نـقض حكـم القاضي الأوّل من قبل قاض ثـان، او ان المـحكوم يـطلب اعـادة مـحاكـمته عند قاضٍ آخر؟

الشيخ: الموارد التي يمكن فيها نقض حكـم القـاضي، او ان المـحكوم يمكنه طلب اعادة المحاكمة عند قاض آخر، لا تشبه ما عـليه فـي مـحاكـم الاستئناف والتميز في عالم اليوم. لانه هناك ثلاثة مراحل قضائية في مؤسسات القضاء المعاصرة، هي: المرحلة الاوليـة والاسـتئنافية والتـميزية، فـمرحـلة الاستئناف فوق مستوى المرحلة الاولىٰ والتميز فوق مرحلة الاستئناف، مـن شروط عقد محكمة الاستئناف هو ان لا يمضي اكثر من عشرة ايام علىٰ تاريخ صدور الحكم من قبل المحكمة الاولىٰ، كما ان محكمة التميز تـنعقد بشـروط خاصة، كما لا يوجد في انعقاد محكمة التميز، امتيازاً بين الدعاوىٰ الجزائية او الحقوقية.

وتنعقد محكمة الاستئناف في حال طب المحكوم ضده، سواءً كان يحتمل الخطأ في الحكم الصادر بحقه او متيقن من خطأه، فالقانون يقرّ انعقاد محكمة الاستئناف لمجرد طلب الشخص الذي صدر الحكم ضده، وسواءً قطع قضاة محكمة الاستئناف بخطأ قضاة المحكمة الاوليّة او قطعوا بعدهم خطأهم، واحتملوا الخطأ أو الخيانة في حكمهم، واذا ما انعقدت محكمة الاستئناف وبعد دراستهم لأضبارة طرفي النزاع، استنبطوا حكماً مخالفاً لأستنباط المحكمة الاولىٰ، عند ذاك يقومون بنقض حكم المحكمة الاولىٰ ويصدرون هم حكماً محله.

موارد نقض الحكم في قوانين الاسلام القضائية

في الاسلام لا يحق لقاضٍ نقض حكم قاض قبله الاّ في ثلاث موارد، هي:

١ ـ اذا لم يرَ القاضي الثاني صلاحية وجدارة في القاضي الأول لمقام القضاء.

٢ ـ فيما لو كان حكم القاضي الأول مخالفاً للأدلة القاطعة والقواعد المسلّمة في القضاء الاسلامي، مثل: مخالفة للاجماع المحقق والثابت والخبر المتواتر وامثالها.

أمّا إذا استنبط القاضي الاول حكماً علىٰ اساس القوانين القضائية الاسلامية، لم يستنبطه القاضي الثاني منها، بل فهم منها شيئاً آخراً، ففي هذه الحالة، لا يحق للقاضي الثاني نقض حكم القاضيالاول.

٣ ـ عندما يثبت تقصير القاضي الاول في دراسته للقوانين والادلة القضائية، ولم يدقق فيها بشكل جيد.

حول طلب اعادة المحاكمة في الاسلام

أمّا الموارد التي يمكن فيها للمحكوم ضده طلب اعادة المحاكمة، هي الادعاء بقطع خطأ القاضي في حكمه، او انه لم يكن يمتلك صلاحية علمية للقضاء، او انه كان فاسقاً، او ان الشهود لم يكونوا عدول وانهم فساق ومثل هذهِ الادعاءات.

كما انه لا تعاد المحاكمة لمجرد تلك الادعاءات، بل على المحكوم في البداية اثبات دعواه، فلو ادعىٰ المحكوم ان القاضي قد اخطأ، عليه اولاً ان يثبت خطأ القاضي ومن ثم طلب اعادة المحاكمة.

أمّا اذا لم يثبت المحكوم خطأ القاضي او عدم صلاحيته او عنوان آخر مما ذكرناه، فليس له طلب اعادة المحاكمة لمجرد احتماله الخطأ وحتىٰ لو طلب ذلك من قاض آخر، فلا يحق لذلك القاضي ان يبحث ويدرس حكم القاضي الأول.

خصوصيات المسألتين في القضائين الاسلامي والوضعي

اصدقائي الاعزاء!

أتصوّر انه ومن خلال ما ذكرته اعلاه، يتضح الفارق بين محكمة

الاستئناف والتميز عن الموارد التي يمكن فيها للقاضي المسلم نقض حكم قاض آخراو التي يحق للمحكوم فيها طلب اعادة محاكمته، وثبت عدم تشابه ما يطرحه الاسلام عما موجود في الانظمة الوضعية (محكمة الاستئناف والتميز)، وبشكل عام فأن الفوارق القضائية بين الاسلام والوضعية، هي كالتالي:

١ ـ لا توجد في المؤسسة القضائية الاسلامية ثلاثة مراحل قضائية، خلافاً للمؤسسة القضائية الوضعية المعاصرة التي لها ثلاث مراحل قضائية، هي: المرحلة الاولية والاستئناف والتميز.

٢ ـ من منظار القوانين القضائية الاسلامية، اذا كان استنباط احد القضاة مخالفاً لأستنباط وحكم القاضي الاول، فليس له اي حق في نقض ذلك الحكم الاولي، في حين ان القوانين القضائية الوضعية المعاصرة ترىٰ ان استنباط قضاة محكمة الاستئناف إذا كان مخالفاً للحكم الاولي، ينقضه ويصدر مباشرة حكم آخر في القضية.

٣ ـ لا يقبل من المحكوم طلب اعادة المحاكمة ما دام لم يدعي خطأ القاضي الاول بشكل قطعي او عدم صلاحيته او فسقه او... الخ، وحتىٰ لو طلب المتهم ذلك من قاض آخر، فلا يحق لذلك القاضي اعادة المحاكمة او النظر في حكم القاضي الاول، اما لو اتهم المحكوم القاضي الاول بما ذكرناه مسبقاً، فلا تنعقد محكمة جديدة مباشرة أيضاً، لانه عليه ان يثبت ما ادعاه اولاً، في حين ان قوانين القضاء الوضعية تقرّ بتشكيل محكمة استئناف بمجرد طلب المحكوم لذلك، كما ان لقضاة محكمة الاستئناف النظر في حكم المحكمة الاولىٰ ونقضه،

وعلىٰ هذا لا يوجد في الاسلام محكمة استئناف وتـميز بـالمعنىٰ الوارد فـي القوانين الوضعية المعاصرة، وان عدم وجود مرحلتي الاستئناف والتـميز فـي القانون القضائي الاسلامي لهو خير دليل عـلىٰ اسـتحكام مـبنىٰ القـضاء فـي الاسلام، ونزلزله في القضاء الوضعي.

كانت تلك جوانب من خصوصيات قوانين القـضاء الاسـلامي مـقارنة بالقضاء الوضعي المعاصر، وهناك الكثير من نماذج تفوق القوانين الاسـلامية علىٰ غيرها مما يعمل به في عصرنا الحاضر.

ملاحظة بعض قوانين الاسلام الجزائية

الدكتور: كما اشرتم، ان قوانين الاسلام تـتفوّق عـلىٰ قـوانـين العـصر الوضعية في العديد من المجالات، وهو امر لابد من الاعتراف به، ولكن هناك بعض القوانين الجزائية في الاسلام، ادت الىٰ الطعن في صميم الدين وتلك هي العقوبات الشديدة التي فرضت علىٰ بعض الذنوب في الاسلام، مثل قـطع يـد السارق، او السوط بالنسبة للزاني او شارب الخمر، فالعالم الغربي يرىٰ ان هذهِ العقوبات اعمال وحشية، يجب ان لاتنفذ علىٰ البشر.

الشيخ: ان معرفة حقيقة معينة تحتاج الىٰ معرفة سائر القضايا التي ترتبط بها بنحوٍ ما.

أمّا إذا أردنا دراسة موضوع ما دون الاخذ بالمواضيع الاخرىٰ المتصلة به، فلن نصل الىٰ معرفة حقيقة وصحيحة فيما يتعلق به. ومن النـماذج التـامة لذلك هي القوانين الجزائية الاسلامية التي سألتـم عـنها. والاشكـالات التـي

يواجهها البعض مع القوانين والاحكام الجزائية في الاسلام، مصدرها ذلك الخطأ، وهو انهم ينظرون فقط الىٰ احكام الاسلام فيما يتعلق ببعض العقوبات، دون الاخذ بنظر الاعتبار للقوانين التي يطرحها الاسلام في مجال تطهير المجتمع من الاثم والذنب، والتي تعد القوانين الجزائية الشديدة، آخر علاج لها.

أمّا الخطوات والأحكام التي يطرحها الاسلام في مجال تطهير المجتمع وجعله فاضلاً، فهي كالآتي:

أ ـ العوامل التربوية:

يستند الاسلام غالباً في صيانة المجتمع وابعاده عن العصيان والذنوب الىٰ العوامل التربوية التي يطرحها، وهذهِ العوامل واسعة وشاملة بحيث لو أنّها طبقت بشكل جيد تضمن سلامة المجتمع و نظافته وتقيه من ٩٠ ٪ من المعاصي.

والعوامل التربوية كثيرة في الاسلام، لكن اهمها:

١ ـ الايمان بالله.

٢ ـ الالتزام والمسؤولية.

٣ ـ الالتفات الىٰ الآخرة والحساب والاجر والعقاب.

٤ ـ دعوة الانسان الىٰ الفضيلة ومحاربة الخصال الذميمة.

٥ ـ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦ ـ الصلاة بمعاينها السامية ومفاهيمها التربوية الخاصة.

٧ ـ الصوم.

وعشرات العوامل الأُخرىٰ التي لها أدوار أساسية في تربية الانسان بتمام معنى الكلمة.

ب ـ العلاج من الاساس:

المسألة الاخرىٰ التي التفت اليها الاسلام من اجل تطهير المجتمع من الذنوب والمعاصي، هي معالجة الظواهر من الاساس، ومهاجمة العوامل الاساسية التي تؤدي الىٰ الذنب والمعصية، وهذهِ بحد ذاتها مرحلة مهمة يجب الالتفات اليها قبل دراسة القوانين الجزائية الاسلامية الشديدة.

فالاسلام عندما حرّم الزنا ـ علىٰ سبيل المثال ـ لم يتجاهل الغريزة الجنسية للانسان او يقمعها، بل وضع لها طرق شرعية متعددة لو طبقت سدت حاجة الانسان الجنسية.

ولو كان الاسلام شديداً في تعامله مع السارق فلأنه طرح نظاماً اقتصادياً ليست فيه فوارق طبقية وتمايزات بين البشر، وهو يدعو الىٰ توزيع الثروات الطبيعية والدخل علىٰ اساس العدل، وعلىٰ ضوء النظام الاقتصادي الاسلامي، لن يكون هناك محتاجاً في المجتمع حتىٰ يقال: لماذا يقطع الاسلام يد السارق الجائع، الذي ما سرق إلّا ليشبع بطنه؟! لانه سيقال في جواب ذلك اولاً، لن يكون هناك جائع على ضوء النظام الاقتصادي الاسلامي، بل هو سيملك حق

الاستفادة من جميع المصادر الطبيعية في العالم بقدر حاجته وعلىٰ اساس اصالة العمل. وثانياً متىٰ قال الاسلام بقطع يد السارق في النظام الذي يبيت فيه الاشخاص جياعاً؟!

أجل، ان علاج الحالات المرضية من الأساس هو الأصل الثاني المهم الذي وضعه الاسلام لتطهير المجتمع من الجريمة والمعصية، وذلك من خلال قلع جذور الاسباب الرئيسية للجريمة.

ج ـ الاحكام الجزائية في الاسلام:

وفي نهاية المطاف، وكآخر حلّ يضع الاسلام مجموعة من العقوبات لردع الانسان العاصي والوقوف دون وقوع الجريمة، والآن إذا أراد شخص ان ينظر الىٰ احكام العقوبات فقط وتجاهل الموردين الاوليين المهمين في الاسلام، فأن هذا الشخص مخطئ تماماً، لانه وكما شرحنا من قبل وضع الاسلام من جهة عوامل تربوية واسعة وشاملة تقوم ببناء شخصية الانسان من خلالها، ويسيطر بها على الصفات الرذيلة، لكي يرتدع الانسان من خلال امتناعه عن الذنب والمعصية.

ومن جهة اخرىٰ، قام بقطع دابر العوامل المؤدية للذنب من الجذور، ووضع حلولاً علمية مناسبة لجميع المشاكل وفي كل المجالات، وفيما لو طبقت تضمن جميع متطلبات الانسان وحاجياته الطبيعية والمشروعة.

وصدقوني ان نسبة عالية من الناس لو اجتازوا هاتين المرحلتين سيكونون بكل تأكيد اشخاصاً متقين واصحاب فضائل.

أمّا لو بقي رغم ذلك كله شخصاً مصرّاً في اختيار الطرق الشيطانية والخصال الرديئة ، فهنا وكآخر وسيلة للعلاج، يتعامل الاسلام معه بشدّة ويقف من خلال قوانينه واحكامه سدّاً مقابل هذه الاعمال التي تريد هدم كيان المجتمع.

وهنا لكم ان تحكموا ، أليس من غير الانصاف ان يأتي شخص ويحكم في قوانين الاسلام الجزائية ويدينها دون الاخذ بنظر الاعتبار للمسائل الأُخرىٰ المرتبطة بها، اي تلكما المرحلتان التي ذكرتهما من قبل ؟!

الثقافة

من الضروري الالتفات الىٰ ان الاسلام يرىٰ ان العوامل التربوية والمزحلة الثانية التي هي علاج الحالات المرضية من الاساس لها دور مؤثر وقوي جداً في تطهير المجتمع وردع الاشخاص عن الذنب والعصيان ، كما ان القوانين الجزائية لو طبقت بشكل جيد يمكن ان تقف امام المعاصي وتحول دون انتشار الفساد.

أمّا الايديولوجيات الوضعية ـ وللأسف الشديد ـ لا هي تستخدم العوامل التربوية المؤثرة ولا هي تقدم حلولاً اصولية من اجل تأمين حاجات الانسان ومتطلباته المختلفة، ولا تقدم للأسف ايضاً قوانين جزائية صارمة يمكنها مكافحة الجريمة والفساد بشكل واسع ومؤثر.

الذين قطعت ايديهم !!!

هنا قد يقال : لو ان السارقين تقطع اياديهم ، لفقد الكثير من الناس في المجتمع اياديهم ؟! وفي جواب ذلك ، نقول :

بل العكس فلو طبقت تلك القوانين (خاصة مع الاخذ بالمرحلتين الاوليتين المذكورتين) لن يكون في المجتمع مقطوعي ايدي ولا سارقين ، ومثال ذلك في عصرنا دولة السعودية ، فعلىٰ الرغم من عدم وجود عوامل تربوية صحيحة في ذلك المجتمع ونظام اقتصادي اسلامي عادل، وعلىٰ الرغم من الفوارق العميقة الموجودة وترف ولهو وثروات الامراء والحواشي والمقربين من اموال النفط وعائداتة الطائلة، فليس هناك سرقة (طبعاً السرقة العادية وليست السرقات الكبيرة التي يقوم بها المسؤولون والامراء من اموال الشعب) ولا ايدٍ مقطوعة ، لانه علىٰ الاقل تطبق الحكومة السعودية قانون قطع يد السارق ، وهذا ما يمكن التأكد منه بواسطة آلاف الحجيج الذين يذهبون سنوياً الىٰ هناك للحج ، فكم من يدٍ وجدوها مقطوعة ؟! وكم رؤوا من السرقات ؟! وحتىٰ لو شاهدوا السرقات فهي أقل بكثير مما يحدث في أي دولة أُخرىٰ .

فهذا نموذج عملي واحد عن دور القوانين الجزائية الاسلامية فيما يتعلق بالسرقة في عالمنا المعاصر، علىٰ الرغم من ان السعودية دولة لا تطبق النظام الاقتصادي الاسلامي وليس هناك توزيع عادل للثروة ، كما انها من البلدان المتخلفة ثقافياً وحضارياً.

قاطعية الاسلام في مكافحة الفساد

لا يُنكر ان الاسلام واجه المذنبين والعصاة المفسدين بعقوبات شديدة ، لكن يجب ان لا ننسىٰ ان ذلك كله من أجل مصلحة المجتمع وبسبب خطورة المعصية اجتماعياً ، ولا يهدف الاسلام في قوانينه الجزائية إلّا المكافحة الحقيقية للمعصية .

والاسلام ليس كالعالم المعاصر وقوانينه، الذي يسوّي المسألة مع العاصي أو المذنب، وبهذا الشكل يتلاعب بسعادة المجتمع ومصلحته .

فالاسلام يرجح أن يضرب شارب الخمر ثمانين سوطاً من أجل ان يقطع دابر شرب الخمر من المجتمع ويخلصه من امراضه .

والاسلام يرجح ان يضرب شارب الخمر ثمانين سوطاً ولكن في المقابل يكون له ولجميع جيله رادعاً عن فعل ذلك للأبد .

والغريب ان عالمنا المعاصر وعلىٰ الرغم من اعترافاته بأضرار شرب الخمر، فهو يقول ان المشروبات الكحولية سموم مهلكة وخطرة وانها تؤثر سلباً علىٰ المخ والدم والقلب والاعصاب والجلد والجهاز الهضمي و... الخ ، لكنه لا يتعامل بجدية مع القضية ويتساهل مع شارب الخمر بشكل يعتبر عمله ترغيباً واشاعة للمعصية!

ولو كان العالم المعاصر يريد قلع جذور السرقة والاعتداء علىٰ اموال وممتلكات الناس ، فلماذا يتساهل مع السارق ويبدي معه تسامحاً ؟! ولو كان

العالم المعاصر يعتبر الاعتداء علىٰ اعراض الناس خيانة وجريمة فلماذا كل هذا التساهل مع من يفعلها؟!

هنا لا بدّ أن نعترف وللأسف الشديد، ان القوانين الوضعية الحالية لن تستطيع ان تلعب دوراً مهماً في قلع الفساد والمعاصي من الجذور في المجتمع فقط، بل اجازت تلك الاعمال وأدت إلىٰ انتشارها من خلال التسامح والتساهل الذي تبديه مع مرتكبيها، والنهج الذي تتبعه تلكالقوانين الجزائية الوضعية في مكافحة الفساد والاثم، يشبه عمل الدكتور الذي يكتفي ببعض الجرعات المسكنة مقابل مرض خطر ومسري، علىٰ الرغم من امتلاكه جميع الوسائل والامكانيات لمكافحة المرض. وفي مثل هذه الحالة الا يقال ان هدف الدكتور هو ليس علاج الحالة المرضية بل الهاء المريض المسكين وتخديره!

أمّا الاسلام

لكن الاسلام (وخلافاً لعالمنا المعاصر) يسعىٰ بجدية لمكافحة جذرية للفساد والمعصية في المجتمع، وهدف الاسلام من ذلك هو قلع الفساد والمعصية من الجذور، علىٰ قدر المستطاع، ولهذا نراه شديداً في وضعه للقوانين الجزائية وقوانين العقوبات وفي تنفيذها.

ولان الاسلام يريد مكافحة السرقة بشكل حقيقي ويضمن امن المجتمع من هذه الناحية، لذلك يأمر بقطع يد السارق[١].

---

(١) طبعاً مع الأخذ بالشروط التي وضعها الاسلام.

والاسلام يريد مكافحة الاعتداء على اعراض ونواميس الآخرين بشكل حقيقي ، لذلك أمر بجلد الزاني مئة سوط أمام أعين الناس ، لكي لا يعود الى ذلك ويكون عبرة للآخرين وسدّاً امام اتساع دائرة المعصية في المجتمع.

والاسلام يرى ان المشروبات الكحولية سموم مهلكة وانها تهدد أساس المجتمع وسلامته ، لذلك يأمر بضرب ذلك الشخص الذي يخاطر بسعادة نفسه وسلامتها وسعادة وسلامة جيله ، ويشرب من هذا الشراب المهلك ، ثمانين سوطاً ، لكي يقف امام تكرار مثل هذا العمل في المجتمع .

ألا يمكن تطبيق هذه القوانين في عصرنا .

هنا يمكن القول ، على الرغم من تأثير القوانين الجزائية والعقوبات الشديدة التي وضعها الاسلام لمكافحة المعاصي والفساد من الجذور الا ان هذه القوانين غير قابلة للتطبيق في عصرنا الحاضر ، لانه يعتبرها اساليب وحشية !

فنقول : ليس لنا إلّا أن نتعجب لهذا القول ونأسف له .

أليس عجيباً ان الدنيا تصمت وتصم آذانها وهي تشاهد مئات عمليات القتل والاعتداء وقطع الاعضاء وعشرات الجرائم الأُخرى ، والتي تقع بسبب السرقة او التطاول على أموال الآخرين ، ولكنها تعتبر قطع أربعة أصابع من يد خائن او معتدي وذلك أيضاً من أجل محو ظاهرة السرقة ، والوقوف أمام مئات الجرائم التي تأتي من هذه الاعتداءات والتجاوزات غير قابلة للتطبيق والاجراء ؟!

وكيف يستصعب عالم اليوم ثمانين سوطاً على جسد شارب الخمر

في حين انه لا يستصعب القتل والجرائم وسلب راحة المجتمع الذي ينتج عن تأثير الخمر في سلوكيات الاشخاص والمجتمع ، ويرىٰ ذلك صعب التنفيذ !

دنيا التناقضات

اليست الدنيا الي نعيش فيها ، دنيا تناقضات وعصرنا عصر غريب ! فدنيانا من جهة رؤوفة وعطوفة للحد الذي لا ترضىٰ بقطع اربعة اصابع لمجرم (من اجل الامن العام ومحو السرقة من المجتمع) ، ومن جهة اخرىٰ ، هذه الدنيا الرؤوفة ، تستثمر وعلىٰ مدىٰ سنوات عديدة ملايين البشر الضعفاء وعشرات الشعوب الصغيرة والمحرومة ، وتعطي للاقوياء الحق في نهب ثروات المستضعفين . في حين ان اولئك المساكين يعيشون حفاة وجياعاً ويعانون من اسوء الظروف !

وكيف تبرر هذه الدنيا العطوفة التي لا ترضىٰ ان يضرب شارب الخمر أو الزاني ثمانين أومائة سوط ، قتل مليون جزائري مسلم ليس لهم ذنب سوىٰ انهم يريدون الاستقلال والخلاص من الهيمنة الاستعمارية ؟!

وكيف قبلت هذه الدنيا بالقنبلتين الذريتين اللآتي دمرتا هيروشيما وناكازاكي في اليابان فقتل اكثر من سبعين الف شخص وتحولت الابنية والمصانع والمرافق العامة الىٰ انقاض خلال لحظات ؟ اليس من حق الانسان صاحب الضمير الحي ان يعجب امام تصرفات هذه الدنيا المتناقضة ؟!!

سرد موجز للجريمة في الدول المتقدمة

عالمنا الذي يرىٰ خطأ ان قوانين الاسلام الجزائية وحشية ، اراد ان يقف امام اعتداءات الانسان عن طريق وضع قوانين اقل صرامة وبعبارة اخرىٰ لينة ، وبذلك يقتلع جذور السرقة او اية جريمة اخرىٰ ، لكنه وللأسف لم يوفق في ذلك فقط ، بل اضطر الىٰ تشديد عقوباته وقوانينه الجزائية ويزيد من عدد سجونه يوماً بعد يوم .

وعلىٰ الرغم من ذلك كله ، ولسوء الحظ ، يزداد عدد السارقين والمجرمين في كل يوم للحد الذي اصبحت احصائيات الجريمة تقلق وتخيف مسؤولي اكبر الدول المتحضرة.

وهذه بعض تلك الاحصائيات المنشورة ، والتي سببها ترك قوانين الاسلام الجزائية وعدم العمل بها :

أ ـ تقرير وزير العدل :

في تقرير قدمه وزير العدل الايراني بتاريخ ٢ / ١ / ١٩٦٠ الىٰ البرلمان (المجلس الوطني) يقول :

« نحن نواجه هذه الحقيقة المرّة ، وهي التزايد المستمر لدعاوى الناس الحقوقية والجزائية ، ولابد من التفكير بحلّ لذلك ، وعلىٰ سبيل المثال : طبقاً للاحصائيات الموجودة عندي ، فان مجموع الاضبارات التي دخلت الىٰ جهاز

القضاء في الأشهر الستّة الأُولىٰ من سنة ١٩٥٩ ، هو ٣٦٢٦٦٥ فـي حـين ان المجموع للاشهر الستة الاولىٰ من هذا العام بلغ ٤٤٤٣٩١ ، اي ان مـا يـقرب ثمانين الف اضبارة زادت عما كان عليه في العام الماضي ، وبالتأكيد فان العملية تصاعدية في السنوات السابقة أيضاً.

ونقلت الصحف آنذاك نصّ التقرير ، وهو نموذج صغير للجرائم الموجودة لبلد في طريقه الىٰ الرقيّ ، يرىٰ ان القوانين الجزائية الاسلامية وحشية ، ويريد ان يقف امام الجريمة بالقوانين التـي تـضعها عـقول رجـاله ورجـال اوروبـا المخمورين !!

ولا بدّ من كلمة لوزير العدل الذي يعجب للنتائج التي تعطيها قوانـينهم الوضعيـة : ما سـتراه في المســتقبل اعـظـم بكـثيـر، فأنّك لا زلت فـي أول الطريـق.

ب ـ سجن واشنطن :

طبقاً لاحد التقارير الذي نشرته صحيفة معروفة ، كـانت فـي واشـنطن سابقاً ٣٦٠٠ سجينة فقط ، اما هذه السـنين فـقد وصـل عـدد السـجينات الىٰ ثمانية آلاف.

وفي مدينة فلادلفيا[١] يطلق سـراح النسـاء اللـواتـي يـصدر الحكـم بسجنهن ، لان سجون النساء مكتضة ، وليس هناك مكان للسجينات الجُدد.

---

(١) هذه الاحصائيات تعود لثمان سنوات قبل، أمّا الآن فالله العالم.

ج ـ النساء المجرمات في امريكا

نقلت إحدىٰ المجلات الصادرة في عددها ٤٥٩ عن مجلة متروبوليس، خبراً مفاده: حسب احصائيات صحيحة قام بها الاحصائيون الامريكان، فان عدد المجرمات قد بلغ في غضون عشرة سنوات من عشرة بالمئة الىٰ ثمانين بالمئة!

احصائية عجيبة !!

تحت عنواني « الفتيات والفتيان الامريكان يحطمون الرقم القياسي في الجريمة » و «المدارس والجامعات اماكن العشاق » نشرت احدىٰ المجلات هذه الاحصائيات الرهيبة:

٢٠/٠٠٠ شاب فرنسي مابين سن ١٥ ـ ١٧ عام ارتكبوا جرائم حوكموا عليها، ١٢٣٧٥ شاب امريكي ارتكبوا جرائم بالسيارات والدراجات والاسلحة النارية، وهذه الاحصاءات تشمل الموارد التي تدخل فيها البوليس او اكتشفها، اما تلك التي بقيت خافية عن انظار البوليس فهي كثيرة ايضاً و كما ان عدد الذين ارتكبوا جرائم في امريكا: ٤٦٧٨٥٠ من الشباب و ٩٨٧١٧ من الشابات[1].

وهذه مجرّد نماذج لاحصائيات الجريمة التي يقوم بها انسان القرن

(١) مجلة أمل ايران، العدد ٣٤٣. (بالفارسية)

العشرين في عصره الذهبي وفي البلدان المتحضرة!

هـ - احصائية عن الجريمة في امريكا :

حسب الاحصائيات المنشورة، فان كل ٢٥ ثانية يقع في امريكا حادث جريمة، وفي كل ٢٤ ساعة عملية قتل وخمسين عمل لا اخلاقي وتجاوز بالعنف و ٧٣٠ سرقة كبيرة وما يقرب ثلاثة آلاف سرقة صغيرة، وبشكل عام تقع سنوياً ما يقرب مليون وخمسين الف جريمة[1].

وفي تقرير نشره «هاور» رئيس دائرة المباحث الامريكية، يقول:

ان عدد الجرائم في سنة ١٩٦٠ بلغ ١٨٦١٠٠٠ جريمة، بزيادة قدرها ٤٪ عن العام الماضي.

ويضيف «هاور» في تقريره:

انّنا لو قارنّا بين الجرائم التي حدثت سنة ١٩٥٠ و ١٩٦٠ سنجد ان معدلاتها ارتفعت ٩٨ بالمئة، في حين ان سكان امريكا لم يزدادوا في الفترة نفسها الاّ ١٨ بالمئة[2].

و - احصائية عن السرقة والاختلاس في مهد الحضارة

الجميع يعلمون تطور عمليات السرقة حالياً في اوروبا وامريكا وحداثتها، وفي امريكا هناك سارقون محترفون يطلق عليهم اسم Gangsters (

---

(١) كتاب روح البشر: ٤٢. (بالفارسية)

(٢) صحيفة اطلاعات الايرانية بتاريخ ٣٠ / ٧ / ١٩٦١.

اعضاء العصابة) ، وإليكم بعض الاحصائيات فيما يتعلق بهم :

ـ في نيويورك وحدها هناك ١٥٠٠ عصابة يتجاوز عدد افراد كل واحدة منها المئات .

ـ يدفع اهالي شيكاغو سنوياً ١٦٥ مليون دولار رشوة الىٰ السارقين المحترفين ، وفي جميع الولايات المتحدة الاميريكية تبلغ عائدات عصابات السرقة من هذه الرشاوي ١٢ مليار دولار ، ففي نيويورك وحدها يحصل « راكتي » الذي يعمل في تزوير الوثائق علىٰ ٤٠٠ مليون دولار سنوياً .

وكان راكت روبرت بورتين يسرق اكثر من ثلاثة آلاف سيارة في السنة ويبيعها ، واللأسف الشديد هناك العديد من رجال الدولة شركاءه في ذلك[١] .

ز ـ احصائية عن السرقة في ايران :

طبقاً للأحصائيات الرسمية التي نشرت مؤخراً ، تم الكشف في دائرة شرطة طهران لوحدها علىٰ ١٩٤ عملية سرقة خلال كانون الثاني ١٩٦١ فقط ، والقي القبض في نفس الفترة علىٰ ٣٤٢ سارق ، وهؤلاء السارقين غير الذين القت القبض عليهم شرطة المباحث ، في كانون الثاني نفسه والذين يقدرون بـ ٥٠٠ من اكبر وأهم السارقين[٢] .

(١) مفكرة نور العلم السنوية، سنة ١٩٥٦ .
(٢) صحيفة اطلاعات الايرانية : ٨ / ٥ / ١٩٦١ .

اعدموا السارقين

لقد بلغ وضع الجريمة في عالمنا مستوىٰ ارعب مسؤولي الامن والبوليس والقضاء ، وكانت احدىٰ الصحف قد كتبت ان رئيس دائـرة الامـن الداخـلي والبوليس في احدىٰ الدول الغربية طالب اعضاءالبرلمان بتشريع قانون يـجيز اعدام السارق .

اعدام المرتشي

وجاء في صحيفة نداء الحق العدد ٤٤٣ نقلاً عن وكالة الاسيوشا يتدبرس ، خبر مفاده :

« صوّت اعضاء البرلمان في تايلند بشكـل أولي عـلىٰ قـانون يـوجب الاعدام لموظف الدولة الذي يأخذ رشوة ».

عجباً ، كيف يقبل العالم بأعدام السارق والمرتشي ، وهو الذي كان يعتبر قطع يد السارق وعقابه من اجل اجتثاث هذه الظاهرة من المجتمع عملاً وحشياً يستحق الاستنكار ؟!

أليس غريباً ان يعتبر مجرد قطع يد السارق عملاً وحشياً ، فيما لا يعتبر اعدامه كذلك !!

وكيف تحولت تلك المربيات اللاتي يرين انفسهن اكثر عطفاً من الأُم ولا يرضين بقطع اصابع يد انسـان خـائن (طـبعاً حسب الشـروط التـي ذكـرها

الاسلام)، الىٰ موجودات قاسيات يحكمن بالاعدام (القتل) علىٰ السارق والمرتشي ؟!

وقد عجزت تلك العقول التي لعبت بها الخمرة عن فهم حقيقة مفادها : الاعدام ليس حلاً للسرقة ولايمكنه اجتثاثها من المجتمع وتأثيره أقل من تأثير قطع اليد . لأن اعدام السارق علىٰ الرغم من شدته ينسىٰ بعد فترة من الوقت ، لكن قطع يده يبقىٰ علامة في المجتع علىٰ العقاب الذي يطال من يفعل ذلك ، مما يشكل رادعاً للآخرين عن القيام بالسرقة .

اصدقائي الاعزاء !

هل وجدتم في التاريخ شعوباً متملقة ومتحايلة مثل الشعوب الاوروبية والاميركية .

أليس عجيباً ان تثير الدول الاوروبية والاميركية كل هذا الضجيج الاعلامي لقطع اصابع سارق يخلّ بالامن والمصلحة العامة ، لكنها تقوم هي في نفس الوقت وعلىٰ مدىٰ سنين بالسيطرة علىٰ الدول الصغيرة والضعيفة وتمتص دماءها وخيراتها ، دون ان يتحرك ساكن او تدان علىٰ ذلك ؟

أليس هناك أحد يقول لرجال اوروبا وامريكا العطوفين والرؤوفين ! أيّها الذئاب المتوحشة وأيّها المخادعون ، انتم الذين تدّعون الشفقة والرحمة ليد تقطع بحق ، لماذا كل هذا التسابق في صنع تلك الاسلحة المدمرة والفتاكة ، واين عواطفكم واحاسيسكم الرقيقة تلك من استخدام ذلك السلاح ضد الابرياء والعزّل من شعوب العالم التي تريدون ابادتها ؟!

ويا زعماء الشرق والغرب المتوحشين ، يا زعماء موسكو وواشنطن ولندن .. هل تتصورون ان العالم نسي المشاهد الدموية التي جرت علىٰ ايديكم في الحربين العالميتين الأُولىٰ والثانية ؟ وهل تُنسىٰ الدماء التي أُريقت والأشلاء التي تناثرت بواسطة قنابلكم وصواريخكم ؟

ان صيحات وآهات المفجوعين من النساء والرجال والشيوخ والاطفال لازالت تدوي في سماء عالمنا المعاصر ، رغم ضجيج اعلامكم ومنجزاتكم المزعومة .

ويا أيّها المخادعون ، كيف تجيزون كل ذلك القتل في حروبكم من اجل السيطرة علىٰ العالم والشعوب وتفجعون الآباء والأُمهات بأبنائهم والنساء بأزواجهن ، دون أن تتأثر لذلك قلوبكم السوداء ، بل تعدونه من مفاخركم وانجازاتكم ، في حين تعتبرون قطع يد سارقة عملاً وحشياً وعقوبة شديدة ، لا يمكن اجرائها ضد البشر(١) .

ضرورة وعي السياسة الغربية والشرقية

من اجل ان يعي بعض ابناء شعبنا وأُمّتنا ، المتأثرين بشعارات الشرق والغرب ، حقيقة اولئك المستعمرين الناهبين لثروات الشعوب والمهيمنين علىٰ

(١) بلغت خسائر الحرب العالمية الأُولى: مقتل ١٠ ملايين عسكري، وجرح ما بين ٢٥ إلى ٣٠ مليون آخرين، وفي الحرب العالمية الثانية، حيث الاحصائيات ادق، فقد بلغ عدد القتلى ٣٥ مليون و٢٠ مليون معوّق و١٢ مليون حالة اسقاط جنين، وتدمير ١٣٠ الف مدرسة، و٦ آلاف جامعة و٨ آلاف مختبر، وقد أُلقيت أكثر من ٣٩٠ الف مليار قذيفة. راجع: تاريخ الحرب العالمية الثانية، تأليف الفريق أول نخجوان . (بالفارسية)

المستضعفين والمحرومين في العالم ولكي يعلموا ان اولئك المخمورين في اوروبا وامريكا والذين يعتبرون انفسهم قادة العالم وموجهوه ما هم إلّا حفنة من المخادعين القتلة ، ولا بدّ من ذكر نماذج لأعمالهم الدنيئة والبشعة التي يرتكبونها ضد الشعوب الفقيرة .

اقرأوا بدقة اكثر

الهند في مخالب بريطانيا !

هنا ، اليكم نموذجاً لتصرفات احدىٰ الدول العطوفة التي لا تقبل بقطع يد السارق وتعد ذلك عملاً وحشياً ، وتلك هي بريطانيا التي فعلت أحط الاعمال مع الشعب الهندي .

لنسمع من أحد المؤرخين الاوروبيين :

يقول الدكتور غوستاف لوبون في كتابه « حضارة الاسلام والعرب » وفي الصفحة ٧٤٣ حول معاملة الانجليز للشعب الهندي :

« صحيح ان بريطانيا تطورت واصبحت غنية، لكن الناس الذين اخذت منهم هذه الثروات (الشعب الهندي) اصبحوا في ادنىٰ مستويات الفقر والفاقة ».

تقرير السيد غرانديدير[1] عن وضع الشعب الهندي

في تقرير للسيد غرانديدير عن وضع الشعب الهندي خلال استعماره من قبل انجلترا، يقول :

« كانت طبقة المزارعين الهنود والتي تشكل اغلبية الشعب تدفع في السابق سدس (١ / ٦) محاصيلها الىٰ امرائها المحليين ، اما في فترة السيطرة الانجليزية فقد كان عليهم أن يدفعوا نصف (١ / ٢) محاصيلهم اما اذا امتنعوا عن دفع تلك الضرائب ، فان املاكهم واراضيهم تصادر بشكل مأساوي ، وقد أدىٰ هذا الامر الىٰ مآسي وفجائع بالنسبة للمزارعين تفوق مستوىٰ التصور».

حالة الشعب الهندي نقلاً عن السيد هيندمان[2]

يقول السيد هيندمان الذي زار الهند في فترة الاستعمار البريطاني :

« لقد قام الانجليز من جهة بالضغط علىٰ الشعب الهندي من خلال الضرائب الباهضة بشكل جعلهم يتضورون جوعاً ومن جهة اخرىٰ قاموا بتدمير مصانعم وصناعتهم ممادىٰ الىٰ غلقها وذلك من اجل السيطرة علىٰ السوق الهندية وزيادة صادراتهم ، وبهذه التصرفات فاننا (الشعب الانجليزي) نسير

---

(١) Grandidier.

(٢) Hind man.

نحو كارثة ليس لها مثيل في التاريخ».

وفي مكان آخر من كتاب حضارة الاسلام والعرب، يتحدث الدكتور غوستاف لوبون عن حالة الشعب الهندي، فيقول:

«يوجد في ولاية مدرس[1] وحدها وحسب الاحصائيات الرسمية ستة عشر مليون متسول. ولماذا لا يكون كذلك؟ فالشعب الهندي المسكين كان عليه أن يدفع مصروفات الحرب والتي بلغت اربعمائة مليون باوند وكذلك مصروفات الدوائر الحكومية البريطانية ومبلغها خمسين مليون باوند، وما عدا تلك المبالغ الضخمة، كان عليهم أن يدفعوا سنوياً خمسمائة مليون باوند ـ خالصة ـ إلى خزانة الحكومة البريطانية، وعلى هذا الاساس يكون مجموع ما حصلت عليه بريطانيا خلال فترة عشرين سنة[2] من سيطرتها على الهند، يفوق عشرة مليارات باوند، طبعاً هذا غير المبالغ العظيمة التي صرفت على المأمورين الانجليز في الهند، لأن اولئك المأمورون كانوا يتقاضون خلال فترة اقامتهم في الهند مرتبات مساوية لما يتقاضاه الوزير في بريطانيا».

ثم ينقل الدكتور لوبون عن تقرير السيد هيندمان، فيقول:

«ومن الأُمور العجيبة والمرعبة هي أن الولايات الشمالية الغربية كانت مجبورة على ارسال محاصيلها من الحبوب إلى الخارج، في حين أن ثلاثمائة

---

(١) من ولايات جنوب شرق الهند، يبلغ عدد سكانها ٤٤ مليون نسمة، وأهم منتوجاتها الرز والتبغ والشاي والقطن.

(٢) الفترة المذكورة، حتى تاريخ كتابة «حضارة الاسلام والعرب».

شخص ماتوا جوعاً هناك خلال بضعة أشهر.

وفي سنة ١٨٨٧ م مات في ولاية مدرس وحدها ٩٣٥ الف شخص (حسب الاحصائيات الرسمية) جوعاً، وكانت الحالة تزداد سوءً يوماً بعد يوم، لأن المزارعين كانوا مضطرين إلى زراعة اراضيهم أكثر من الحد الطبيعي لكي يتمكنوا من دفع الضرائب الباهظة التي تأخذها منهم الحكومة الاستعمارية بالقوة، وبذلك فقدت الاراضي طاقاتها وخربت بشكل تام».

وبعد أن ينقل الدكتور لوبون ذلك التقرير عن السيد هيندمان، يعلق ويقول:

«الارقام التي نشرها السيد هيندمان، لم تعترض أو تعلق عليها الحكومة البريطانية ، كما أنها لم تكذبها أيضاً. والجواب الوحيد الذي أعطته في مجلة «كل خمسة عشر يوماً» حول الخمسمائة مليون باوند التي على الحكومة الهندية أن ترسلها الى خزانة بريطانيا، هو: «أن هذا المبلغ هو ثمن حكومة منظمة وآمنة اعطيت للشعوب الهندية».

ويقول لوبون بعد نقله لهذا الجواب القاطع في المجلة المذكورة:

«ولا يخفى أن اطلاق لفظة آمنة على حكومة مسالمة ! بلغت خسائرها من الجوع أكثر من خسائر حرب ضروس، لم يكن يفسره الشعب الهندي بغير الكذب».

وهذا التصرّف المشين هو نموذج لسياسة دولة عظمى ومتحضّرة مع الشعب الهندي، تلك الدولة التي تتحدّث عن حقوق الانسان وعواطفه وتعدّ قطع يد السارق عملاً وحشياً.

اصدقائي الاعزاء

ما ذكرناه من التصرفات والسياسات الوحشية لحكومة بريطانيا الاستعمارية في الهند، هو جزء يسير من همجيتهم وبربريتهم، لم يقتصر الأمر على الهند فقط، بل شمل جميع المناطق التي استعمرتها (الحقيقة استثمرتها) تلك الحكومة التي تدّعي الدفاع عن حقوق الانسان! وبالامكان الحديث عن نماذج أُخرى لوحشيتهم وجرائمهم في العديد من الدول الآسيوية والافريقية التي احتلوها واستعمروها.

امريكا وريثة الاستعمار

الىٰ اولئك الجهلة والمسلمين غير الواعين الذين يرجون الدعم الأمريكي من اجل استيفاء حقوقهم الانسانية.

الىٰ الذين لا يزالون يعتبرون امريكا كعبة آمالهم، فيلهجون بذكرها ويسبحون بحمدها، ومن أجل ان تعرفوا ان أمريكا لا تقل عن بريطانيا وحشية وبربرية، وكما يقول المثل «الكلب اخو الذئب»، اقرأوا الخبر بدقّة، لكي تعرفوا حقيقة امريكا وريثة الاستعمار البشعة، من خلف قناع الانسانية الذي تتظاهر به.

سنة ١٩٤٥ م قامت امريكا التي تدافع عن حقوق الانسان والتي تقيم الدنيا وتقعدها من أجل قطع يد سارق بألقاء قنبلتين ذريتين (صغيرتين !!) علىٰ مدينتي هيروشيما وناكازاكي في اليابان، لان اليابان قاومت الهجوم الامريكي ولم تستطع امريكا ان تنتصر عليها رغم استسلام قوات المحور في اوروبا وذلك لبسالة الجنود اليابانيين وشجاعتهم، وكانت نتيجة ذلك تدمير المدينتين بالكامل ومقتل سبعين ألف شخص.

وقبل فترة قصيرة، قرأت في احدىٰ المجلات خبراً تحت عنوان «حادث غريب هزّ اوروبا وامريكا»، كانت هناك صورة لذلك الضابط الشريف !! والشهم !! الذي القىٰ قنبلته الذرية علىٰ الشعب الياباني بأمر من حكومته وهذا التعليق اسفلها:

الطيار الذي ألقىٰ أول قنبلة ذرية علىٰ هيروشيما يعيش حالة من الندم والجنون ، ويشاهد دائماً يتكلم مع البوليس والقضاة : « ألقوا القبض عليّ ، اسجنوني ».

ثمّ تضيف المجلة : « الرائد اترلي يرىٰ كل ليلة في منامه دخاناً برتقالي اللون يتّجه نحوه ويسمع اصوات استغاثات ، واناس كثيرون يصرخون في اذنيه »، ثمّ تقول المجلة نقلاً عن مجلة « بارس ماج » التي تصدر في باريس : « ان جنون الرائد اترلي من اغرب ألاعيب الطبيعة التي حيّرت الجميع في القرن العشرين » .

اصدقائي الاعزاء :

هذه المجازر الجماعية وتدمير هاتين المدينتين الصناعيتين الكبيرتين ، بجميع معاملهما وشركاتهما ومؤسساتهما وابنيتهما ، نموذج من سلوكيات وتصرفات القادة المصلحين ! المحبين للانسانية في امريكا ، الذين لا يفكرون بشيء سوىٰ تقديم خدمات للدول النامية والشعوب الضعيفة ، وهو ما قدموه لتلك الدولة الشرقية ، اي اليابان ! ولو سنحت فرص اخرىٰ لامريكا المحبّة للبشرية ! امريكا التي تحتل موقع الصدارة في الحضارة المعاصرة ! لكررت ذلك النموذج مع شعوب ضعيفة أُخرىٰ .

وما تكلّمنا عنه للتعريف بحقيقة امريكا ونواياها الشريرة، هو جزء يسير من جرائمها الكبيرة التي اقترفتها ولا زالت تقترفها بحق البشرية ، والحقيقة ان جرائم هذا الذئب الغدّار الذي ورث الامبراطوريات الاستعمارية بعد الحرب

العالمية الثانية واسعة بشكل بيّضت وجوه جميع من سبقوها في تاريخ الاستعمار والتسلّط ، فبالاضافة الىٰ القتل والدمار والنهب الذي قامت به امريكا علىٰ مدىٰ عشرة سنين في فيتنام والذي قتل فيه عشرات الآلاف من البشر الأبرياء بأبشع الصور .

كما تقوم امريكا بجرائم اقتصادية وسياسية وثقافية وحضارية في العديد من المجتمعات والبلدان اما بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق الحكومات العميلة والمرتبطة بها ، بشكل لم يسبق له مثيل ولم يشاهد ان قام به جزار وسفاك ومجرم قبلها في التاريخ .

وأمريكا التي لم يمض علىٰ ظهورها علىٰ الساحة الدولية إلّا بضع سنين ، تتصرف ببشاعة وجنون في نهب خيرات الشعوب واستضعافها ، ولا يمكن الوقوف امامها إلّا بتوعية الشعوب وتحركها .

تعرّفوا علىٰ فرنسا المخادعة

يا شبابنا المسلم ! الفرنسيون الذين كانوا يعتبرون انفسهم ما قبل قرنين حملة راية الحرية ... ! والواضعون للبيان العالمي لحقوق الانسان ، هؤلاء العطوفون الذين يرون قطع يد السارق عملاً وحشياً ، تعاملوا مع الشعب الجزائري المسلم بقسوة جعلت كل انسان شريف وصاحب ضمير في حيرة من امره ، ولا يزال الشعب الجزائري بنسائه ورجاله وشيوخه وشبابه يجاهدون ويقفون امام هذا الغول والذئب المتوحش ويقدمون الضحايا تلو الضحايا من اجل ان يحصلوا علىٰ استقلالهم ويحكموا بلادهم بأنفسهم ، لكن الفرنسيين

الوضيعين وكأنما يريدون ان يفقدوا ارض آباءهم واجدادهم، ليسوا مستعدين للتخلي عن الجزائر ووقف مجازرهم هناك .

لقد قدم الشعب الجزائري المسلم والشجاع مليون شهيداً في سبيل حريته واستقلاله ، ولقد كان تعامل الحكومة الفرنسية بشع حتىٰ مع الاسرىٰ المسلمين المحتجزين في معسكرات الجيش الفرنسي بحيث نقلت وكالات الانباء العالمية اخباراً عن وضع الأسرى المؤسف، واعترضت على الحكومة الفرنسية بشدّة للكف عن المعاملة اللانسانية مع اولئك الاسرىٰ .

طبعاً لفرنسا مثل الغولين الاستعماريين امريكا وبريطانيا سجل دموي آثم في جميع مستعمراتها في آسيا وافريقيا ، وهو ما يتفق فيه جميع المستعمرين ، فالتاريخ الاستعماري اساساً هو ليس إلّا القتل والنهب والخيانة ، وسحق جميع القيم الثقافية والدينية والقومية للشعوب الصغيرة .

وعلىٰ هذا الاساس ، لا يمكن حصر جرائم فرنسا (وكغيرها من اقرانها المستعمرين) بنوع ومجال معين ، لأنها واسعة ومتنوعة .

اصدقائي الاعزاء !

هذه نماذج مختصرة وصغيرة من آلاف التصرفات الوحشية التي تقوم بها الدول الكبرىٰ ، مع الشعوب الضعيفة ، تلك الدول العظمىٰ التي تعتبر انفسها مدافعة عن الانسانية ... وتريد ان تخلّص البشر من وحل الشقاء بعقولها المخمورة ، تلك الدول العظمىٰ الرؤوفة بالانسان والانسانية ، والتي تعتبر قطع يد السارق كعقوبة وفق الشروط التي وضعها الاسلام ،عملاً وحشياً غير جائزاً !

أليس عجيباً ان يحاول هؤلاء المتوحشون الدوليون الحيلولة دون الاعمال الوحشية التي يقوم بها بعض البشر ، وأليس غريباً ان يحاول هؤلاء السارقون المسلحون بالاسلحة الذرية الوقوف امام السرقات والاعتداءات التي يقوم بها البشر ... ومن المحيّر جداً ان يحاول هؤلاء الجزّارون الذين تلطخت اياديهم بدماء ملايين البشر ، الوقوف امام القتل والجريمة .

هنا وبمشاهدتنا لجميع تلك الجرائم والمجازر الرهيبة التي قامت بها الدول الاوروبية والامريكية المتقدمة علمياً ، لابدّ ان نعترف بان عالمنا المعاصر ارتكب خطأً كبيراً عندما ضحّىٰ بالمعنويات من اجل الماديات ، لأنه وعلىٰ الرغم من التطورات التي شهدها عالمنا في المجالات العلمية والصناعية ، لكن وجود هذه المجازر والانحرافات العلمية والاخلاقية دليل حيّ علىٰ موت الفضيلة والانسانية بشكل تام ، وان العاطفة والصفات الانسانية قد اضمحلت ، فالبشرية تخلفت عن قافلة الاخلاق والفضيلة بنفس المقدار الذي تقدمت فيه في ميدان العلوم المادية .

التضحية بالمعنويات امام الماديات

يقول الدكتور الكسيس كارل ، الذي مرّ ذكره ، حول انحطاط البشر الاخلاقي في عالم اليوم :

« الحضارة الجديدة ارتكبت خطأً فادحاً بتضحيتها بالمعنويات امام الماديات ، وهذا الخطأ كبير لأنه يحيي عند الناس الشعور بالعصيان ».

ويضيف الدكتور كارل في بحث آخر حول عدم جدوىٰ العلوم المادية

لوحدها، فيقول:

« لا جدوىٰ من زيادة عدد الاختراعات الميكانيكية ولربما لا تكون الاكتشافات الفيزيائية والكيميائية والنجومية كبيرة جداً، طبيعي ثابت لدينا ان العلم بحد ذاته غير مضر بالنسبة لنا، لكنها تحصر بجمالها الباهر جميع نشاطاتنا الفكرية في الموارد غير الحيوية.

وعلىٰ البشرية اليوم ان تركز انتباهها علىٰ نقاط الضعف الاخلاقية والفكرية التي تعاني منها، فما الفائدة من كثرة وسائل الراحة والزينة والجمال والعظمة وهذه الحضارة إذا لم تكن لنا القدرة في ادارتها بأحسن وجه، وما هي حصيلة استمرار حالة معيشية تؤدي الىٰ ضعف الاسس الاخلاقية وتدمير عوامل الاعراق الاصيلة، أليس من الافضل ان نهتم بأنفسنا بدل الغرق في صناعة التلسكوبات العظيمة لدراسة الكواكب والنجوم أو صناعة السفن المتطورة والسيارات الحديثة و... الخ.

فلو استعطنا السفر من اوروبا الىٰ الصين خلال بضع ساعات بالطائرة، فما هو التقدّم الذي حصل في داخلنا، هل التقدم الفيزيائي والكيميائي و... يوجد لدينا اخلاقاً فاضلةً وذكاءً أو صحةً وتعادلاً نفسياً أو أمناً وسلاماً، علينا ان نركز علىٰ قضايا كثر جدّية من الفيزياء أو الأحياء، وهي النفس الانسانية والمعنويات».

اصدقائي الاعزاء!

هذه العبارات هي نص اعتراف احد كبار شخصيات اوروبا حول

انحطاط تلك البلدان ، ومع الأخذ بكل ما ذكرناه من جرائم مرعبة وانحرافات اخلاقية وعلمية في الغرب، أليس عجباً ان يغتر بعض المسلمين والشرقيين بزخارف الصناعات الاوروبية والامريكية وينسوا انفسهم ويفقدوا هويتهم ، لكي يفتخروا بتقليد اعمىٰ لكل ما موجود في الغرب !!

اصبت بزكام اجنبي

مسكين احد المتغرّبين الايرانيين ، كان قد سمع ان الاوروبيين يسمون الزكام «غريب »[1] ، فأجهد نفسه لكي يتعلم تلك الكلمة حتىٰ يفتخر بأستخدامها عند محادثة الآخرين ! ولربما انتظر فصل الشتاء كثيراً وتمنىٰ لو يصاب بالزكام حتىٰ يلفظ تلك الكلمة عندما يسأله الآخرون عن حالته ، وبعد فترة طويلة حصل له ما كان يتمناه، فسأله احد اصدقائه عن صحته ، لكن هذا المسكين نسيَ لفظة Grippe وكلما حاول ان يتذكرها خانته ذاكرته ، وفي نفس الوقت لم يكن حاضراً لأن يجيب صديقه بأنه مصاب بالزكام ، فقال لصديقه : اصبت بزكام اجنبي !!

وهنا انفجر الحاضرون بالضحك .

ايها السادة ! لا تعجبوا من ذلك ، فهناك نماذج كثيرة من هذا القبيل في بلادنا ، من الذين ينظرون الىٰ أكثر الاعمال وحشية وانحطاطاً في الغرب علىٰ انها مقدّسة لمجرد صدورها عن الغرب .

---

(١) Grippe مرض مسري وهو علىٰ نوعين ، الأول الزكام العادي والثاني اخطر منه وهو الذي يسمىٰ انفلونزا Anfluenza .

اقول لنفسي بعض الاحيان، لا يُلام قادة الشعوب الغربية لو منحوا بعض متغربينا اعظم اوسمة الجهل والحماقة، لانهم لايزالون يتوقعون ان يقوم الغرب بأصلاحات في بلداننا مع ان الغرب ومنذ عشرات السنين يقوم بنهب ثرواتنا والتسلط علىٰ بلداننا ثقافياً وسياسياً، بشكل جعلنا متخلفين في جميع شؤون الحياة.

اين أجرة الحمار في النهاية !!

هذه السذاجة في التفكير وهذا التوقع من هؤلاء الذئاب، شبيه بالقصه التي ينقلها المرحوم الشيخ البهائي، وهي:

كان هناك رجلاً في بغداد قد استقرض كثيراً من الناس، بحيث كان الجميع يطلبونه، والحقيقة هو ان الرجل كان متحايلاً غريباً، حتىٰ اشتكىٰ عليه غرماءه عند القاضي، فقام القاضي بالكشف عن وضعه المالي مباشرة ،فوجد انه لا يملك شيئاً يمكن استرداده منه، لذلك فقد شخّصه بأنه مفلس وخلّصه من أيدي الطالبين، ولكن ومن أجل ان لا يتحايل الرجل علىٰ شخص آخر ويستدين منه مالاً، أمر القاضي بايجار حمار يطاف عليه الرجل في الاسواق ليعرف الناس انه مفلس ولا يقرضه أحد مالاً.

وبعد ان أدىٰ صاحب الحمار عمله المنهمك من الصباح الىٰ وقت المغرب، طالب الرجل بأجرته، فأجابه المفلس ضاحكاً: لم اشاهد من هو احمق وأسفه منك، فأنت تدور بي منذ الصباح في المدينة وتعلن للناس انني مفلس ومدان وان لا يقرضني أحد مالاً، ومع ذلك تطالبني الآن

بأجرة الحمار؟

يضحك الحاضرون ملياً.

والحقيقة ان توقعنا الحصول علىٰ خدمات ومساعدة من تلك الدول الاوروبية والامريكية، يشابه توقع صاحب الحمار من ذلك الرجل المفلس، لان هؤلاء وبالاضافة الىٰ المآسي التي قاموا بها في بلداننا الاسلامية، فان مساعداتهم المالية والقروض التي قدموها لنا لم يصلنا من اغلبها الاّ الضرر، فيما ذهبت تلك الاموال في جيوب السماسرة والمسؤولين الحكوميين.

اعتراف غريب للدكتور غوستاف لوبون

في بحث له بهذا الصدد، يعترف الدكتور غوستاف لوبون بصراحة:

« لم تأت حضارتنا بشيء لشعوب الشرق سوىٰ الشقاء والمآسي، ومن مصلحتهم ان يقطعوا ارتباطهم بأوروبا وشعوبها ».

ويقول في كتابه حضارة الاسلام والعرب، بعد بحث معقد ومحيّر:

« ان كتمان هذه الحقيقة لن يؤثر شيئاً، ولابد ان اقول بصراحة قد لايستسيغها رجال اوروبا، ان تعاملنا نحن الاوروبيون مع شعوب الشرق، منحط وقاسي، بل ووحشي».

ثم يضيف:

« ومما يؤسف له اكثر من كل شيء، هو ان تعامل الدول الاوروبية مع الشعوب الشرقية المتحضرة مثل الصينيين والهنود وغيرهم، ليس بأفضل

من تـعاملهم مـع الهـنود الحـمر فـي امـريكا ، ولو تـجاوزنا بـعض المـظالم والضغوطات التي قمنا بها في حروبنا غير المشـروعة ضـدهم ، فأن تـعاملنا (شعوب اوروبا) مع شعوب الشرق يبقىٰ باعثاً عـلىٰ العـداء والبـغضاء ، فـلو لم يستطع الاوروبيون الاستفادة مباشرة من الشرقيين كما حصل فـي الهـند ، حيث كانوا لا يبقون لهم الاّ ما يسدون به رمقهم ، بأسم الضرائب ، فـقد كـانوا يحصلون منهم الاموال من خلال تجارة غير مشروعة ومضاربات مالية ، ومن هنا يتّضح حجم الانحطاط الاخلاقي الذي وصل اليه الاوروبيون ، ولو اردنـا محاكمة التجّار الاوروبيون علىٰ ضوء قانونهم التجاري لما نجىٰ إلّا القـليلين منهم من اشد العقوبات ».

حرب الافيون في الصين

ثم يقول الدكتور لوبون :

« ومن الصفحات السوداء في تاريخ اوروبا ، تلك التي تختص بالعلاقة مع الصين في القرن التاسع عشر ، ولربما ينال احفادنا يوماً ما عقاب ما فعلناه هناك علىٰ يد الصينيين [1] ، فما هو تعليق الشعوب الاوروبـية عـلىٰ الحـرب المدمرة التي تعرف بحرب الافيون ، حيث قام الانـجليز بـادخال سـمّ قـاتل (الترياق) الىٰ الصين ، فعارضت الحكومة الصـينية آنـذاك هـذا العـمل لكـن الانجليز اجبروهم علىٰ الاستسلام والقبول في النهاية بالقوة ومن خلال دوي

---

(١) ونحن أيضاً ننتظر ذلك اليوم ، حيث تنتقم الشعوب المستضعفة ،وليس الشعب الصيني فقط ، منهم ان شاء اللّه .

المدافع ، وصحيح ان بريطانيا تجني حالياً مائة وخمسين مليون جنيه في السنة من تجاره (الترياق) ، لكنه وحسب الاحصائية التي قام بها حديثاً الدكتور كريستليب[1] فأن هذا الترياق ينتهي بستمائة الف صيني سنوياً الىٰ خشبة الاعدام ، وحرب الترياق المدمرة مثال يحتفظ به الصينيون علىٰ وحشية الاوروبيين وانحطاطهم الاخلاقي ، وهو ما سينقلونه لأجيالهم اللاحقة أيضاً[2] فعندما كان المبشرون الانجليز يدعون الصينيين الىٰ النصرانية ، كان جوابهم : سبحان اللّه ! انكم تسمّونا اولاً وتقتلوننا وبعد ذلك تعطونا دروساً في التقوىٰ والعفة .

وبعد ان ينقل الدكتور لوبون حديثاً عن السيد ششوار[3] في بغض الصينيين والهنود للاوروبيين ، يضيف :

« تعاملنا مع شعوب الشرق ، يعطيهم الحق في بغضنا والعداء لنا ، فكلما تصورت نفسي شرقياً لا اجد تردداً في اظهار ذلك البغض والعداء للاوروبيين ، فحتىٰ لو اظهرنا نحن الاوروبيين الامانة والصدق حالياً في جميع معاملاتنا مع شعوب الشرق ، يبقىٰ من مصلحة الشرق ان يقطع كل علاقة له بالقرب مع الغرب ويكمل الجدار القديم الذي بناه ذلك الملك العاقل علىٰ حدود الصين » .

---

(١) Dr. Chritlieb.

(٢) يجب ان نشكر الشعب الصيني الذي وصفهم بالوحوش والبرابرة ، في حين ان بعض ابناء شعبنا ورغم المآسي التي لحقت بهم من الاوروبيين وهي اخطر مئات المرات من حرب الافيون ، لا يزالون يعبدونهم مثل الاصنام .

٣ - Mr. Rochechouart

كان ذلك اعترافاً من اشهر علماء اوروبا المنصف الدكتور لوبون ، ويظهر منه المستوىٰ الذي وصل اليه ظلم الغرب واعتداءاته علىٰ الشعوب والدول المستضعفة التي تطالب بأستقلالها وحقوقها ، اجل .. هؤلاء السارقون الدوليون والمدججون بالسلاح والتكنولوجيا والسباع الضارية ، هم انفسهم الذين يعتبرون قطع يد السارق عقاباً له عملاً وحشياً خلافاً للعواطف الانسانية !

سعادة الدكتور ، هذه بضع نماذج قدمتها لكم عن قوانين الاسلام العظيم ، واعتذر لضيق المجال عن ذكر جميع القوانين التي اتىٰ بها الاسلام ، ومقارنتها بالقوانين الوضعية التي تحكم عالمنا المعاصر .

فهذه القوانين السامية هي التي ادت الىٰ انتشار الاسلام بسرعة بين الناس في عالم الامس وعالم اليوم ، كما ان دقتها العلمية هي التي جعلت كبار علماء العالم يسلمون امام عظمة نبي الاسلام الكريم صلى الله عليه وآله ورسالته .

البحث في قوانين الاسلام العسكرية

العقيد: ما اوردتموه في اثبات قوة القوانين الاسلامية من الناحية العلمية وفي جميع شؤون الحياة المادية والمعنوية، قياساً بقوانين عالم اليوم، مقنع جداً، لكن الجزء الذي ارأىٰ صعوبة في قبوله من كلامكم، هو ان القوانين الاسلامية المحيّرة للعقول هي العامل الوحيد في التقدّم السريع الذي كان للاسلام في عالم الامس وانتشاره في عالم اليوم، لأنه والحق يقال، وكما اشار الىٰ ذلك الكثير من المبشرين المسحيين فان الحروب الكثيرة التي خاضها المسلمون، لعبت دوراً كبيراً وهاماً في تقدم الاسلام وانتشاره.

الشيخ: سيادة العقيد! ان الذين يرون ان الاسلام انتشر بالسيف، أمّا ان يكونوا من اعداء الاسلام أو أنَّهم ممن يجهلون البرنامج العسكري والحربي للاسلام، ولا يدركون الهدف الاساسي الذي ينشده المسلمون من الحرب، ولأثبات بطلان التهم التي تصدر من أعداء الاسلام وخاصة المبشرين المسيحيين الذين استفادوا من جهل المسلمين بتاريخهم وادعوا أن الاسلام انتشر بالسيف والقوة، سوف أكون مضطراً لشرح البرنامج العسكري الاسلامي وهدف المسلمين من الحرب.

جوع وميدان معركة!

وفي هذه الاثناء ارتفع صوت عامل مطعم القطار في الممر:

الغداء ... الغداء ... ايها السادة الغداء جاهز .

نظر الشيخ وبقية الاصدقاء الىٰ ساعاتهم فوجدوا الوقت ، اول الظهر .

الدكتور : سيادة العقيد ، الوقت اول الظهر ، ولن ادعك تجر هذا الشيخ الىٰ ساحة القتال وهو جائع ، فأنت عسكري وتستطيع تحمل الجوع ، لكن هذا العم يتحدث لنا منذ ساعات وبالتأكيد ليس بأستطاعته الآن شرح برنامج الاسلام العسكري ببطن فارغة .

العقيد : سعادة الدكتور ، اتصوّر انك اتّخذت الشيخ ذريعة، والحقيقة انكم انتم الجائعون ، وهنا ضحك الاصدقاء .

الدكتور : بالتأكيد، الجميع جياع ، والامر لا يختص بي سوىٰ انني تكلمت بصراحة ، لكنكم اضمرتم ذلك ، حسناً ، مع انني جائع جداً ، إلّا انـي اوافق علىٰ الحديث عن البرنامج الحربي الذي يطرحه الاسلام اولاً ، ثم نذهب للغداء من بعد .

العقيد : شكراً علىٰ ذلك .

الشيخ: قبل الدخول في بحث قوانين الاسلام العسكرية ، لابد من الاشارة إلى أن الاسلام دين كامل ومذهب مستقل ، ولو كان هذا الدين لا يملك برنامجاً ، واحكاماً فيما يتعلق بالامور العسكرية فانه بلا شك ناقص وغير تام .

ولا بدّ ان يكون لهذا الدين السماوي الكامل افضل واكمل القوانين أيضاً في المجال العسكري ، لأن الاسلام لا يواجه في مسيرة الكمال التي يدعو لها اهل العلم والمنطق أو الناس البسطاء غير المتعلمين فقط ، بل هناك الجبابرة

والطواغيت الذين يُعد الاسلام خطراً مواجهاً لهم في استمرار سيطرتهم واستضعافهم للناس والمحرومين ، لذلك من الطبيعي ان يقفوا ضده ويضعوا العوائق في طريقه ، وهؤلاء الذين لم يتعاملوا مع المسلمين إلّا بمنطق القوة والسيف ، كان لابدّ للمسلمين أيضاً ان يواجهوهم بنفس المنطق الذي لا يفهمون غيره وان يزيلوهم عن طريق الدعوة الىٰ الاسلام الذي هو السبيل لكمال الانسان وسعادته ، والآن حيث اتّضحت الحاجة الىٰ برنامج ونظام حربي اسلامي ، لابد من شرح قوانين الاسلام واحكامه العسكرية لمعرفة قوتها وقيمتها الحقيقية .

ان اغلب الحروب ، تحدث للتوسع وفتح البلدان واستعمارها واستثمارها ، وفي هذه الحروب تهاجم دولة ، دولة اخرىٰ وتحاول الانتصار عليها بأية وسيلة حتىٰ تسيطر علىٰ ذلك البلد وتوسع من دائرة سلطتها وحكومتها ، لذلك نشاهد الجرائم والمآسي التي تأتي بها تلك الحروب في الماضي والحاضر وتلك الاعمال الدنيئة التي يخجل الانسان من ذكرها .

أمّا الاسلام فلا يهدف من حروبه فتح البلدان أو استثمار الشعوب ، لأنه اساساً يقف في حروبه امام الطغاة الذين قاموا بأستثمار الناس وعملوا علىٰ تخلفهم .

وللاسلام أهداف مقدّسة وانسانية سامية في الحروب والمعارك التي يخوضها ، لذلك فالبرنامج العسكري الوحيد المليء بالمفاخر والاعتزاز هو البرنامج العسكري الاسلامي ، لأن حروب الاسلام هي حروب تحريرية ، وعلىٰ هذا الاساس ، فالقوانين العسكرية والحربية الاسلامية بمستوىٰ من الشرف والنخوة، استطيع ان ادعي معه بصراحة انه لا يوجد مثيل لها في جميع

القوانين العسكرية والحربية في العالم، وهذه بعض المواد الاساسية للنظام العسكري والحربي في الاسلام:

١ ـ علىٰ الجندي المسلم عندما يواجه العدو، ان يدعوه في البدء الىٰ الاسلام، وفيما لو قبل الدعوة واصبح مسلماً فلا يحق لأحد من جيش المسلمين الاعتداء عليه أو علىٰ ماله وبلده، بل لو اعتدىٰ أحد الجنود المسلمين علىٰ ذلك الشخص الحديث الاسلام وقتله، لابدّ من معاقبة ذلك الجندي المسلم، والاقتصاص منه علىٰ اساس قانون القصاص.

٢ ـ فيما لم يقبل الاعداء غير المسلمين الدعوة الىٰ الاسلام، لايحق للجنود المسلمين ايضاً مهاجمتهم والاقتتال معهم، بل يجب ان يدعوهم لأعطاء الجزية[1] ولو قبلوا بذلك لايحق للجيش الاسلامي الاعتداء عليهم ومهاجمتهم.

٣ ـ بعد ان يمتنع الاعداء غير المسلمين من دفع الجزية، عند ذاك تكون دور الحرب معهم، لكن الحرب تكون مع الجنود غير المسلمين الذين جاؤا الىٰ ساحة المعركة بهدف القتال، ولو فرّوا من ساحةالقتال لا يحق للمسلمين مطاردتهم، ولو اندحر جيش الكفار ودخل المسلمون بلاد الاعداء، لا يحق لهم التعرّض الىٰ الشيوخ والعجائز وقتلهم، أو ايذاء الاطفال والنساء والضعفاء، وحتىٰ الحيوانات، كما يجب عليهم ان لا يدمروا المزارع والبساتين، ولا يخربوا الانهار والقنوات، ولا يحق لهم تخريب الابنية أو قطع الاشجار المثمرة

(١) ضريبة خاصة تؤخذ من المشركين (اهل الكتاب) حسب قدراتهم المالية. وفي المقابل تتعهد الدولة الاسلامية بضمان امنهم.

والخضراء .

عندما أراد جيش المسلمين التحرك نحو مؤته ، خطب فيهم الرسول صلى الله عليه وآله ، فقال :

« ستجدون فيها رجالاً معتزلين الناس فلا تتعرضوا لهم ، لاتقتلن امرأة ولا صغيراً ضرعاً ولا كبيراً فانياً ولا تقطعن نخلاً ولا شجراً ولا تهدمن بناء »[1].

وفي خطبة لأمير المؤمنين علي عليه السلام لجيشه قبل قتال جيش معاوية ، يقول :

« فاذا كانت الهزيمة باذن الله فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوراً ولا تجهزوا علىٰ جريح ولا تهيجوا النساء بأذىٰ »[2].

أصدقائي الاعزاء !

هذه بعض مواد القانون الحربي في الاسلام ، وكما تلاحظون ، مع ان هدف المسلمين هو احتلال البلدان غير الاسلامية ، (من اجل غاية مقدسة سنشرحها لاحقاً) ، لكنهم يراعون جميع جوانب الفضيلة والانسانية ، والقوانين الحربية في الاسلام لا تسمح بأي عمل غير اخلاقي أو مما يخدش بالرجولة والضمير .

---

(١) ناسخ التواريخ .

(٢) نهج البلاغة : ١٦ ، طبعة مصر .

لنكتشف مجرىٰ الماء

في احدىٰ معارك الرسول صلى الله عليه وآله مع اليهود ، كان اليهود قد لجأوا الىٰ حصن منيع لا يطاله المسلمون ، فبقي المسلمون محاصرين للحصن اياماً ، وهم يفكرون بحلّ لفتح الحصن والانتصار علىٰ اليهود ، وفي مثل تلك اللحظات الحساسة جاء أحد قادةالجيش الاسلامي الىٰ الرسول صلى الله عليه وآله وقال ان ماء شرب اهالي الحصن يأتي من خارجها ، ونستطيع نحن من خلال اكتشاف مجرىٰ الماء ان نسيطر عليه ، ونمنع عنهم الماء فنضطرهم الىٰ الاستسلام ،فهل تسمح لنا القيام بذلك ؟ فأجابه رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، لن اسمح لكم بذلك ، ففي الحصن اشخاص كبار في السن طاعنين ومرضىٰ وفيها نساء واطفال وحيوانات ، فلماذا نمنع الماء وهم لا يقاتلوننا[1] .

لن اسمح بمنع الماء

حدث في معركة صفين ان جيش معاوية استولىٰ علىٰ أطراف نهر الفرات قبل وصول جيش الامام علي عليه السلام ، ولم يسمح لجيش الامام علي عليه السلام ان يأخذ من ماء النهر ، فأشتد العطش بجيش الامام عليه السلام فطلبوا الاذن من الامام بالهجوم علىٰ قوات معاوية التي تحول دون وصولهم للنهر ، فسمح لهم الامام بذلك ، وبعد هجوم سريع استطاع جيش الامام علي ان يخرج الفرات من قبضة جيش معاوية .

---

(١) ناسخ التواريخ .

ورداً لما قام به معاوية وجيشه من دناءة، اقترحوا على الامام علي عليه السلام ان لا يسمح هو أيضاً لجيش معاوية الاستفادة من ماء الفرات، وبذلك سيفقد الجيش قدرته على الصمود من شدة العطش، فينهار ويستسلم دفعة واحدة، فأجابهم الامام عليه السلام على اقتراحهم: لا اكافيهم، بمثل ما فعلوا، افسحوا لهم عن الشريعة [1].

اصدقائي الاعزاء!

يتّضح من المثالين التاريخيين اللذين سقتهما، كيف ان انتصار الجنود المسلمين على الاعداء ممزوج بالرجولة والفضيلة.

هدف الاسلام الاساسي من الحرب مع غير المسلمين

الطالب الجامعي، حسن: القوانين الحربية والعسكرية الاسلامية التي نقلتها - والخطاب للشيخ - رجولية وعطوفة جداً، وصحيح انه لا يوجد مثل هذه القوانين الفاضلة المشرّعة لساحة القتال حيث يصل الغضب والحقد ذروته، في جميع قوانين العالم الحربية، لكنه يبقى هناك سؤال وهو هدف الاسلام من الحرب والانتصار على الدول غير الاسلامية؟

الشيخ: لم يكن هدف المسلمين من الانتصار على الدول غير الاسلامية، هو ادخالهم الى الاسلام بالسيف، بل الهدف الاساسي والمهم من

(١) المصدر نفسه.

ذلك هو ايجاد حالة من الترابط والاختلاط التام بين المسلمين وغير المسلمين، كي يطلعوا علىٰ قوانين الاسلام السامية عن قرب، ويشاهدوها عملياً من خلال تصرفات المسلمين، وبالنتيجة سيدخلون الاسلام بأرادتهم ورغبتهم، لأنه ليس هناك شك من ان القوانين الاسلامية فطرية وطبيعية وجذابة بشكل لو شوهد تطبيقها من قبل المسلمين، ستكسب إليها كل انسان سليم القلب، لذلك كان الناس يدخلون الاسلام افواجاً في البلدان التي فتحها المسلمون والتي شاهدوا فيها رفعة وسموّ القوانين الاسلامية وافضليتها، من خلال سلوكيات المسلمين، وهكذا ينتشر الاسلام بالمنطق والاستدلال ودون اي اكراه أو الزام.

لم ينتشر الاسلام بالسيف

الآن وقد تحدثنا عن برنامج الاسلام الحربي وقوانينه وكذلك الهدف الاساسي من الحرب بالنسبة للمسلمين، سنجيب عن التهم الباطلة التي يرمي بها المبشرون والقساوسة المشركين الاسلام، من انه دين انتشر بحد السيف ومن خلال الحروب التي خاضها المسلمون وفتحوا بها البلدان.

واجاباتنا علىٰ تلك التهم، نحددها في عدة مواضيع:

١ ـ علىٰ مدىٰ ثلاثة عشر عاماً من البعثة، كان النبي صلى الله عليه وآله في ذروة ضعفه العسكري وهو بين اعدائه الاقوياء الذين يسيطرون علىٰ كل شيء في مكة، وفي تلك الفترة اعتنق الكثيرين الاسلام دون ان يرهبهم سيف، لأنه فضلاً عن عدم وجود سيف وقوة للمسلمين، فقد كانوا اقلية تخاف ان يتخطفها الناس

علىٰ حد تعبير القرآن الكريم ، وكانوا يضطرون احياناً للهجرة من ديارهم وترك اموالهم الىٰ بلدان اجنبية لكي يحفظوا اسلامهم .

اذن في الصدر الاول حيث بدأ انتشار الاسلام لم يكن الرسول صلى الله عليه وآله يمتلك قوة يرهب بها الناس لدخول الاسلام ، بل ان هؤلاء الناس ذوو النفوس النقية، دخلوا الاسلام ونبذوا الكفر في ذروة قوته ، وبأختصار ، فالاسلام انتشر في البداية علىٰ اساس الاستدلال والمنطق والايمان ، وبعد ذلك بدأ بفتح البلدان للهدف الذي ذكرناه مسبقاً .

٢ ـ وكما قلنا سابقاً ، كان المسلمون وقبل بدأ القتال يدعون المشركين من الكفار الىٰ دفع الجزية ، وفيما لو دفعوا الجزية ، كان لهم الحق ان يبقوا علىٰ دينهم للأبد وتحت ظل الحكومة الاسلامية ، وهذا اكبر دليل علىٰ ان المسلمين لم يهدفوا في فتحهم البلدان الىٰ اجبار الناس علىٰ دخول الاسلام ، لانهم كان بأستطاعتهم ان لا يأخذوا الجزية من غير المسلمين ، ويجبروهم علىٰ دخول الاسلام .

٣ ـ يحقُّ للذين يدفعون الجزية للمسلمين ليس فقط البقاء علىٰ دينهم ، بل اقامة شعائرهم الدينية الخاصة والذهاب الىٰ الكنائس والمعابد بشكل علني ، في ظل حماية المسلمين .

في حين لو كان المسلمون يريدون اجبار الكفار علىٰ دخول الاسلام ، لما اجازوا لهم اقامة شعائرهم بشكل علني في محافلهم ومعابدهم .

٤ ـ الدليلان الرابع والخامس اللذان نسوقهما علىٰ ان هدف الاسلام من الحروب التي قام بها بعد انتشاره وقوته ، لم يكن ارغام الناس علىٰ الدخول فيه

بالقوة ، هذان النموذجان عن تعامل نبي الاسلام ﷺ مع غير المسلمين :

وثيقة صلح الحديبية

في وثيقة صلح الحديبية (وهي منطقة قريبة من المدينة) التي وقّعت بين المسلمين والكفار ، تعهد المسلمون بأرجاع اي شخص من كفار مكة يدخل الاسلام ويلجأ الىٰ المدينة . فقال أحد المسلمين لرسول اللّه ﷺ ، خذ منهم عهداً بأعادة أي شخص يرتد عن الاسلام ويذهب الى مكة .

فقال نبي الاسلام : لا آخذ مثل هذا العهد من اهالي مكة[1] لان المسلم الذي يرتد عن الدين ويلجأ الىٰ الكفار ، لن يفيدنا اذا اعادوه لنا ، لأن القلب هو مركز الايمان ، والشخص الذي لا يدخل الاسلام عن قناعة ورغبة ، لن يكون مسلماً حقيقياً .

الرسول ﷺ يعطي اربعة اشهر مهلة

بعد ان نقض اهل مكة مفاد صلح الحديبية ، تحرك الرسول ﷺ لفتح مكة ، فدخل جيش الاسلام مكة دون مقاومة تذكر ـ كما مرّ سابقاً ـ سوىٰ مقاومة صغيرة لبعض شباب مكة بزعامة صفوان بن اُمية وعكرمة بن أبي جهل ، وبعد قتال محدود ، اندحرت مجاميع الكفار ، وسيطر المسلمون علىٰ مكة كلها ، فهرب صفوان بن اُمية وعكرمة بن أبي جهل من مكة بنية مغادرة

---

(١) ناسخ التواريخ .

الحجاز تماماً ، إلّا ان عمير بن وهب ، جاء الىٰ الرسول صلى الله عليه وآله وشفع لصفوان بن أُمية ، فقبل الرسول صلى الله عليه وآله شفاعة عمير ، وعفىٰ عن صفوان ، فذهب عمير بن وهب الىٰ خارج مكة ، وأبلغ صفوان عفو الرسول صلى الله عليه وآله له ، وطلب منه ان يعود مطمئناً الىٰ مكة ، فقال له صفوان: أخاف أن يمكر بي نبيكم ويقتلني عند دخولي مكة، فطمأنه عمير بأن ليس في الاسلام مكراً وخديعة، عند ذلك اطمئن صفوان إلى كلام عمير بن وهب ورجع إلى مكة، وعندما قابل الرسول صلى الله عليه وآله قال : يا محمد عمير بن وهب يدعي انك أعطيتني الامان .

فقال الرسول : يصدق عمير .

فطلب صفوان مهلة شهرين من الرسول كي يطلع علىٰ الاسلام ، ومن ثمّ يسلم ، فقال له الرسول صلى الله عليه وآله : لك اربعة اشهر مهلة .

لكن صفوان اسلم عن قناعة قبل انقضاء المهله [1] .

ومن خلال هذه القصة يتّضح ، انه لو كان هدف الرسول صلى الله عليه وآله هو اجبار الناس علىٰ الاسلام بقوة السيف لما أمهل صفوان يوماً واحداً فضلاً عن اعطائه اربعة اشهر ، أو لاكتفىٰ بالشهرين اللذين طلبهما صفوان منه كمهلة .

اصدقائي الاعزاء !

هذه دلائل لاتقبل الشك ، يتضح خلالها هدف المسلمين من الحرب ، وهو غير اجبار الناس علىٰ الاسلام بالقوة ، بل ان اهم هدف من وراء ذلك هو

---

١ – حياة محمد (ص).

مدّ جسر وثيق من العلاقة والارتباط بين المسلمين وغير المسلمين لكي تطلع شعوب الدول غير الاسلامية علىٰ قوانين الاسلام العظيم ، ولكي لا يحول طواغيت الارض ، ولا تقف الانظمة الكافرة امام تعالي الانسان وخلاصة وتحرره من رجسها وذل عبودية غير الله .

لذلك فمن حقنا القول ان كلام المبشرين في ان الاسلام انتصر وانتشر بحد السيف ما هي الاّ تهم باطلة ودنيئة تصدر عن اعداء الاسلام والحاقدين عليه .

اعتراف كبار العلماء بأن الاسلام لم ينتشر بالسيف

ولكي يعرف اصدقائي الاعزاء مقاصد المبشرين المسيحيين أكثر من التهم التي يسوقونها ضد الاسلام ، سننقل هنا بعض ماقاله كبار علماء اوروبا المسيحيين حول سرعة انتشار الاسلام :

يقول الدكتور غوستاف لوبون في كتابه حضارة الاسلام والعرب :

« ينتشر الاسلام بطريق بسيط وسهل ، جعل الجميع يحتارون في امره ، ولا بدّ ان نعتبر ذلك من خصوصيات الاسلام التي ينفرد بها دون غيره من الاديان ، ففي كل مكان وضع المسلمين اقدامهم ترسخ الاسلام في قلوب الناس ، في الصين وفي افريقيا الوسطىٰ وروسيا ، ولم يكن ذلك عن طريق الحرب وبواسطة الجيوش ، بل عن طريق التجار والتجارة ، واليوم نشاهد ملايين المسلمين في تلك البلدان ، فهؤلاء لم يدخلوا الاسلام بالترغيب أو القوة بل عن قناعة ورغبة ورضىٰ ، ولم نسمع لحد الآن عن قوة عسكرية

كانت تدعم اولئك التجار، والاغرب من ذلك هو نمو الاسلام وانتشاره السريع اين ما وصل التجار ودعوا الناس إليه ، فعلىٰ سبيل المثال منذ قرون والاسلام في روسيا ينتشر ، وفي الهند التي يعيش فيها الآن ملايين المسلمين ، صرف المبشرين والقساوسة البروتستانت مبالغ طائلة لنشر المسيحية دون نتيجة ، وفي الصين التي تعتبر من المناطق التي تفتخر بتراثها القومي لم يستطع المبشرون المسيحيون رغم الوسائل الكثيرة التي استخدموها هناك أن ينشروا المسيحية واعترفوا بكل صراحة عن عجزهم ، لكن الاسلام انتشر وينتشر هناك يومياً علىٰ الرغم من عدم وجود دعم خارجي ، بحيث يصل مجموع المسلمين اليوم هناك اكثر من اربعين مليون مسلم في كل انحاء الصين ، وفي بكين وحدها هناك اليوم ما يزيد علىٰ مائة الف مسلم » .

ثم يضيف الدكتور لوبون حول كيفية معاملة المسلمين مع شعوب الدول التي يفتحونها والحرية التي كانت للنصارىٰ في ظل الحكم الاسلامي ، فيقول :

« لقد عامل العرب الاندلسيين (الاسبان) الذين فتحت بلادهم علىٰ ايدي المسلمين ، كما كانوا يعاملون اهل مصر والشام ، وقد تركوا لهم حرية التصرف بأموالهم ومعابدهم ، وخيرّوهم في البقاء تحت حكم وقضاء اشخاص من نفس دينهم بشرط ان يدفعوا جزية سنوية ، ولقد كانت الشروط بسيطة وسهلة بحيث قبل بها الجميع مباشرة ، وكان تعامل المسلمين مع الشعوب التي فتحت بلادها حسناً بحيث كان يجوز للأساقفة ان يعقدوا لأنفسهم مجالس دينية » .

اعتراف الدكتور لورا فاكسيا واغليري

يقول الدكتور فاغليري استاذ جامعة نابل :

« كانت حياة الشعوب المغلوبة وحقوقها المدنية وثرواتها الوطنية مصانة من قبل الدولة الاسلامية بشكل يتساوىٰ تقريباً مع ما كان للمسلمين انفسهم » .

ويضيف في مكان آخر :

« كان العرب الفاتحون مستعدون وفي ذروة قوتهم وانتصاراتهم ، لأن يقولوا لأعداءهم: كفّوا عن الحرب وادفعوا ضريبة مالية معتدلة ، ولكم ان تعيشوا تحت حمايتنا بشكل كامل ، ولكم من الحقوق مالنا ، ولو نظرنا جيداً الىٰ اقوال النبي محمد صلى الله عليه وآله أوالىٰ فتوحات المسلمين ، في صدر الاسلام ، سنشاهد بسهولة كذب تهمة ادخال الناس بقوة السيف الىٰ الاسلام . فالقرآن الكريم يقول :

﴿ لا اكراه في الدين ﴾[1] .

ثم يضيف الدكتور واغليري :

« في التاريخ الاسلامي نماذج عديدة علىٰ مداراة الاسلام مع اتباع الاديان الالهية الاخرىٰ ، كما تعهد الرسول بنفسه حماية معابد مسيحيوا نجران ، وكذلك امر احد قادة الجيش الذي ارسله الىٰ اليمن ان لا يتعرض لأي شخص

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٨ .

من اليهود في اماكنهم ومساكنهم ، وكان هذا تعامل المسلمين مع اتباع الديانات الاخرىٰ ، فهم احرار في العمل حسب آرائهم وشعائرهم الدينية ، بشرط ان يدفعوا ضريبة جزئية تسمىٰ الجزية ، وهذه الجزية عادة اقل من الضريبة التي يدفعها المسلمون انفسهم للدولة الاسلامية ، وفي مقابل تلك الجزية ، ولأتباع الديانات الاخرىٰ الحق في حرية العمل حسب مذاهبهم ولا يجبرون علىٰ تركها ، كما ان الدولة الاسلامية توفر لهم الحماية التامة».

اصدقائي الاعزاء !

كان ذلك موجزاً عن برنامج الاسلام الحربي وهدف المسلمين من الحروب وكيفية تعامل المسلمين مع شعوب البلدان التي يسيطرون عليها واستشهدنا في ذلك بنماذج من تاريخ الاسلام ، واقوال علماء اوروبا ، واثبتنا ان المسليمن لوحدهم لم يجبروا الآخرين علىٰ اعتناق دينهم بالقوة والسيف ، بل منحوا الآخرين حرية دينية تامة في ظل حكمهم .

لكن لننظر ماذا فعل هؤلاء المسيحيون والاوروبيون عندما دارت الامور وابتولوا هم علىٰ بلاد المسلمين ، لقد قاموا بجرائم ومجازر ومآسي سوّدت وجه التاريخ ويخجل الانسان من مجرد ذكرها !

تاريخ الحروب الصليبية الاسود

ولكي لا يتصور اصدقائي ان حديثي عن توحش وجرائم الشعوب الاوروبية مصدره التعصب الديني ، سأنقل لكم بعض الجرائم التي قام بها

الصليبوين في الحروب الدموية والمعروفة بالحروب الصليبية ، وذلك ايضاً علىٰ حدّ ماجاء في كلام وكتابات العلماء والمؤرخين القساوسةالاوروبيين المسيحيين .

يتحدث الدكتور غوستاف لوبون في البداية عن الحرب التي شنها المسيحيين والاوروبيين ضد المسلمين ، فيقول :

« الكلام حول القتال الذي دار بين العالم الاوروبي المتوحش ، واسمىٰ الحضارات التي نشاهد آثارها في التاريخ ».

ثم يضيف :

« لقد قامت المسيحية الاوروبية بارتكاب اعمال وحشية في الحروب الصليبية ، لا يمكن ان اعبر عنها بشيء سوىٰ انهم (المسيحيين) كانوا قد جنوا ، فعندما انتصر الصليبيون علىٰ المسلمين الاتراك ، قاموا بقطع رؤوس المجروحين المسلمين وحملوها معهم علىٰ خيولهم الىٰ معسكرهم وهم يفتخرون بما قاموا به ، ثم قاموا برمي تلك الرؤوس من فوق حصار كانوا يضربونه حول احدىٰ المدن المسلمين ، بأتجاه اهالي المدينة ، ان تصرفات المسيحيين الاوروبيين المشينة في جميع تلك الحروب جعلتهم بمستوىٰ اكثر الناس توحشاً وبربرية علىٰ وجه الارض ، وكانوا في تعاملهم السيء ذلك لا يفرقون بين اتباع دينهم واعدائهم أو الناس العاديين من النساء والاطفال والشيوخ والشبان والعسكر الذي يواجهونه ، في المدن التي يهاجمونها ، اي انهم كانوا يقتلون وينهبون الجميع دون استثناء ».

تقول انكومن[1] ابنة امبراطور القسطنطينية :

« من جملة ماكان الاوروبيون يرفهون عن انفسهم فيه في تلك الحروب ، هو انهم كانوا يقتلون كل طفل يمرّ من امامهم ويلقون به في النار ! » .

ويقول الراهب روبرت[2] وهو من القساوسة المسيح حول المجازر التي ارتكبها المسيحيين الاوروبيين بحق المسلمين في مدينة مارا[3] :

« كان الجيش المسيحي يتحرك في انحاء المدينة مثل اللبوة التي سرقوا اطفالها ، وكانوا يلتذّون بالمجازر التي يرتكبونها بحق الناس ، فكانوا يقطعون أيدي الاطفال ويضربون اعناق الشيوخ والشبان ، ومن اجل ان يسرعوا في عملهم ، كانوا يشنقون عدة اشخاص في حبل واحد !

وكان المسيحيون في تلك الحرب ينهبون كل مايجدون عند الحيّ والميت من نقود ومجوهرات ، وكانت ازقة مدينة « مارا » تحولت الىٰ بركة من الدماء ، تسبح فيها جثث القتلىٰ المنتشرة في جميع ارجاء المدينة ، وكان المسيحيون يعبرون من فوقها !

في وصفه لدخول المسيحيين الاوروبيين الىٰ القدس ، يقول العالم الاوروبي المعروف ، رايموند داجلس[4] :

« عندما احتل المسيحيون الاوروبيون سور المدينة وقلاعها ، ظهرت

---

(١) Aonicomnen.

(٢) Robert.

(٣) Marrat.

(٤) Rayimond Dagiles .

مشاهد غريبة ورهيبة بين المسلمين ، فقد شوهدت جثث بعض المسلمين بلا رؤوس وهو اقل ما جرىٰ علىٰ المسلمين ، وكانت وجوه بعض المسلمين، تثقبت مثل الغربال من الجراح والنبال التي اصابتهم ، فكانوا يلقون بأنفسهم من أعلىٰ الحصار والحصن الىٰ اسفله ، فيبقىٰ بعضهم علىٰ جراحه حتىٰ يلقون به في النار فيما ميادين مدينة القدس مليئة ، بأكوام من الرؤوس والايدي والارجل المقطعة ، حيث يعبر المسيحيين من فوقها ، وجميع ذلك جانب صغير من مجازر المسيحيين في القدس ».

ويضيف أحد القساوسة المسيح فيقول :

« قتل عشرة آلاف شخص من المسلمين كانوا قد التجأوا في احد المساجد ، وفي احد المعابد القديمة ، كان الدم بحدّ ، بحيث كانت جثث القتلىٰ المقطعة والموزعة الىٰ ايدي وارجل ورؤوس تسبح في بركة كبيرة ، لا يمكن تشخيص جثة سالمة واحدة منها ، حتىٰ ان الجنود الاوروبيين الجناة الذين قاموا بتلك المجزرة كانوا يهربون من بخار الدم الذي ملأ فضاء المعبد.

يقول الدكتور غوستاف لوبون :

« بعد جميع تلك المجازر التي ارتكبها الصليبيين ، كانوا يقومون بأعمال لمجرد التسلية ، شنيعة وقبيحة بحدّ ، جعل المؤرخين النصارىٰ ورغم دفاعهم عن الصليبيين ، يغضبون وينفرون من تلك الاعمال المخجلة ، فيصفون اتباع دينهم بأوصاف شديدة جداً ، علىٰ سبيل المثال ، يصفهم

برنارد[1] بأنهم مجانين ، ويشبههم بافدين[2] بالحيوانات التي تسبح في بولها وغائطها » وفي وصفه لمجازر المسيحيين ضد المسلمين في الاندلس (اسبانيا).

يقول الدكتور لوبون :

« كانت نهاية مما قام به القادة المسيحيين الاوروبيين الذي لم يكن لهم هدف سوى جمع المال والثروة ، بتدمير تلك البلاد (الاندلس) بسرعة عجيبة ، بعد ان كانت عامرة في ظل حكم العرب والمسلمين العقلاء .

وقد بلغت قسوة المسيحيين في الاندلس حداً انهم كانوا يحرقون المسلمين ، بل وصل الامر الى حدّ اصدر فيه اسقف طليطلة[3] الكبير والذي كان رئيساً للمحكمة المقدسة[4] أيضاً ، حكماً بقتل جميع العرب رجالاً ونساءً واطفالاً » .

أيُّها السادة المحترمون !

كانت تلك نماذج من معاملة المسيحيين الاوروبيين للمسلمين عندما سيطروا على بلاد المسلمين !

---

(١) Birnard .

(٢) Bavdin .

(٣) من أهم محافظات الاندلس (اسبانيا) .

(٤) محاكم اقامها القساوسة للتحقيق في عقائد الاشخاص ، وكل من يثبت انه مسلم تصدر بحقه اشد العقوبات .

لقد عاملهم المسلمون برجولة وشهامة عندما فتحوا بلدانهم، وهو من مفاخر التاريخ العسكري والحربي الانساني ولم يشاهد مثله في اي نقطة من العالم، لكنه عندما دارت الايام وانتصر الاوروبيون علىٰ المسلمين، بدأوا بمجازرهم الوحشية التي لا مثيل لها في تاريخ البشرية حسب تعابير مؤرّخيهم.

اواني الذهب والفضة

الدكتور : سيادة العقيد ، تسمح لنا الآن ، بان نشبع بطوننا الفارغة ، ببعض الاكل؟

العقيد : مستعد ، ولكن ما الذي سنأكل ؟

الدكتور : جميع الاصدقاء مدعون للغداء معي ، لأن مضيفي البارحة اعدّ لغدائي اليوم قدراً كبيراً من الرز ، ووضع فوق الرز دجاجة كبيرة مشويّة ، وهو كاف لجميعنا .

الطالب الجامعي حسن : دكتور ، اخاف ان يكون الرز والدجاج مثل الحلويات والفاكهة التي اعدها مضيفك لك من قبل ، فضحك الجميع لذلك .

الدكتور ، وبعد ضحكة طويلة ، قال : هذه المرّة اطمئن اصدقائي الىٰ انني سأقدم لهم وجبة اكل جيدة ، ثم نهض الدكتور وفتح حقيبته فأخرج صموناً وملاعقاً ورفع غطاء القدر وبدأ بتقسيم الأكل ، ومن المصادفة كانت بعض اواني الدكتور من الفضة ، فأنتبه الشيخ الىٰ ذلك ، وخاطب الدكتور معترضاً :

سعادة الدكتور ، ارجو ان لا تستخدم الاواني الفضية ، لأن استعمال الذهب والفضة غير جائز في الاسلام ، كبيعها وشراءها .

الدكتور : ايها الشيخ ، هل لك ان تحدثنا بشكل موجز عن فلسفة ذلك

التحريم .

الشيخ : اتصوّر ان قليل من التأمّل يوضح فلسفة حـرمتها ، لأن الذهب والفضة ثمن وليستا مثمنتان ، اي انها ليست كالاثاث والملابس وسـائر ادواة الحياة ، فالذهب والفضة هما محور العجلة الاقتصادية في جميع العالم وعلىٰ امتداد التاريخ ، لذلك لايسمح الاسلام بأحتكار مثل هذان الشـيئان القـيمان اللذان تحدد قيمة العديد من الاشياء الاخرىٰ علىٰ اساسها ، او ان يوضعا علىٰ رفوف ، فهذه الثروة تعتبر الاساس في اقتصاد العالم وليس من الصحيح تعطيلها وخزنها في بيت غني مغرور ، فـي حـين انـه لو اسـتخدمت بشكـل صـحيح في المجالات الاقتصادية ، نتاج مجالات عمل لملايين الاشخاص ، وتـنجوا الآف العوائل من الفقر والضياع .

سعادة الدكتور ! وكانت في هذا البلد حكومة اسلامية قوية وحـقيقية ، وقامت بأخراج تلك الاواني الذهبية والفضية من رفوف الاغنياء علىٰ الرغـم منهم ، ووظفتها في السوق الاقتصادية العالمية ، ألا سـيكون بأمكـانها انشـاء عشرات المصانع والمعامل داخل البلاد ، وتسدّ حاجة البلاد الىٰ الكـثير مـن الواردات التي تنهال علينا من الغرب ، وفي نفس الوقت نـتاج فـرص العـمل لآلاف الاشخاص العاطلين وبالنتيجة ستحصل مئات العوائل عـلىٰ مسـتوىٰ جيد من الرفاه ؟

أليس من المخجل في بلاد يعيش اكثر من نصفها الفقر والحرمان واغلب قراها لا تحصل علىٰ قدح واحد من ماء الشرب الصحي ، في حين ثروتها من الذهب والفضة مكدسة علىٰ شكل كؤوس واواني في بيوت الاغنياء ، يضعونها للفخر والتباهي وتكـون وسـيلة للـعمالة والتـبعية ، فـلماذا لا يـحرم الذهب

والفضة ؟ ولماذا يحلل بيعهما وشراءهما فالذهب والفضة اكثر قيمة من الاوراق النقدية ، لأن قيمة الورقة النقدية تحدد علىٰ ضوءهما ، لانهما يوفران الدعم لها . فلو قام أحد الاغنياء بتكديس اوراقه النقدية علىٰ رفوف بيته ليفتخر بها امام ضيوفه وتكون وسيلة لعمالته ، ألا يقال ان هذا الرجل اصيب بجنون مالي؟! اي انه حيوان مغرور ابعدته الثروة عن كل فضيلة انسانية ، فهل نتوقع من نظام لا يقبل بالتمايز اساساً ان يبقىٰ متفرجاً دون عمل مقابل تلك الاعمال الدنيئة ؟!

الاصدقاء جميعهم : كلامك صحيح ومنطقي تماماً ، ولو اجري هذا القانون الاسلامي ، لكان خطوة اقتصادية كبيرة ولوجدت آلاف الاسر المحرومة ، الحدّ الادنىٰ من متطلبات حياتها ولتخلصت من الفقر والاضطراب ، وعلىٰ اثر ذلك ، اعاد الدكتور الاواني الفضية الىٰ حقيبته ، وجلسوا يأكلون علىٰ مائدة اسلامية وبسيطة كالاخوة ، وبعد قليل من الراحة ، تابعوا حديثهم .

غاليلو يُكفّر

يعتبر غاليلو[1] من كبار علماء ايطاليا ، الذين قالوا بحركة الارض متبعاً بذلك نظرية كوبرنيك[2] ، لكنه وبعد ان أظهر رأيه ذلك ، صار هدفاً للّعن وشتائم مختلف الفئات الاوروبية ، خاصة مسؤولي الكنيسة ، فأضطر ومن اجل

(١) Galilee.

(٢) Copirnec.

الحفاظ علىٰ حياته ، ان يتوب مما قال في مجلس رسمي حضره البابا شخصياً ، ويعترف ان كلامه كان خلافاً للحقيقة !!

نص توبة غاليلو

وكان نص توبة غاليلو ، كالتالي :

« أنا غاليلو وفي السبعين من عمري ، اركع امام حضراتكم مخاطباً البابا والقساوسة ـ وفي حين امثل امام الكتاب المقدس ـ الانجيل ـ وألمسه بيدي ، اتوب وانكر واستنفر دعوتي الباطلة في حركة الارض»[١].

ساعة المسلمين

في العصر الذي لم يكن في جميع انحاء العالم وجود يذكر للعلم والحضارة ، ظهر اول نتاج صناعي كبير علىٰ يد المسلمين في خلافة هارون الرشيد ، وكان ذلك صناعة الساعة . وقد اهدىٰ هارون الرشيد واحدة منها الىٰ شارلمان[٢] ملك فرنسا ، وكما يقول احد كبار المؤرخين الاوروبيين ، عندما وصلت الساعة الىٰ شارلمان لم يكن في فرنسا كلها من يعرف كيف تعمل تلك الساعة .

ويضيف ذلك المؤرخ : عندما نصبوا تلك الساعة التي كان لها جرس

---

(١) تاريخ العلوم .

(٢) Charlrimagne .

أيضاً أعلىٰ القصر الملكي وارتفع صوت جرسها لأول مرة ، رأىٰ افـراد البـلاد فجأة أن اهالي باريس متّجهون نحو القصر وهم يحملون العصي والفـؤوس ، فأرسل الملك مجموعة لمعرفة سبب هجومهم ، فقال لهم الباريسيون : لا نريد ان نتعرض للملك ، بل نريد تحطيم تلك الساعة ، فمنذ زمن طويل والقساوسة يحدثوننا عن شيطان يغوينا ويدفعنا الىٰ عمل السـوء ، والآن عـلمنا ان ذلك الشيطان موجود في تلك الساعة ، لأنه اذا لم يكن فـيها شـيطان ، لمـا خـرج منهاذلك الصوت الموحش (صوت الجرس) ،لأن الساعة جماد ولا تستطيع بنفسها ان تخرج صوتاً ، لذلك جـئنا بـعصينا وفـؤوسنا لنـقتل ذلك الشـيطان ونخلص البشرية من وجوده وشروره !!!

ويقول الدكتور غوستاف لوبون في هذا الصدد :

« كان هارون الرشيد قد ارسل هدايـا كـثيرة لشـارلمان مـلك فـرنسا وامبراطور الغرب بواسطة سفرائه ، ومن اهم تلك الهدايا كـانت السـاعة التـي يدق جرسها رأس كـل سـاعة ، ومـا ان شـاهدها شـارلمان وحـاشيته شبه المتوحشة حتىٰ دهشوا واصبحوا في حيرة من أمرهم ، ولم يكن فـي فـرنسا أحد يعرف كيف تعمل الساعة .

المسلمون مؤسسوا حضارة

التفت العقيد الىٰ الشيخ وقال : كلامك حول اواني الذهب والفضة مـقنع تماماً ، إلّا انّ ما يبعث علىٰ التعجب ، هو انه رغم التـطور العـلمي فـي العـالم الاوروبي الذي يجعلهم في مقام ومنزلة معلمي البشرية ، ورغـم ان اعـمالهم

تعتبر قطعياً بالنسبة لنا ، الآن استخدام اواني الذهب والفضة شائعة هناك ، فهل يمكن انهم لم يلتفوا الىٰ ما اشرتم اليه رغم اهتمامهم بالمسائل الاقتصادية ؟!

الشيخ : سيادة العقيد ، اتصور انه لا معنىٰ لتعجبك واستغرابك ، فهل نزل الاوروبيون من السماء فيما خرجنا نحن من الارض ؟! لماذا نستصغر انفسنا الىٰ هذا الحدّ امامهم ؟ ولماذا لا نرىٰ أية قيمة لأنفسنا وافكارنا امام الاوروبيون ؟!

اصدقائي الاعزاء !

أليس عجيباً ان تستصغر اُمّة عظيمة لها تاريخ عريق وحضارة كبيرة نفسها أمام أُناس كانوا حتىٰ الامس القريب يعدون من المتوحشين الذين يسكنون الجزر ، للحد الذي نعد كل ما يصدر منهم من اعمال وحشية سنداً قاطعاً فيما ندوس علىٰ افكارنا امامهم !

واليكم ما يقوله احد كتابنا الكبار في نقده لروح التقليد من الغرب التي تشاهد في بلادنا :

« نحن لم نخرج الىٰ العالم من تحت الصخور الصماء ونتعلم اللبس من هذا وذاك ، ولم نكن مجاميع مشتتة ليس لها تاريخ[1] نسير اينما اخذتنا الرياح ، ولم تكن لنا فكره القردة[2] حتىٰ نقلد الآخرين دون تفكير ، فجمال العالم يأتي من الذوق السليم والطبيعة اللطيفة ، لرسامينا وفنانينا ومزارعينا وفخارينا

---

(١) كناية عن الشعب الامريكي .

(٢) اشارة الىٰ الشعب الانجليزي ونظرية دارون .

ونجارينا وحائكينا ومعمارينا ومهندسينا و... وهذه متاحف الدنيا من لندن وباريس وبرلين حتىٰ موسكو وفينا وروما وغيرهن من مدن الدنيا مليئة بالقديم والبالي من قطيفة كاشان والاعمال اليدوية من اصفهان والازار والآذربيجاني والجيلاني والخمار اللرّي و... من الاعمال التي يزيد عددها علىٰ عدد الرمال ويعجز عن فهمها الجهّال، تلك الآثار الخالدة التي عجز العالم المادي الذي سخر اعماق البحار والفضاء علىٰ ان يأتي بمثلها من تناسق الوانها وتناسب اشكالها وجمالها، وهي من صنع التاريخ الايراني وسائر الشعوب الشرقية».

اصدقائي الاعزاء!

أقول وأنا متأكد مما ادعيه: ان مصدر العديد من الآثار الحضارية السليمة في اوروبا وامريكا هم المسلمين، فالحضارة الاسلامية هي التي ادخلت الاوروبيين المتوحشين الى المجتمع المتحضر، كما ان العلاقة مع المسلمين هي التي علمتهم الادب والاخلاق بعد ان كانوا بعيدين كل البعد عنها، ففي حين كان الاوروبيون يفخرون بجهلم ويغطون فيه، كان للمسلمين جامعات ومراكز علمية في بلدانهم، وعندما لم يكن في اوروبا حتىٰ مكتبة واحدة، كان المسلمين اصحاب اكبر المراكز العلمية والثقافية في العالم، وفي تلك الفترة التي كانت اوروبا تتهم علمائها بالجنون وتحاكمهم علىٰ يد قساوستها وتعلقهم على المشانق بتهمة الكفر، كان المسلمون يمدون البشرية، بأكبر العلماء والفلاسفة، ممن يعدون معلمي البشرية حتىٰ يومنا هذا، البلاط

شخص يعرف كيف صنعت تلك الساعة »[1].

ويقول بيير روسو :

« أرسل هارون الرشيد ساعة ذات جرس الىٰ شارلمان وكانت تلك الساعة تعمل اتوماتيكياً ، فكان الاوروبيون يعدونها ثامن اعجوبة في العالم »[2].

ظلم الامريكيين

أيُّها السادة المحترمون ! انتبهوا بدقة الىٰ هذه القصة ، لكي تطلعوا علىٰ مدىٰ ظلم الشعب الاميركي النجيب ! والشريف ! والمتحضر ! ولتعلموا كيف يستفيد هذا الشعب النبيل من جهل بعض المسلمين وعدم اطلاعهم ، لينسبوا اعمال الآخرين الىٰ انفسهم ، خلاصة القصة ، هو انني كنت في عيادة احد الاطباء قبل فترة في قم ، وكانت في عيادته مجموعة مجلات منها مجلة بأسم اخبار الاسبوع الامريكية والتي تصدر اسبوعياً في طهران عن الجالية الامريكية ، فتناولتها لاقضي الوقت بتصفحها ، وفجأة جلبت انتباهي صورة ساعة كبيرة يقف رجل الىٰ جانبها ، واسفلها هذا الخبر : « اول ساعة في العالم صنعت علىٰ يد راهب فرنسي يدعىٰ جربرت سنة ٩٩٠ ميلادية ، حيث اصبح ذلك الراهب فيما بعد بابا سيلوستر ، ومع ان تلك الساعة لم تكن دقيقة ، إلّا أنّها كانت افضل من الساعات اللاتي سبقتها ، وكان ذلك تطوراً مهماً في صناعة

---

(١) حضارة الاسلام والعرب .

(٢) تاريخ العلوم .

الساعات في ذلك العصر ».

اصدقائي الاعزاء!

وكما تلاحظون في الخبر الذي نقلته لكم، لقد نسب الاميركيون النجباء!! صناعة أوّل ساعة في العالم الىٰ راهب فرنسي، ولكن وكما يقول المثل «الكذاب كثير النسيان» ولكي يتّضح ظلمهم على ايديهم، نلاحظ في آخر الخبر العبارة التالية «... ومع ان تلك الساعة لم تكن دقيقة، إلّا انها كانت افضل من الساعات اللاتي سبقتها...» افلا يوجد من يقول لهؤلاء الامريكيين النجباء! ايها المخادعون لماذا كل هذا التناقض، فإذا كانت هناك ساعات صنعت قبل ساعة الراهب الفرنسي، فماذا يعني ان ساعة الراهب أول ساعة في التاريخ ؟!

علىٰ المسلمين ان ينتبهوا

سيادة العقيد، لقب « معلمي واساتذة البشرية » يجب ان يعطى للمسلمين، الذين اخرجوا الاوروبيين المتوحشين من همجيتهم ووضعوهم في صف ابناء البشر، وعلموهم الاخلاق والفضيلة، فكل ما لدىٰ اوروبا من علم واخلاق منشأه المجتمع الاسلامي، واستطيع ان ادعي بملء فمي انك اين ما وجدت قانوناً ذا فائدة في اوروبا أو امريكا في المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية و... ستجد النموذج الاكمل له في الاسلام وسأثبت لكم انهم اخذوه عن المسلمين واقتبسوه منهم.

ولكي لا يتصور اصدقائي ان كلامي هو بدافع التعصب الديني ، أو هـو نوع من الاسترسال والمبالغة ، سأضطر لنقل كلام احد كبار علماء اوروبا فيما يتعلق بفضل المسلمين علىٰ الاوروبيين فـي مـجال التـربية ، ومـدىٰ تأثـير الحضارة الاسلامية في الغرب ، ولكي تتضح حالة الشـعوب الاوروبـية قـبل ارتباطها بالمسلمين وبعده ، والكتب والعلوم التي اخذوها من المسلمين .

فليقرأ المتيّمون بحضارة اوروبا وامريكا

يقول السيد ليبر[١] وهو من أشهر علماء اوروبا ، لو لم يكن للـمسلمين وجود في التاريخ ، لتأخرت النهضة العلمية في اوروبا عدة قرون أُخرىٰ .

ويقول الدكتور غوستاف لوبون :

« في القرنين التاسع والعاشر المـيلاديين ، أي فـي الفـترة التـي كـانت الحضارة الاسلامية في اوروبا تعيش عصرها الذهبي ، كانت مـراكـز اوروبـا العلمية ، عبارة عن قلاع رديئة متخلفة يعيش فيها اجراءنا نـحن الاوروبـيون ورعاياهم بحالة شبه وحشية وكان يفتخرون بجهلهم واميتهم ، وكان اعلم من فيهم الرهبان الجهلة الذين كان كل همّهم يـصرف فـي اخـتيار كـتب اليـونان والرومان القديمة من بين كتب المكتبات الموجودة في الكنائس فـيمسحون كلماتها ويدونون مكانها كـلماتهم واورادهـم المـهملة والبـربرية الاوروبـية استمرت اكثر مما يجب دون ان يشعروا ، طبعاً ظهرت مشاعر بين الاوروبيين في القرن الحادي عشر ، والقرن الذي يـليه خـاصة ، ومـنذ ان شـعر بـعضهم

(١) Libre.

بضرورة فك تلك القيود والخروج من ظلمة الجهل، اتجهوا نحو المسلمين الذين كانوا يفوقونهم وافضل منهم لأقتباس العلم والمعرفة ».

ثم يضيف الدكتور لوبون:

« وفي سنة ١١٣٠ تأسست دار للترجمة في مدينة طليطلة برئاسة الاسقف الكبير رايموند، وبدأوا بترجمة كتب اشهر العلماء المسلمين من العربية الىٰ اللاتينية، ونجحت تلك الترجمات في تنوير أفكار الاوروبيين وفتح عيونهم علىٰ عالم جديد، ولم تقتصر تلك الترجمة علىٰ كتب أمثال محمد بن زكريا الرازي والتباسيس وابن سينا وابن رشد الاندلسي من علماء الاسلام، بل ترجمة أيضاً مصنفات جالينوس وديمقراطيس وافلاطون وارسطو واقليدس وارخميدس وبطليميوس التي كان المسلمون قد ترجموها من اللاتينية الىٰ العربية من قبل ».

اعتراف غريب للدكتور ليكليرك [١]

بعد ان يذكر الدكتور ليكليرك في كتابه تاريخ الطب اسم اكثر من ثلاثمائة كتاب مشهور ترجم من العربية الىٰ اللاتينية، يقول:

« المعلومات التي حصلنا عليها من علوم اليونان في فترة القرون الوسطىٰ كانت بواسطة هذه الترجمات العربية، وببركة هذه الترجمات استطعنا الحصول علىٰ تصانيف اليونان القديمة، في حين ان رهباننا كانوا لا يعرفون حتىٰ اسم اليونان، لذلك علىٰ جميع العالم ان يعترف بالجميل الذي قام به

---

١ - Liclerc

المسلمون في الحفاظ علىٰ هذه الكنوز الثمينة وعلىٰ الخدمة الجليلة التي قدموها للمعرفة.

ويضيف أيضاً الدكتور لوبون بعد شرح مفصل لتأثير الحضارة الاسلامية في الغرب، فيقول:

«إذا ثبت انه في القرن الميلادي العاشر، لم يكن في اوروبا علىٰ سعتها سوىٰ الاندلس (مركز حكومة المسلمين في اوروبا) مركزاً للعلوم والمعرفة، وفي ذلك العصر لم تكن هناك دولة (ماعدا الدول الاسلامية في آسيا وافريقيا) في القسم الغربي من الكرة الارضية غير الاندلس تدرس فيه العلوم والمعارف، فحتىٰ القسطنطينية لم يكن فيها ذلك، وكان رجال اوروبا يتجهون نحو الاندلس لتلقي العلوم عند علماء المسلمين».

ويتكلم الدكتور غوستاف لوبون أيضاً عن مستوىٰ الانحطاط الفكري عند الاوروبيين آنذاك، فيقول:

«قام غربرت ١١ سنة ٩٩٩ ميلادية بدراسات، وحاز على مقام البابوية باسم سيلوستر الثاني، لكنه عندما اراد نشر علومه في اوروبا، كان الامر خلافاً للطبيعة عند الاوروبيين بحيث أُتّهم ذلك المسكين بأن الشيطان حلّ في جسده وانه زاغ عن طريق رب المسيح».

بعض كبار علماء اوروبا من تلامذة العلماء المسلمين

وفي بحث آخر يقول الدكتور غوستاف لوبون:

«حتىٰ القرن الخامس عشر، كان علماء اوروبا ينظرون الىٰ الكلام الذي

لم يأخذ عن مصنفي المسلمين، بأنه غير موثوق».

ثم يضيف العالم المذكور:

« ويعتبر روجر بـايكون[١] وليـونارد دوبـيس[٢] وارنـافد فـيلنيف[٣]، ورايموند لول[٤]، والقديس ثوماس[٥]، والبرت الكبير[٦]، والفونس العاشر[٧]، جميعهم اما من تلامذة علماء الاسلام أو ناقلين عنهم».

ويقول السيد رنيان[٨]:

«كل ما كان يعرفه البرت الكبير اخذه وتعلمه من ابو علي ابن سينا العالم الاسلامي المعروف».

كما ان جميع فلسفة القديس توماس مأخوذة عن العالم المسلم ابن رشد الاندلسي، وكانت كتب المسلمين هي المـصادر الوحـيدة التـي تـدرس فـي جامعاتنا الىٰ ماقبل خمسمائة أو ستمائة سنة، وكانت علوم المسلمين عـلىٰ طول تلك الفترة هي محور دراستنا وعلومنا، وفي بعض الفروع العلمية: مثل

---

(١) Roger Bacon.

(٢) Leonard de Pise.

(٣) Arnavd de Villineuve.

(٤) Raymond Lulle.

(٥) Saint Thomas.

(٦) Albert قسيس وفيلسوف الماني معروف، كانت افكاره عـاملاً فـي حـدوث تـغييرات عـلىٰ الساحة الاوروبية.

(٧) Alphonse.

(٨) Renan.

الطب لا تزال نظريات الاطباء المسلمين باقية ، ففي فرنسا بقيت مصنفات ابن سينا حتىٰ القرن الماضي (التاسع عشر) وكتبت عليها شروح وتعليقات ايضاً ، وكانت هيمنة علوم العرب في اوروبا إلى درجة كانوا يرجعون الىٰ مصنفاتهم حتىٰ في العلوم التي لم يكونوا متبحرين فيها، ومنذ بداية القرن الثالث عشر اصبحت فلسفة العالم المسلم ابن رشد الاندلسي جزءً من المقرر الدراسي في مدارس اوروبا.

وفي سنة ١٤٧٣ ميلادية حيث اقر الملك لويس الحادي عشر[١] منهجاً دراسياً ، أمر بتدريس مصنفات ابن رشد في الفلسفة ، وفي جامعات ايطاليا ، خاصة جامعة بادو[٢] لم يكن نفوذ وهيمنة العلوم الاسلامية اقل من سائر الانحاء » .

---

(١) Lovis.

(٢) Padove.

التأثير الاخلاقي للمسلمين في اوروبا

يقول الدكتور غوستاف لوبون :

« لقد تحدثنا فيما سبق عن اخلاق امراء ونبلاء النصارىٰ والاوروبيين ، وفي المقابل ماكان للمسلمين من صفات مميزة ، واثبتنا ان اسلافنا نحن الاوروبيين تركوا بربريتهم بعد ما عاشروا المسلمين وخالطوهم ، والمسلمون هم الذين علموا الشعوب الاوروبية اعطاء قيمة للأخلاق ووظائفه مثل الشفقة والعطف علىٰ الزوجة والاولاد والوفاء للعهد والالتزام بالقسم وامثالها ، وقد اثبتت الشعوب الاوروبية في الحروب الصليبية انها متخلفة في الفضائل الانسانية فراسخ عن المسلمين » .

وفي كتابه القرآن ، يقول السيد بارثيلمي القديس هيلر[1] :

« لقد صلحت اخلاق امراءنا واشرافنا نحن الاوروبيون وكذلك عاداتهم الرديئة ، نتيجة لمعاشرتهم للعرب وتقليدهم عن المسلمين في القرون الوسطىٰ ، لقد تعلم الاوروبيون من المسلمين الصفات الحميدة التي تمتلكها الشعوب الحيّة ، وللحضارة الاسلامية تأثير محير للعقول علىٰ جميع العالم ، وبذلك ادخلت الشعوب الاوروبية المتوحشة الىٰ دائرة المدنية ، وكان تأثير ونفوذ المسلمين العقلي في العلوم والفنون والفلسفة واضحاً حيث كان الاوروبيون آنذاك جاهلون بها تماماً ، ولقد بقي المسلمون علىٰ مدىٰ ستمائة

---

(١) Renaissance.

سنة اساتذة لنا نحن الاوروبيين ».

وفي بحث للدكتور غوستاف لوبون حول، فيما لو كان المسلمون قد سيطروا علىٰ جميع اوروبا ؟ ويقول:

« من مشاهدة الاندلس يمكن معرفة ماكان سيحدث لو كان المسلمون قد سيطروا علىٰ كل اوروبا، لأنه عندما نشاهد الاندلس (مركز حكومة المسلمين في اوروبا) في ذروة رقيها، وتحضرها تحت سلطة المسلمين في الوقت الذي كانت فيه اوروبا متوحشة جميعها، يمكن القول، لو كان المسلمون قد سيطروا علىٰ كل اوروبا، لاستفادة الشعوب الاوروبية كثيراً من حكمهم ولم يكن ينلهم اي ضرر أو خسارة من ذلك، ولعدلت الرحمة والشفقة الموجودة في الاسلام خشونة الشعوب الاوروبية، ولخلّصتهم من الدماء والمجازر وظلم محاكم التفتيش العقائدي التي ذهبت ضحية احكامها ملايين الاوروبيين ».

ثم يضيف الدكتور المذكور:

« لقد اخرجت الحروب الصليبية هذه اوروبا من اخلاقها وعاداتها الرذيلة واطوارها الوحشية، وهيأت لها الارضية بعد ذلك نقل علوم المسلمين ومعارفهم ومن ثم بسطها في جامعاتها، وكان ذلك السبب الرئيسي في النهضة الاوروبية »[1].

وفي آخر كتابه يقول الدكتور لوبون في هذا الصدد:

---

(١) لمزيد الاطلاع حول نص تلك المعاهدات، راجع: تاريخ العالم الحديث الاسلام، تأليف الدكتور لوثروب ستودارد (الاميركي).

« يجب ان نعلم اولاً أنه قلما يوجد قوم في العالم يفوقون اتباع الدين الاسلامي من الزاوية الحضارية ، كما ان التطور الكبير الذي بلغوه في العلوم لم يتسير لغيرهم من الشعوب في مثل تلك الفترة القصيرة ، وقد تمكنوا من ايجاد ديانة كبيرة لا تزال من اكثر ديانات العالم حيوية ، ومن حيث الخصوصيات العقلانية والاخلاقية فيكفي انهم هم الذين ربّوا اوروبا وادخلوها الىٰ دائرة الحضارة ».

اسبانيا في ظل حكم المسلمين

في حديثه عن تأثير الحضارة الاسلامية في اسبانيا وسائر انحاء اوروبا ، يقول الدكتور غوستاف لوبون :

« لقد تقدم العرب كثيراً خاصة في اواخر فتوحاتهم ، وعلىٰ مدىٰ قرن في الاندلس التي كانت مركز حكمهم في اوروبا ، قاموا باحياء الاراضي الموات وشيدوا العمارات واوجدوا شبكة من العلاقات التجارية لهم مع سائر الشعوب والاقوام ، ثم قاموا باشاعة العلوم والفنون ، فترجموا الكتب اليونانية واللاتينية واسسوا المراكز العلمية والجامعات التي بقيت يستفيد منها الاوروبيون سنوات ممتدة ، كما ان احد أهم خصوصيات الحضارة الاسلامية ، هو شوقها المفرط للعلوم والفنون ، ولذلك تراهم يؤسسون المراكز العلمية والادبية والمكتبات في اي بقعة يحلّون فيها ، وقد بذلوا جهوداً كبيرة في علوم الهندسة والهيئة والطبيعيات والفيزياء والكيمياء ، وسنشرح فيما بعد التطور والتقدم الذي حصل عليه علماء المسلمين في العلوم والفنون ، وقد نجحوا في القيام باكتشافات مهمة جداً .

وكانت قرطبة ، عاصمة المسلمين آنذاك ، مركز مهماً للعلم والفن والتجارة في اوروبا وكانت تفوق اكبر العواصم الاوروبية ».

اسبانيا في ظل الحكم الاوروبي

يقول عالم فرنسا المعروف :

«عندما كانت الاندلس (اسبانيا) تحت حكم المسلمين ، بلغت ذروة تحضّرها ، إلّا ان تلك الاندلس نفسها اتجهت نحو السقوط والانحدار بعد حكم المسلمين ومجيء الحكم المسيحي الاوروبي ، وعلىٰ حدّ اعتراف كبار علماء اوروبا لم تشاهد دولة بلغت تلك المدارج من الرقي بهذه السرعة في ظل حكم المسلمين ، كما انه لم يشاهد مثلها في سرعة السقوط والتدني خلال حكم النصارىٰ الذين دمروا كل شيء وقوضوا كل الأُمور حتى عدد السكان بسبب كثرة القتل الذي قاموا به.

لقد اضطربت احوال الاندلس بمجيء الاوروبيين في جميع المجالات من الزراعة والتجارة الىٰ العلم والادب ، فالاندلس لم تكن متحضرة قبل حكم المسلمين لها ، لكنها وصلت الىٰ اعلىٰ درجات التحضّر والعمران في فترة الحكم الاسلامي ، ولكنها تراجعت حضارياً بشدة مع انتهاء فترة حكم المسلمين وتسلط الاوروبيين والنصارىٰ عليها.

فعندما سقطت (غرناطة) آخر عاصمة للمسلمين هناك بيد النصارىٰ ، ذهب جميع ذلك التساهل الديني الذي كان العرب يعاملونهم به ، وعلىٰ الرغم

من المعاهدات التي كانت بينهم[1] عاملوهم بأشد درجة من القسوة والظلم ، وبعد قرن على ذلك قرروا اخراج المسلمين من البلاد بشكل تام ، لقد كان المسلمون متفوقون عليهم في جميع العلوم حتى تحت ظل حكمهم - النصارى - للحد الذي شكى الاسبان ذلك الى حكومتهم من ان المسلمين لم يتركوا لهم مجالاً للقيام بعمل محترم ومرموق ، والحقيقة ان النصارى لم يكونوا جديرين للقيام باي عمل ، حتى لا يحتاجوا المسلمين في انجازه .

خلاصة القول :

انه وبعد حكم المسلمين اغلقت المعامل التي كانوا قد شيدوها بأيديهم ، واختلت امور الزراعة ، فصارت الاراضي التي احياها المسلمون الى موات، مما اثر ذلك على العمران المدني ، لذلك نشاهد تدني في امور المدن ايضاً ، ففي اشبيلية التي كان فيها على حكم المسلمين الف وستمائة مصنع وكان يعمل في تلك المصانع اكثر من مائة وثلاثين الف عامل ، تقلص العدد في ظل حكم النصارى الى ثلاثمائة مصنع فقط !

وفي طليلة وحدها كان هناك خمسين مصنع للنسيج والاقمشة في فترة حكم المسلمين ، بقيت منها ثلاثة عشر فقط بعدهم ، اما المصانع التي كانت مخصصة لانتاج الاقمشة الحريرية والتي كان يعمل فيها اكثر من اربعين الف عامل ، فقد اغلقت جميعها ، هذا الامر ادى الى خراب مدن مشهورة كانت

---

(١) لمزيد الاطلاع حول نص تلك المعاهدات : راجع ، تاريخ العالم الحديث الاسلام ، تاليف الدكتور لوثروب ستودارد (الاميركي) .

عامرة في فترة حكم المسلمين مثل ، قرطبة ، وسقوبية وبورغوس .

وقد وصل الامر الىٰ الاوروبيين لرادوا ان ينشئوا في بداية القرن الثامن عشر مصنعاً في سقوبية ، ولأنه لم يكن قد بقي هناك واحـداً مـن الصـناعيين المسلمين اضطروا لأن يأتوا بالصناعيين والعمال من هولندا . وبشكل عام لقد سقطت الاندلس في الفقر والحرمان والتخلف علىٰ يد النصارىٰ بـعد ان كـانت القمة الحضارية في اوروبا والعالم في فترة حكم المسلمين .

نماذج مضحكة من جهل الاوروبيين

سيادة العقيد : من اجل ان تتعرفوا اكثر علىٰ هؤلاء الذين ترونهم افضل منكم ، سأنقل لكم نماذج عـن جـهلهم ومسـتوىٰ انـحطاطهم الفكـري فـي الماضي ، لكي تعرفوا مدىٰ تخلفهم عندما كان للمسلمين مجد وعظمة عـلمية في الدنيا :

١ ـ مسكين فلتن الامريكي ، لقد صنع زورقاً بخارياً سرعته مايقرب من خمسة عشر كيلو متراً في الساعة وقام بتجربته في احد الانهار فـي امـريكا ، المتفرجون الامريكيون الذين كانوا يشاهدون حركة الزورق من علىٰ ساحل النهر ، تصوروا ان هذا الزورق ما هو الآ عفريت والدخان الذي يـتصاعد مـن مدخنة غرفة المحرك انفاس ذلك العفريت !!

٢ ـ وفي السويد كانوا يقومون بشنق الشيوخ والعجائز والمرضىٰ الذين يصعب علاجهم ، ولا زالت هناك بعض اعواد المشانق بأسماء بعض الاسر...!

٣ ـ وفي بريطانيا والىٰ قرون متأخرة كان هناك قانون يـجيز للـمرأة ان

يكون لها اكثر من زوج !

٤ ـ نقل بعض المثقفين الفرنسيين الىٰ ملك فرنسا ، ان المسلمين في الاندلس يرصون ارض شوارعهم وازقتهم بأحجار ظريفة ويبالغون في الحفاظ علىٰ نظافتها ، في حين ان شوارع وازقة بلادنا غير مرصوصة بالحجارة والخنازير سائبة فيها علىٰ الدوام مما يزيد في اوساخها ، وبعد ان استمع ملك فرنسا الىٰ كلام هؤلاء ، امر برسم خرائط عن شوارع وازقة مدن الاندلس ، وبعد ذلك ترص شوارع وازقة مدن فرنسا علىٰ غرارها ، كما امر بمنع خروج الخنازير الىٰ الشوارع والازقة .

وما ان سمع الشعب الفرنسي بقرارات الملك ، حتىٰ قامت هناك انتفاضة عامة سميت بالحركة المسيحية في باريس ، واعتبر الباريسيون ان منع حرية الخنازير أمر يخالف التعاليم النصرانية ، وقد وصل الامر الىٰ حدّ اضطر فيه ملك فرنسا لأن يمنح الخنازير حرية التجوال في الشوارع والازقة ، بل ومن اجل جبران ما امر به في السابق ، امر بأن يعلق في رقبة كل واحد منها جرس خاص ، دلالة علىٰ قدسيتها[١] ، وبالنهاية كانت هذه الاجراس هي السبب في موت ملك فرنسا :

ففي أحد الايام حيث كان الملك ممتطياً جواده ، فاجئته مجموعة من تلك الخنازير بأجراسها ، فارتهب الجواد من صوت اجراسها وقفز من مكانه ،

(١) يشاهد اليوم في الغرب اهتمام بالغ بالكلاب والقطط حتىٰ انهم يعدونها كأحد افراد الاسرة...!
وحول مكانة الكلاب عند الغربيين راجع :
صحيفة اطلاعات (بالفارسية) العدد ٩٢٧١ بتاريخ ١٣ / ٣ / ١٩٥٧ . مقال بقلم الدكتور زهيري.

فوقع الملك من علىٰ ظهره وكان في ذلك موته .

٥ ـ يقول الدكتور غوستاف لوبون : « كان الجمود والتحجر يسود الاندلس بعد حكم المسلمين لحد ، اقترح مجموعة من المثقفين الاوروبيين علىٰ حكامهم ضرورة تنظيف الشوارع والازقة من القاذورات من اجل نظافة العابرين ، ولمجرد هذا الاقتراح تشكلت هيئة طبية اوروبية وخالفته ، وكان تعليلهم : هو ان آباءنا كانوا عقلاء وكانوا راضون عن مثل هذا الوضع ولابد لنا نحن اتباع نهج اسلافنا في ذلك وان اخراج القاذورات من الشوارع والازقة وتنظيفها يعد عملاً لا تعرف نتائجه ؟! »

فطير وشراب

الدكتور : هل صحيح ان الشعوب الاوروبية كانت علىٰ هذا المستوىٰ من الانحطاط حتىٰ القرن الثامن عشر ؟!

الشيخ : حضرة الدكتور ! لا يقتصر الامر علىٰ الماضي بل في عصر الذرة الذي ينظر فيه شعبنا اليهم بقداسة ، هناك خرافات شائعة بينهم تجعل كل انسان عاقل في حيرة من امره .

ولقد تأصلت هذه الخرافات في عقول كبار سياسييهم وعلماءهم ، بحيث انهم ينفذونها ويلتزمون بها دون اي تحفظ او انتباه ، واليكم بعضها :

أ ـ واحدة من تلك الخرافات التي شارك فيها العديد من الشخصيات في اوروبا وامريكا ، شعائر تسمىٰ « الفطير المقدّس » وهو انهم يحضرون في اليوم الذي يقولون فيه بصلب عيسىٰ ، فطائر يعدونها من دقيق جيد ، ويأخذونها الىٰ

البابا أو كبير القساوسة ، فياتي البابا أو كبير القساوسة بذلك الفطير ومعه زجاجة شراب الىٰ الكنيسة وقد امتلأت لكبار الشخصيات والناس العاديين وهم مصطفّون ومستعدون ، فيضع كبير القساوسة من ذلك الشراب في كأس من الفضة ، والفطائر في منديل نظيف، وبعد ان يعبر من امام المصطفين ، يقف ووجهه نحوالشرق مقابل الجميع ويقرأ من الآية ٤٨ الىٰ الآية ٥٨ من الانجيل [١] علىٰ الشراب والفطير الذي بيديه ـ في شعائر خرافية للغاية ـ ثم يسجد علىٰ ذلك الفطير ويخاطبه وهو ساجد : انت ياعيسىٰ رب السماوات والارضين ، انت الذي تجسمت في بطن مريم ، انت ابن اللّه الذي ولدت قبل جميع العوالم ، وأنت الذي تنجو ببركته من ايدي الشياطين ، وانت الذي تجلس علىٰ يمين الاب في السماوات ! نسألك أن تغفر لنا وأن تغفر لأُمّتك التي دفعت دمك ثمناً لخلاصها !

وبعد ذلك يرفع رأسه من السجود ويمسك بالشراب والفطير أمام الحاضرين فيسجد الجميع امامهما ، لانهم يعتقدون ان ذلك الفطير وبعد ان قرأ عليه القس الاكبر تلك الآيات تحول الىٰ جسم المسيح . وبعد ان يتم الجميع سجودهم ، يمسك القس الاكبر بكأس الخمرة ويخاطب الحاضرين قائلاً : لقد امسك عيسىٰ قبل موته كأس الخمرة واعطاه للحواريين ـ والعياذ بالله ـ وقال لهم اشربوه فهذا دمي ، وبعد ذلك الخطاب يقوم القس ومن بعده الحاضرين بالسجود امام ذلك الكأس الذي يعتقدون بأنه دم عيسىٰ، ثمّ يقوم القس الاكبر بتقطيع الفطائر بحيث تكون الواحدة بمقدار حبّة الحمص أو أصغر، ثم يقف هو وبيده قطع الفطير ويمسك قس آخر بكأس الشراب فيأتي المصطفون واحد

(١) الباب السادس من انجيل يوحنا ، ص ١٥٥ ، طبع لندن ١٩٠١م .

بعد واحد اليه يضع في فمهم قطعة من الفطير يبلعونها دون ان تنالها اسـنانهم ، لأنها من جسم عيسىٰ ! ثم الىٰ القس الآخر فيشربون من كأس الخمرة دون ان يمسونه ، ويعتقدون انهم وبعد ان أكلوا الفطير وشربوا الخمرة اصبحوا جـميعاً ابناء اللّه .

هنا يعجب الاصدقاء من ذلك الكلام الذي رواه لهم الشيخ .

الاصفهاني يشتري النار !

ب ـ ومن الخرافات الأُخرىٰ السائدة حتىٰ اليوم في الدول الغربية ، قصة بيع الجنة وتفصيل ذلك هو ان المسيحيين يؤمنون بأن عيسىٰ قتل لكي يخلّص بدمه اتباعه مٰن الذنوب والعذاب عند ابيه !!! (اللّه) ، ولذلك فان عيسىٰ يستطيع ان يغفر للمذنبين شخصياً

وهذه العقيدة الوهمية اصبحت وسيلة بيد القساوسة لأخذ الاموال مـن الناس ، فالمسيحي المذنب يأتي الىٰ القس ويعترف بذنبه فيغفر له القس ذنوبه بأعتباره ممثلاً للمسيح ثم يدفع للقس مبلغاً من المال ازاء شراء قطعة ارض في الجنة .

يقال ان أحد الاصفهانيين اطلع علىٰ هذا الأمر فـي رومـا، فـذهب الىٰ القس الأكبر وبعد ان اعترف بمجموعة من الذنوب طلب مـن القس ان يـبيعه جميع جهنم ، ومهما أراد القس الاكبر بنصيحته من ان جهنم مركز العذاب في الآخرة، ويستطيع هو ان يشتري قـطعة ارض مـن جـنة مـقابل المـبلغ الذي يدفعه ،إلّا ان الاصفهاني اصرّ علىٰ شراء جميع جهنم ، وفي النهاية باعه القس

الأكبر جميع جهنم ازاء مبلغ زهيد ، فطلب الاصفهاني من القس سنداً للملكية ، فكتب له القس الاكبر كتاباً بذلك ووقعه ، فأخذ الاصفهاني الوثيقة ودخل الىٰ اكبر كنيسة ، هناك وخاطب المسيحيين قائلاً ، لاتذهبوا بعد اليوم الىٰ البابا لشراء أرض في الجنة ، لأن شراء الجنة كان خوفاً من جهنم والآن ارحتكم من ذلك ، فقد اشتريت جميع جهنم من البابا وهذه وثيقة الملكية موقعة من قبل البابا نفسه ، وسيضطر اللّٰه الىٰ ادخالكم الجنة لأنه لم يبق لديه مكان آخر .

وبعد ان رأىٰ النصارىٰ وثيقة الملكية بيد الاصفهاني موقعة من قبل البابا ، ايقنوا من صحة الامر ، فكانوا يذنبون دون خوف ودون مراجعة للقساوسة من اجل الاعتراف أو شراء الجنة ، وبعد فترة من الزمن شاهد القساوسة عدم مراجعة احد للاعتراف أو شراء الجنة ، وفهموا ان سبب ذلك هو حيلة الاصفهاني التي دبرها ضدهم ، فأضطروا لأن يذهبوا اليه ويعيدوا سند ملكية جهنم اليهم مقابل مبلغ طائل من المال ، وبهذا الشكل عادوا من جديد الىٰ بيع الجنة وغفران الذنوب !

وهنا ينفجر الاصدقاء ضاحكين .

ج ـ ومن أعمال الاوروبيين غير المنطقية معاملتهم للكلاب ، فمن الغريب ان يعجب المؤرخون الاوروبيون الىٰ وضع اجراس في اعناق الخنازير في فرنسا ـ كما تحدثنا عن ذلك سابقا ـ ويعتبرونه دليل علىٰ انحطاط وتوحش الشعوب الاوروبية السابقة ، في حين انهم لم يعتبروا وضع علامة دفع الضرائب في رقبة الكلاب واعداد سيارات ومطاعم وغرف نوم خاصة لها دليلاً علىٰ التوحش والانحطاط الفكري .

اصدقائي الاعزاء!

هذه والعشرات من امثالها من الخرافات والوهم الذي يسود صميم اوروبا واميركا ويشيع بين رجالها وعلمائها وشعوبها التي ترفع راية الحضارة المعاصرة ، وللاسف الشديد فان بعض افراد شعوبنا الاسلامية والشرقية ومن خلال مشاهدتها لتطور الغرب الصناعي تتصور ان كل مايقومون به اكبر دليل علىٰ الحضارة والمدنية لمجرد انه صادر من قبلهم !!!

التقدم العلمي عند المسلمين

حسن، الطالب الجامعي : كلامك قيّم وهو وثيقة فخر لنا نحن المسلمون ، ولكن يجب ان لا ننسىٰ ان العالم الاوروبي اصبح قدوة للبشرية في جميع العلوم والفنون ، وبالتقدم الذي احرزوه في هذا المجال ، لهم حق كثير علىٰ عاتق العالم ، واعترافاً بالجميل، يجب ان نقدمهم (نحن وجميع الشعوب الاخرىٰ) علىٰ انفسنا .

استمع الشيخ الىٰ كلام حسن ثم تنهّد وقال : بني حسن ، كلما سمعت مثل هذا الكلام يصدر عن اخواني المسلمين وهم يرون انفسهم في مرتبة دون تلك الشعوب الاوروبية المغرورة ويرونهم معلموهم في كل شيء ، اتأثر كثيراً ، بني ، كلامك حول اوروبا وتعليمها للمسلمين ، شبيه بأن تأتي مجموعة من السارقين ، فيسرقون كل ما تملك من اموال ، ثم يعطونك جزءاً يسيراً جداً منها ـ لأغراض في انفسهم ـ فتشكرهم وتنظر اليهم كأولياء نعمتك وتكون ممتناً لهم علىٰ الدوام ، في حين انها اموالك التي سرقوها منك وهي اتعابك واتعاب آباءك السابقين !!

اصدقائي الاعزاء !

يجب ان نقول وللأسف الشديد : آه من جهل وعدم معرفة بعض المسلمين ، آه .. لكل هذا الشقاء وهذه التعاسة !

اصدقائي ، معلموا البشرية هم المسلمون وليسوا الاوروبيون ! وهم مدانون لنا في العلم ، لا ان نكون نحن الممتنين لهم ! ولقب « الاستاذ » جدير بنا ، لا الاوروبيون والشعوب الغربية ! ومنجزاتهم العلمية التي ادت الىٰ جميع هذه الصناعات والاكتشافات ، مصدرها نحن! علماء الغرب يعترفون : « المسلمون اساتذتنا »

الدكتور : ايها الشيخ لقد ادعيت امراً كبيراً، لا اتصوّر انك تقوىٰ علىٰ اثباته !

الشيخ : سعادة الدكتور ! هناك العديد من حقائق الوجود لم تكونوا تتصورونها من قبل ، ومن أجل ان لا يكون كلامي اعتباطاً ، سأنقل لكم في البداية أقوال بعض علماء اوروبا في هذا الصدد ، ثم سأثبت لكم ـ بحول اللّٰه وقوته ـ ان الاوروبيين كانوا تلامذة المسلمين في كل واحدة من العلوم وانهم اخذوها منا ، حسب اعتراف علماءهم الكبار .

واليكم نصوص من تلك الاعترافات :

١ ـ يقول العالم الفرنسي المعروف ، ليبري [١] :

« لو لم يظهر الاسلام والمسلمين في التاريخ لتأخّرت النهضة العلمية الاوروبية قرون عديدة » .

٢ ـ ويقول الكاتب الانجليزي الكبير ، برناردشو [٢] :

---

(١) Libre.

(٢) Birnazd Shaw.

« تقدم وتطور العلم والفلسفة ، في جميع انحاء العالم هو من عمل المسلمين » .

٣ ـ ويقول الفيلسوف المعروف ، ديكارت[١] مؤسس الفلسفة الحديثة :

« جوب الفرنسي، الذي يعدُ من اشهر علماء اوروبا ، اخذ العلم في الاندلس من المسلمين » .

٤ ـ ويقول الدكتور غوستاف لوبون ، حول « روسن مارتن » الذي لم يبخل منزلة المسلمين وخدماتهم في مجال العلم: «مستبعد أن يتجاهل شخص مثل روسن مارتن خدمات المسلمين وحقهم العلمي علينا نحن الشعوب الاوروبية » .

٥ ـ ويقول ارنست رينان[٢] الفيلسوف الفرنسي المعروف :

« ان كل ما يمتكله البرت الكبير كان قد أخذه عن العالم المسلم ابن سينا ، كما ان القديس ثوماس اخذ فلسفته عن الفيلسوف المسلم ابن رشد الاندلسي أيضاً » .

٦ ـ ويقول المؤرخ الفرنسي المعروف ، السيد سديو[٣] :

« التقدم والتطور الحضاري الاوروبي المعاصر سببه العلوم التي نشرها المسلمون في شتىٰ انحاء العالم من شرقها الىٰ غربها ، ولابد من الاعتراف بهذه الحقيقة وهي ان المسلمين اساتذة شعوب اوروبا الأوّلين » .

---

(١) Discartes.

(٢) E. Renan.

(٣) Mr. Sidilot.

٧ ـ ويقول العالم الانجليزي المعروف ، بوغولد :

« كانت الجامعات الاسلامية في بغداد والاندلس تستقبل الطلبة الاجانب من اليهود والنصارى ، وكانت تدفع تكاليف الدراسة من خزانة الحكومة ، كما كانت تحترمهم كثيراً ، ولقد استفاد مئات الشبان الاوروبيين من هذه الحرية والمساعدة الاسلامية وكانوا يدرسون مختلف العلوم والمعارف في تلك المراكز العلمية » .

٨ ـ ويقول بوغيزجيفاي :

« لقد أوجد المسلمون مراكز الثقافة رسمياً في القرون الوسطىٰ ، وأسّسوا الجامعات، وكان كل اوروبي يدخل الجامعات الاسلامية ، يفتخر بين اقرانه ويكون مرفوع الرأس في عشيرته واسرته ، وكانوا يعتبرونه عظيماً وعالماً » .

٩ ـ ويقول القس الفرنسي المعروف ، راموزار سيلوستر :

« في ذلك العصر الذي سطع فيه شعاع الاسلام من بغداد (في الشرق) وغرناطة (في الغرب) ، كان الاوروبيون يغطون في سبات عميق ، وبعده فترة طويلة ظهرت مجموعة صغيرة منهم اتجهت نحن المراكز العلمية الاسلامية وبدأوا يحتلون جامعات الاندلس (دولة المسلمين في اوروبا) » .

١٠ ـ ويقول المؤرخ الاميركي، درابر :

« كانت للمسلمين باع طويلة في جميع العلوم القديمة منها والحديثة ، وكانت لهم مهارة خاصة في الميكانيك والديناميك والايذوستاتيك، وفي مسائل علم الفيزياء، وعلم الكيمياء في مباحث التقطير والتصعيد والتذويب

والتصفية ، وكانت الجامعات الاسلامية تـدرس جـميع العـلوم مـن الفـيزياء والكيمياء والهيئة ، حتىٰ الزراعة والاسعافات واخلاق الفلاسفة الكـبار ، ولم تشاهد جامعة مثل الجامعات الاسلامية فيها ستة آلاف طالب ».

١١ ـ ويقول المؤرخ الفرنسي الشهير « سـديلو » فـي كـتاب « تـاريخ العرب » :

« كان المسلمون في القرون الوسطىٰ ، القـمّة فـي الفـلسفة ومـختلف الفنون ، واين ما وطئت اقدامهم ارضاً نشروا فيها العلم ، حتىٰ وصلت علومهم الىٰ اوروبا وادت الىٰ النهضه العلمية الاوروبية»[١].

١٢ ـ ويقول « جوزيف ماك كاب » :

« لا يوجد في التاريخ شعب وقدم يهتم بالعلم والمعرفة للحد الذي سيطر حب العلم والفن علىٰ جميع طبقاته ، إلّا المسلمين »[٢].

١٣ ـ ويقول « رنبورت » :

لا بدّ من الاعتراف ان العلوم الطبيعية والفلكية والفـلسفة والريـاضيات التي احيت اوروبا في القرن العاشر ، كانت مأخوذة من القرآن ، بل اوروبا مدينة بكامل نهضتها للاسلام »[٣].

١٤ ـ ويقول جورجي زيدان :

---

(١) روح الدين الاسلامي.

(٢) عظمة المسلمين في اسبانيا.

(٣) نور دانش ، سنة ١٩٥٨ (بالفارسية).

« اينما حكم الاسلام ، تقدم العلم والادب بسرعة »[1].

١٥ ـ وفي مكان آخر يقول المؤرخ الاميركي « درابر » ، استاذ جامعة نيويورك :

«اذا اردنا كتابة آثار نهضة المسلمين العلمية ، سنخرج من اطار كتاب ـ نزاع العلم والدين ـ ولكن يكفي ان نعلم ان المسلمين تقدّموا وترقّوا كثيراً في العلوم القديمة التي كانت موجودة قبلهم ، كما انّهم أوجدوا علوماً جديدة لم تكن في السابق ، واكتشفوا وسائل عديدة في الكيمياء وغيرها من العلوم ، ولهذا اعتبروهم مؤسسوا علم الكيمياء .

وفي ذلك العصر كانت الجامعات الاسلامية مفتوحة بوجه عامة المسلمين وعلماء اوروبا ، وكان الامراء والسلاطين يتجهون نحو الدول والبلدان الاسلامية للعلاج »[2].

١٦ ـ ويقول « دالامبر » في كتابه « الهيئة » : « لم تكن خدمات المسلمين تقتصر في ابحاثهم واكتشافاتهم وتقدمهم العلمي فقط ، بل انهم نفخوا في العلم روحاً خاصة ، ونشروه في ارجاء العالم من خلال الكتب التي ألّفوها والجامعات التي اسسوها ، وبهذا الشكل احسنوا الىٰ العالم واوروبا ، حيث يمكن القول ان المسلمين كانوا اساتذة الاوروبيين في العلوم والفنون علىٰ مدىٰ قرون »[3].

---

(١) تاريخ الحضارة الاسلامية .

(٢) روح الدين الاسلامي .

(٣) العالم الاسلامي .

١٧ ـ ويقول كريستو ف كولومبس[١] مكتشف القارة الاميركية :

«لقد استفدت في الوصول الىٰ هدفي السامي وهو كشف طريق الهند من كتاب العالم ابن رشد الاندلسي ، حتىٰ استطعت في النهاية ان اكتشف جزيرة امريكا».

١٨ ـ ويقول أي . دي . همبلت، أحد كبار علماء اوروبا :

«يجب ان نعتبر المسلمين هم المؤسسون الحقيقيّون للعلوم الطبيعية»[٢].

اصدقائي الاعزاء !

هذه نماذج من اعترافات كبار علماء اوروبا في تـقدم المسـلمين فـي مختلف العلوم، وكونهم اساتذة اوروبا وسائر الشعوب في العالم .

وبعد ذلك سأبدأ بحثي حول التطور العـلمي للـمسلمين فـي مـجالات العلوم الحديثة ، وسأورد لكم في ذلك ادلة قاطعة :

(١) Christopher Columbes.

(٢) صورة الاسلام .

تقدم المسلمين في مجال الطب

يقول المستشرق الفرنسي الكبير الدكتور غوستاف لوبون والذي يحمل شهادة دكتوراه في الطب والطبيعيات والاجتماع : « الطب أيضاً مثل الهيئة والرياضيات والكيمياء من العلوم التي كانت للمسلمين اكتشافات ودراسات فيها ، وقد توصلوا الىٰ نتائج مهمة فيه ، وكتب الطب العربية لم تفقد مثل سائر تصانيفهم لأنها ترجمت الىٰ اللاتينية .

ومن اشهر اطباء المسلمين محمد بن زكريا الرازي الذي يعد من علماء الكيمياء أيضاً ، كان الرازي يعلم الطب في بغداد لفترة خمسين سنة ، وقد كتب مصنفات عديدة في التاريخ والكيمياء والطب ، وله مؤلفات في الحمىٰ البثورية ، مثل الحصبة وامثالها ، ويعد كتابه « علاج الاطفال » اول كتاب في هذا المجال ، ففيه معالجات حديثة مثل استخدام الماء البارد في تخفيض درجة الحرارة (الحمىٰ) والذي لا يزال يستخدم في الطب الاوروبي الحديث ، واستخدام الكحول للجروح والحجامة للسكتة وأمثالها .

واشهر كتاب للرازي في الطب هو « الكبير »، وهو يحتوي على جميع المسائل الطبية وله كتاب آخر في الطب يسمى «المنصورية» والذي كتبه باسم الخليفة المنصور ، ويتضمن عشرة أبواب :

الأوّل : في التشريح (الفسيولوجيا).

الثاني : في الامزجة .

الثالث : في الاغذية والادوية .

الرابع : في الحفاظ علىٰ الصحة .

الخامس : في الأدوية التي تزيّن الجسم.

السادس : في لوازم حفظ الصحة خلال السفر .

السابع : في الجراحة .

الثامن : في السموم.

التاسع : في امراض الكلية .

العاشر : في انواع الحمّىٰ .

وأغلب كتب الرازي مترجمة الىٰ اللاتينية ومطبوعة أكثر من مرّة ، خاصة انها طبعت في فينيسيا (البندقية)[1] سنة ١٥٠٩ ميلادية ، وفي باريس سنة ١٥٢٨ ، وكتابه حول الحصبة طبع مرتان باللاتينية سنة ١٧٤٥ ميلادية .

وبقيت كتب الرازي في الطب تدرس لفترة طويلة في الكليات الطبية الاوروبية ، وفي لوفين [2] كانت كتب الرازي وكتب ابن سينا في الطب تدرس حتىٰ القرن السابع عشر (اي الىٰ ما قبل ثلاثة قرون) .

ومن علماءالمسلمينالآخرين في الطب « علي بن العباس » الذي كتب العديد من المصنفات في هذا المجال وانتقد فيها عبارات هيبوكرات

---

(١) Vines.

٢ - Lovin

وجالينوس واوري باز وبول دوجين ، واثبت خطأهم .

ومن اشهر علماء المسلمين في هذا المجال هو الشيخ الرئيس ابو علي بن سينا ، الذي استمرت آراءه ومصنفاته الطبية علىٰ قوتها لفترة طويلة جداً ، بحيث سميّ «ملك الاطباء » ، وقد ترجمت كتب ابن سينا الىٰ جميع لغات العالم ، وكانت تعد الاساس والمبنىٰ في الطب علىٰ مدىٰ ستة قرون خاصة في جامعات فرنسا وايطاليا التي اعتمدتها كمناهج دراسية ، وقد اعيد طبعها في القرن الثامن عشر (قبل قرنين) مرتان ، ولم يمض علىٰ حذفها من مناهج الجامعات الفرنسية والايطالية اكثر من خمسين سنة فقط .

ومن اطباء المسلمين « ابو مروان عبد الملك بن زهرة » من علماء القرن الثاني عشر في اشبيلية ، ورغم ان شهرته ليست بمستوىٰ سائر اطباء المسلمين ، إلّا ان له مكانة رفيعة في الطب ، وقد قام باصلاحات عديدة في العلاج ، واثبت ان للطبيعة تأثير بالغ في جميع افعال واعمال الجسم ، وبشكل عام كان يرىٰ امكانية دفع الامراض دون الحاجة الىٰ دواء ، واستطاع ابن زهرة خلافاً لما كان سائداً في ذلك الغصر ، الجمع بين الجراحة والعلاج وخواص الأدوية وله أُسس وأحكام صائبة لا يمكن الشك فيها حول الكسر والخلع الذي يحدث في العظام .

أمّا الطبيب المسلم الآخر ، فهو «ابن رشد» الذي ولد سنة ١١٢٦ في قرطبة ، وتوفي فيسنة ١١٨٨ م ، ورغم مؤلفاته في الطب الاّ ان شهرته كانت في الفلسفة ، ولابن رشد شرح علىٰ الكتاب ابن سينا في الطب ، وله مؤلفات في الترياق والسمّيّات وأقسام الحمّىٰ والامراض الأُخرىٰ ، وقد طبعت كتبه

الطبية في اوروبا عدة مرّات بعد ان ترجمت الىٰ اللاتينية[1].

يقول الدكتور غوستاف لوبون:

« لقد ترجمت كتب ابن سينا في الطب الىٰ جميع لغات العالم، وبقيت الاساس والمبنىٰ في الطب علىٰ مدىٰ ستمائة سنة »[2].

ويقول جورجي زيدان:

« الطب الاسلامي، هو خلاصة ذلك العلم عند الشعوب المتحضرة آنذاك حتىٰ زمن ظهور الاسلام، وقد قام المسلمون بجمع الطب الايراني واليوناني والكلداني والهندي ... واضافوا عليه اشياء كثيرة وانتقدوه في الكثير من الاشياء »[3].

تغيير المناخ في الطب الاسلامي

يقول الدكتور غوستاف لوبون:

« كان الاطباء المسلمون مطلعين علىٰ فوائد المناخ بشكل تام، للحد الذي يوصي ابن رشد في شرحه لكتاب ابن سينا في الطب، بتغيير الجو (المناخ) لعلاج المصاب بالسلّ، فيقول: في فصل الشتاء تعد ارض الحجاز والحبشة مفيدة لعلاج هذا المرض، كما ان اطباء اوروبا يرسلون المصابين بهذا

---

(١) حضارة الاسلام والعرب.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تاريخ الحضارة الاسلامية.

المرض الىٰ سواحل النيل والحبشة في الغالب[1].

الحفاظ علىٰ الصحة في طب المسلمين وطب الاوروبيين

وأيضاً يقول الدكتور غوستاف لوبون في كتابه حضارة الاسلام والعرب:
«كان المسلمون ملمون بقواعد الحفاظ علىٰ الصحة بشكل تام، وملتفتون الىٰ أنّ الانسان يستطيع بهذا الطريق وقاية نفسه من الامراض الخطرة، وعاداتهم في هذا المجال جديرة بالاهتمام، والاحكام الواردة في القرآن من قبيل الوضوء والغسل وتحريم المسكرات، وتفضيل المأكولات النباتية علىٰ الحيوانية، على مستوىٰ رفيع من الحكمة والفائدة، والاحكام والتعاليم التي جاءت علىٰ لسان النبي ﷺ وجميعها غير قابلة للاعتراض ـ فيما يتعلق بالحفاظ علىٰ الصحة جاءت جميعها علىٰ شكل كلمات قصار، يستطيع كل انسان حفظها.

ففي مدرسة سالرن[2] الطبية شرحت تلك الاصول بشكل مختصر، وطبيعي فإن شهرة هذا المركز الطبي في اوروبا تعود الىٰ المسلمين فقط، فعندما أخرج القادة [الاوروبيون] العرب من جزيرة صقلية وايطاليا بعد احتلالها، حافظوا علىٰ مدرسة سالرن قبل سائر المؤسسات والمرافق التي شيدها المسلمون، ونصّبوا شخصاً من قرطاجة كان يدعىٰ بـ« قسطنطين الافريقي » رئيساً لها، وقد قام هذا الشخص بترجمة التصانيف الطبية من

(١) حضارة الاسلام والعرب.
(٢) منطقة في جنوب ايطاليا.

العربية الىٰ اللاتينية ، كما ان التعاليم التي نشرها ادت الىٰ اشتهار مدرسة سالرن الطبية في اوروبا .

ويقدم اطباء المسلمين قواعد الحفاظ علىٰ الصحة علىٰ غيرها من العلاجات ، ويسعون للاستفادة من الطبيعة بشكل أكثر ، ومسألة الامساك والحذر التي هي من أحدث تعاليم الطب الاوروبي مبنية علىٰ هذا الاساس ، وعلىٰ هذا الاساس فالخسائر التي يقدمها اطباء اوروبا اليوم اثناء العلاج حالياً اكثر من خسائر اطباء الاسلام في القرن العاشر الميلادي »[١] .

تقدم المسلمين في الصيدلة

يقول الدكتور غوستاف لوبون في كتاب حضارة الاسلام والعرب :

يعترف علماء اوروبا ان علم الصيدلة من العلوم التي أسسها المسلمون .

ويضيف الدكتور لوبون :

لقد اكتشف المسلمون طرق حديثة في العلاج منها في حمىٰ التيفوئيد ، فقد استخدموا الماء البارد ، والتي عادت إليها اوروبا اليوم بعد فترة طويلة من الزمن ، وقد أضاف المسلمون في «قرابادين »[٢] أدوية كثيرة مثل : السنا والفلوس ، والتمر الهندي ، والكافور والكحول و... ، كما أنهم يعدّون مبدعي صناعة الأدوية وتركيبها وقد بقيت تركيباتهم مستخدمة

---

(١) فليقرأ بتمعّن من خطفت ابصارهم اضواء حضارة الغرب .

(٢) قرابادين ، لفظة يونانية تعني معرفة خواص الادوية والاعشاب الطبية .

حتىٰ عصرنا الحاضر ، وايضاً اكتشفوا المراهم واقسام الزيوت والمشمعات واللعوقات .

أمّا الطرق الخاصة التي اكتشفها المسلمون في العلاج فانها تستخدم نفسها اليوم بعنوان اكتشافات جديدة في الطب[1] مثل التداوي بالحشائش والنباتات أو ما يعرف اليوم بطب الاعشاب .

لقد كان ابن زهرة يعالج حالة الامساك بواسطة نوع من العنب تسقىٰ شجرته بمادة خاصة لاستخدامه كمليّن[2] ، وفي هذا الصدد يقول أي . دي . همبلت :

«وكان المسلمون هم الذين اكتشفوا استخراج المواد الطبية ، بالطرق العلمية »[3] .

ويقول جورجي زيدان :

«ان علم الصيدلة الذي نجده في النهضة الاوروبية الاخيرة ، اسسه المسلمون وهم الذين قاموا باستخراج وتركيب الادوية واقاموا صيدليات علىٰ الطراز الذي نجده اليوم ، ومن الادلة التي تثبت ذلك ، الاسماء العربية والهندية والفارسية لبعض الادوية والاعشاب التي وصفها المسلمون ولا زال الاوروبيون يستخدمونها»[4] .

---

(١) فليتأمل المبهورون بالشعوب الاوروبية هذه العبارة ملياً .

(٢) حضارة الاسلام والعرب .

(٣) صورة الاسلام .

(٤) تاريخ الحضارة الاسلامية .

التقدم الجراحي عند المسلمين

يقول الدكتور غوستاف لوبون:

«يعد المسلمون مؤسسوا علم الجراحة، وحتىٰ الآونة الاخيرة كانت المدارس الطبية الاوروبية تدار علىٰ اساسها، ففي القرن الحادي عشر الميلادي، كان الجراحون المسلمون يقومون بانزال أو اخراج الجلدية[1] لاخراج الماء من العين.

وفيما يتعلّق بتكسير حصى المثانة يقدم البقاسيس وهو من الجرّاحين المسلمين شرحاً مفصلاً، كما أن استعمال الماء البارد في نزيف الدم، واستعمال المساحيق والكيّ بالنار في الجروح وغيرها كان شائعاً تماماً بين الجراحين المسلمين.

وان استخدام المخدر الذي يعد من الاكتشافات الحديثة جداً لم يكن غريباً عن المسلمين، قد صرحوا علىٰ تخدير المريض بـ« بذر البنج » في العمليات الجراحية الخطرة، لكي يفقد المريض كامل حسّه وحركته وينام.

واخترع أحد أكبر الجراحين المسلمين في قرطبة وهو البقاسيس الشيخ أبو القاسم الزهراوي، العديد من ادوات الجراحة شخصياً، كما انه بحث في تكسير حصىٰ المثانة مفصلاً، والذي نعتبره ـ خطأً ـ من العمليات الحديثة في الطب، واشتهر اسم الشيخ ابو القاسم الزهراوي، الجراح المسلم، في القرن

---

(١) الجلدية هي عدسة العين (العدسية).

الخامس عشر الميلادي في اوروبا[١].

ويقول العالم الاوروبي المعروف، هالر[٢]:

«جميع الجراحون الذين ظهروا في اوروبا بعد القرن العاشر، كانت كتب البقاسيس، الجراح المسلم المشهور، هي مصادرهم العلمية»[٣].

ويقول الدكتور غوستاف لوبون:

«كتب البقاسيس الشيخ ابو القاسم الزهرواي كتاباً مفصلاً في علم الجراحة، يحتوي علىٰ ثلاثين باباً، الاول في الكيّ والثاني في العمليات الجراحية، وكذلك تكلم فيه عن جراحة الاسنان، وجراحة العين وتكسير حصىٰ المثانة، والفتق والانجاب، والثالث في الكسور والخلع، وقد تكلم فيها بالتفصيل وعلىٰ الرغم من ان تقسيماته غير دقيقة، إلّا ان الوصفات والتوجيهات العلمية التي يعطيها صحيحة تماماً، وقد ترجمت كتب البقاسيس الىٰ اللاتينية وطبعت سنة ١٤٩٧ م، وكانت آخر طبعة لها في سنة ١٨٦١[٤].

مستشفيات المسلمين

يقول الدكتور غوستاف لوبون:

---

(١) حضارة الاسلام والعرب.

(٢) Halir.

(٣) حضاره الاسلام والعرب.

(٤) المصدر نفسه.

«كانت مستشفيات المسلمين مبنية علىٰ اساس الحفاظ علىٰ الصحة وكانت افضل من مستشفيات اوروبا الحالية ، لقد كانت واسعة وذات مناخ جيد ، فعندما امر محمد بن زكريا الرازي باختيار افضل مكان من حيث المناخ في بغداد لبناء مستشفىٰ قام باختبارات متعددة ، يقرّها اليوم المختصون بالامراض المسرية .

قام الرازي باختيار نقاط معينة في المدينة ، ثم علق قطعة لحم في كل نقطة مختارة ، بعد ذلك اجاز بناء المستشفىٰ في المكان الذي تأخر تعفن وفساد اللحم الذي علق فيه ، وكانت مستشفيات المسلمين شبيهة بالمستشفيات الحالية ، فيها صالات كبيرة وغرف مخصصة لطلاب العلوم الطبية ، والهدف في ذلك هو اكتساب طلاب العلوم الطبية تجارب عملية من خلال المشاهدة ،وكان اساتذة الطب المسلمين يرغبون الطلاب ويحثونهم علىٰ مشاهدة المرضىٰ ومعالجتهم اكثر من حثهم علىٰ القراءة ، لكن الجامعات الطبية في اوروبا ـ وللأسف ـ تقوم بعكس ذلك»[1] .

ويقول جورجي زيدان :

«كانت مستشفيات المسلمين آنذاك على أتم حالة من النظام والترتيب والادارة ، وكان لكل مرض صالة أو صالات خاصة ، وكان الطب والصيدلة يدرسان في نفس المكان ، فكان لطلاب الطب ، وبالاضافة للدارسة العلمية ، ممارسات عملية أيضاً ، واضافة للمستشفيات العامة ، كانت هناك مستشفيات

---

(١) المصدر نفسه .

سيارة، تنقل بواسطة البغال أو الجمال»[1].

مستشفيات الامراضَ العقلية

يقول الدكتور غوستاف لوبون:

«قام المسلمون بتأسيس مستشفيات خاصة لبعض الامراض، منها الجنون، وكانوا يعملون فيها بجهد لعلاج المصابين بالامراض العقلية[2].

ويقول جورجي زيدان:

«وبالاضافة للمستشفيات العامة، أقام المسلمون مستشفيات خاصة بالامراض العقلية»[3].

صيدليات المسلمين

يقول الدكتور غوستاف لوبون:

«أقام المسلمون ـ مثل اليوم ـ صيدليات مجانية، يراجعها الناس في ايام محددة، وفي المناطق التي لم يكن من الميسر بناء مستشفيات فيها، كانوا يرسلون بالاطباء ومعهم الدواء في اوقات معينة»[4].

---

(١) تاريخ الحضارة الاسلامية.

(٢) حضارة الاسلام والعرب.

(٣) تاريخ الحضارة الاسلامية.

(٤) حضارة الاسلام والعرب.

ويقول جوزيف ماك كاب :

«كانت في بغداد لوحدها ستون صيدلية تدار علىٰ حساب الخليفة»[1].

(١) عظمة المسلمين في اسبانيا.

تقدم المسلمين في الكيمياء

يقول «دلامبر»[1] في كتابه تاريخ علم الهيئة :

« لو كان بين اليونان اثنان أو ثلاثة ممن قاموا بسلسلة ابحاث ودراسات ، فان الكثير من علماء المسلمين لهم هذه الخصوصية ، ولم يكن بين اليونان حتىٰ شخص واحد بحث في الكيمياء بشكل تجريبي في حين ان المئات من المسلمين قاموا بذلك»[2] .

ويقول الدكتور غوستاف لوبون :

« لعلماء المسلمين تصانيف عديدة حول الفلزات والنباتات وتركيباتها والمتحجّرات ».

ثم يضيف :

«والمواد المهمة التي كان علماء الكيمياء اليونان لا يعرفونها ، مثل التيزاب السلطاني والكحول وجوهر الكبريت والتيزاب الفاروق وغيرها ، هي من اكتشافات علماء المسلمين ، كما ان المسلمين كانوا يجرون في ابحاثهم عملية التقطير التي هي من الاعمال الاساسية في علم الكيمياء ، وما يقال من ان

---

(١) Dalamber.

(٢) حضارة الاسلام والعرب .

لا فوازيه[1] هو مؤسس علم الكيمياء، لا بدّ ان نلتفت الىٰ هذه النقطة وهي ليس هناك علم وجد دفعة واحدة، فلو لم تكن مختبرات المسلمين قبل الف سنة واكتشافاتهم المهمة في الكيمياء، لم يكن باستطاعة لافوازيه ان يتقدم خطوة واحدة في الكيمياء القديمة.

ثم يقول الدكتور لوبون:

«ومن اشهر علماء الكيمياء المسلمين، جابر بن حيان[2] وما يفهم من كتبه، انه كان عالماً بخواص الغازات أيضاً، لأنه يقول في أحد كتبه:

لو تركب الغاز مع الجسم يفقد خاصيته وشكله، ويتغير عمّا كان عليه، ولو اردنا فصله عن الجسم، ففي هذه الحالة لربما حدث أمران، الاول: تصاعد الغاز لوحده وانفصاله عن الجسم الذي يعود بدوره الىٰ حالته الاولىٰ ايضاً، والثاني: انعدام الغاز والجسم معاً ودفعة واحدة».

وبعد نقله لذلك الكلام يقول الدكتور لوبون:

«في تصانيف جابر بن حيان هناك ذكر لمواد لم تكن معروفة سابقاً مثل: جوهر الملح، التيزاب السلطاني (نوع من الحوامض)، النشادر، حجر جهنم[3]، الزئبق الاحمر و... غيرها.

ويعد جابر بن حيان اول كيميائي تحدث في كتبه عن عمليات كيميائية

---

(١) Lavoiseer

(٢) من تلامذة الامام الصادق عليه السلام، وقد تحدّثنا عنه بالتفصيل في بحث الفيزياء.

(٣) مادة بلورية قابلة للذوبان في الماء بشكل جيد، وتستخدم كمعقم، فلو لامست الجسد تجعل الجسد اسوداً، وفيما لو بقيت في الجسم تقوم بتدمير الانسجة.

مثل التقطير والتبخير والتبلور والانحلال والتجزئة والتركيب وغيرها»[1].

ويضيف الدكتور لوبون :

«لقد اكتشف المسلمون مجموعة من المواد لها استخدامات كيميائية يومية ، مثل: جوهر الكبريت ، والكحول ، ومن مشاهدة التركيبات الكيميائية المذكورة في كتب العرب الطبية تتضح سعة معلومات المسلمين واساسهم الفكري في علم الكيمياء ، خاصة في مجال الصيدلة وصناعة الادوية ، فانها من مجالاتهم التي لا يرقىٰ اليها احد»[2].

ويقول جورجي زيدان :

«لقد اكتشف المسلمون العديد من التركيبات الكيميائية التي تعد الاساس في اكتشافات الكيمياء الجديدة ، مثل : حامض السلفوريك وحامض النيتروهيدروكلوريك ونترات البوتاس ، وجوهر النشاذر ، وملح النشاذر ، ونترات الهيدروجين وكلوريد السلفوريك وملح الطرطر والزاج الاخضر والكحول والزرنيخ والبوريك والقلىٰ، والمسلمون من أوائل الشعوب التي عرفت التقطير والتصعيد والتذويب والتبلور وتبديل السوائل والانحلال والتجزئة»[3].

ويقول السير ادوارد في كتابه تاريخ الكيمياء :

« في العصر العباسي حدث تطور كبير في الكيمياء عند المسلمين ،

---

(١) حضارة الاسلام والعرب.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تاريخ الحضارة الاسلامية.

فأستخدموا التقطير والتبخير والتصعيد والترشيح ، واكتشفوا لاول مرّة الصوديوم والكاربون وكاربونات البوتاسيوم وكلوريد الامونيوم وسولفات البوتاسيوم والالمنيوم وسولفات الفريك وبرات الصوديوم ونترات الكوايور ومركوريك السالفيد واكروسيوسابلميت »[1] .

---

(١) عظمة المسلمين في اسبانيا .

تقدم المسلمين في الفيزياء

يقول الدكتور غوستاف لوبون :

« ورغم ان اغلب كتب المسلمين في العلوم الطبيعية قد دمرت ، وضاعت ماعدىٰ بعضها مثل كتاب العالم المسلم ابن الهيثم ، في علم المناظر (الفيزياء) والذي يتحدث فيه عن الاشعة المنكسرة والمستقيمة والمنعكسة وعن الصور في المرايا المقعرة ، لكنه ومن خلال مشاهدة هذه التصانيف التي لم يبق منها إلّا القليل يتّضح مدىٰ تقدّم المسلمين في علم الفيزياء »[١] .

ويقول شاسل [٢] احد المتخصصين في الفيزياء :

« ان ما حصلت عليه اوروبا من معلومات في علم المناظر (الفيزياء) مصدره كتاب الحسن بن الهيثم ، العالم الفيزيائي المسلم »[٣] .

ويقول جوزيف ماك كاب :

« يتصور العديد من الاشخاص ان سائر انحاء اوروبا (غير اسبانيا التي كانت تحت حكم المسلمين)كانت لها اكتشافات وابداعات في مجال الفيزياء والعدسات المكبرة ، في أواخر القرن الوسطىٰ استناداً الىٰ ما تحدث عنه خاصة

---

(١) حضارة الاسلام والعرب .

٢ - Shasle

(٣) حضارة الاسلام والعرب .

«روجر بايكون » في كتب العمليات ، لكنه ثبت اليوم ان الاوروبيين في هـذا المجال أيضاً لم يتفوقوا علىٰ المسلمين ، لأن « روجـر بـايكون » الفـيزيائي الاوروبي المعروف ،كان قد اخذ جميع ما ذكره من فيزيائي مسلم مشهور هو « الخازن » ، وقد قام الخازن بأبحاث معمقة وماهرة حـول الجسـم والمـناظر ، وصحّح في ذلك نظريات اليونانيين ووضع اللبنة الاسـاسية والحـقيقية لعـلم المناظر والمرايا (الفيزياء) ، وقد شرح الافق علىٰ اساس انكسار النور وخمّن ارتفاع الجو بشكل جيد وسمىٰ مابعد ذلك بالعالم الاثيري»[1] .

ومن علماء المسلمين الكبار في الفيزياء ، جابر بن حـيان ، الذي عـدّه الدكتور غوستاف لوبون من علماء الكيمياء ، وكان جابربن حيان من تـلامذة الامام الصادق عليه‌السلام .

وقد ذكر ابو الفرج الاصفهاني ١٣٠٠ كتاب لجابر ، كتبها فـي الفـيزياء والكيمياء والهيئة والنجوم والرياضيات وعلوم أُخرىٰ ، وقد اخذ ابن حيان هذه العلوم جميعها عن الامام الصادق عليه‌السلام .

وفي هذا الصدد يقول العلامة الشهيد السيد هبة الدين الشهرستاني :

رأيت بعيني خمسين مجلداً من كتب جابر بن حيان مـخطوطة بـالخط القديم ، يقول في كل موضوع يبحثه : قال لي جعفر عليه‌السلام ، أو يقول : والقىٰ عليّ جعفر عليه‌السلام أو يقول : حدثني مولاي جعفر عليه‌السلام .

وفي رسالة لجابر بعنوان « المنفعة » يقول :

اخذت هذا العلم من سيدي جعفر بن محمد سيد أهل زمانه .

---

(١) عظمة المسلمين في اسبانيا .

ثمّ يضيف العلامة الشهرستاني :

وقد طبع من كتب جابر خمسمائة مجلد، واغلبها موجود في مكتبات برلين وباريس الحكومية .

وقد لقّب جابر من قبل علماء اوروبا بـ« استاذ الحكمة » وهم يـذكرونه باجلال .

وأيضاً يذكر العلامة الشهرستاني :

سمعت مؤخراً ان بعض علماء اوروبـا يـنوون احـداث جـامعة بـاسم جابـر بن حيـان ،تـدرّس فيها ـ فقط ـ كتب جـابـر عـلىٰ يـد كـبـار عـلماء اوروبا .

ويضيف السيد هبة الدين الشهرستاني :

ويعترف علماء اوروبا جـميعهم ان تسـعة عشر عـنصراً مـن العـناصر المكتشفة الىٰ اليوم ، قد اكتشفها جابر بن حيان ، لكنه يقول : ومصدر جميع هذه العناصر هو عنصر واحد قوي وهو الصاعقة والنار ، الذي يـوجد فـي داخـل اصغر ذرة من المادة .

ويعقب العلامة الشهرستاني علىٰ ذلك ، فيقول :

وهذه النقطة التي اشار اليها جابر في عالم الامس المتخلّف كانت مـن معارف الامام الصادق عليه‌السلام ، وهي قريبة مما توصل اليه العلم المعاصر حـول قوة الالكترونات[١] وما تلا ذلك من الاكتشافات في مجال الذرة[٢] .

---

(١) جزء من الذرة يدور حول النواة ويحمل شحنة سالبة .

(٢) الدلائل والمسائل .

تقدم المسلمين في علم الحيوان

يقول الدكتور غوستاف لوبون:

« احد اكبر علماء المسلمين في علم الحيوان هو «القزويني» الذي حاز علىٰ شهرة واسعة ومكانة رفيعة فيه حتىٰ انه سميّ بـ«بلين»[1] اهل الشرق، وفي كتاب القزويني مباحث حول علم الحيوان مطابقة لما ذكره بوفن[2]»[3].

(١) Pline من الكتّاب الرومان المعروفين، وكتابه في علم الحيوان مشهور جداً.

(٢) Bvfon.

(٣) حضارة الاسلام والعرب.

تقدم المسلمين في مجال الصناعة

يقول الدكتور غوستاف لوبون :

« لقد كان تطور المسلمين في مجال الصناعة والفنون بمستوىٰ اقاموا في اشبيلية وحدها في فترة حكمهم الف وستمائة مصنع ، يعمل فيها اكثر من مائة وثلاثين الف عامل ، وفي طليطلة كان هناك خمسين مصنعاً للنسيج والقماش فقط ، وكذلك كانت هناك معامل للاقمشة الحريرية ، وكان فيها اكثر من اربعين الف عامل » .

ثمّ يضيف الدكتور غوستاف لوبون : « لقد بلغ المسلمون في العمليات الخاصة بالفلزات درجة عالية من الكمال والمهارة بشكل لايجاريهم في بعض فنونها حتىٰ اساتذة عصرنا الحاضر ، فكانوا يرصّعون الاسلحة وآلات الحرب والمزهريات بالفضة والاحجار الكريمة بعد تقطيعها واعدادها، وقد بلغوا مرتبة في هذه الفنون اليدوية تجعل اساتذة اليوم عاجزين عن القيام بمثل ما قاموا به رغم الاموال والوقت الكثير الذي يصرفونه والشاهد علىٰ ذلك ، ابريق من البلّور (كريستال) يعود تاريخه الىٰ القرن العاشر الميلادي ، يوجد حالياً في متحف اللوفر[1] (باريس) .

ولقد بدأ عمل ترصيع الحديد والفولاذ من القرن العاشر وبلغ ذروته في القرنين الثاني عشر والثالث عشر .

---

(١) Lauvr.

وبعد ذلك ينقل الدكتور لوبون شرحاً قدمه السيد لافـوا حـول طـريقة العرب (المسلمين) في الترصيع .

تقدم المسلمين في العلوم الرياضية

يقول الدكتور غوستاف لوبون :

« ان تطور العلوم الرياضية علىٰ يد المسلمين وخاصة الجبر والمقابلة بلغ حداً يمكن ان نعتبرهم مؤسسوا هذا العلم » .

ثمّ ينقل الدكتور لوبون مجموعة من القضايا الرياضية المهمة التي لازال علماء الرياضيات يتداولونها وهي من ابتكار المسلمين (١).

ويقول جورج ريوا :

« ان حب المسلمين للرياضيات ، حيّرت الاوروبيين».

ويضيف ريوا :

«ان اهم الاكتشفات الهندسية ، قام بها المسلمون ، ولا يزال الاوروبيون يستخدمون نظام الترقيم العربي في الحساب ، وعملياتهم ـ المسلمون ـ لها أهمية خاصة في الهندسة » (٢).

يقول المستشرق المعروف « البارون كارل روف » :

«المسلمون هم الذين علّموا الناس الاعداد مع انهم لم يكونوا

(١) حضارة الاسلام والعرب .

(٢) صورة الاسلام .

مخترعيها، فأصبحوا مؤسسوا الحساب في الحياة اليومية، وليس هناك شك من انهم مخترعي المثلثات السطحية الكروية التي لم تكن موجودة عند اليونان».

ويقول بيير روسو:

«يُعد جابر بن حيان من مفاخر المسلمين، وهو اول من استبدل ال«Sin» (جيب زاوية) مكان « الوتر » في المثلثات، وهو العمل الذي وضع بنية المثلثات الجديدة »[1].

ويقول السيد شاسل:

« قام المسلمون بأبحاث عديدة في مجال الهندسة الفضائية ـ وهي قسم من الرياضيات ـ لانهم كانوا يتسخدمونها في الهيئة، واضافوا اليها مباحث عديدة واحدثوا فيها اسلوباً جديداً »[2].

خلاصة القول، يعترف علماء الغرب بأن المسلمين هم الذين وضعوا الاصول الاربعة في المثلثات أي؛ (جيب وجيب تمام، وظل وظل تمام). ويقول البروفسور ويلهلم شوايزر، عالم الرياضيات الالماني في كتابه تاريخ المثلثات:

« لأوّل مرّة في القرن التاسع الميلادي وضع المسلمون قوانين واصول وقضايا Tan و Cot (ظل وظل تمام) وكذلك قاموا بوضع جداول في طريقة عملها.

---

١ – تاريخ العلوم.

(٢) حضارة الاسلام والعرب.

واكبر خدمة قدمها المسلمون في الرياضيات ، هو اكتشاف (Sin = جيب) وادلتها ، وان اول من اثبت قضاياها وادلتها هو الفيلسوف المسلم ابو نصر الفارابي .

ويعد نصير الدين الطوسي وهو من كبار فقهاء الشيعة ومن اشهر الفلاسفة والرياضيين ، اول من طرح المثلثات كعلم مستقل ، والمسلمون هم اول من اكتشف ال(Sin = جيب) وابو ريحان البيروني هو العالم المسلم الذي تحدث عنه وشرح قضاياه .

أمّا « رغيومونتانوس» و «يوهاس مولر » فقد استطاعا تأليف كتبا في هذا المجال بعد دراسة مؤلفات نصير الدين الطوسي ، فكان ذلك اساس التكامل ومبنىٰ التقدم في الغرب »[1] .

---

(١) نشرة «نور دانس » السنوية ، لسنة ١٩٦٢ ، (بالفارسية) .

تقدم المسلمين في الهيئة والفلك

يقول الدكتور غوستاف لوبون :

« الهيئة من العلوم التي نشرها المسلمون منذ البداية في بغداد ، وقد بقيت مراكز التعليم العالي المهمة في علم الهيئة ببغداد من سنة ٧٥٠م الىٰ ١٤٥٠ اي علىٰ مدىٰ ٧٠٠ سنة ، ومن هنا يمكن القول : المسلمون هم الذين نشروا الهيئة في جميع بلدان العالم »[١].

ويقول جوزيف ماك كاب :

« كان المسلمون يستخدمون انابيب طويلة لرؤية النجوم ، وكانوا يعتقدون تماماً بكروية الارض ، كما انهم اكتشفوا زاويتي الخسوف والكسوف وقاسوهما ، وبعبارة اخرىٰ ، لقد اكتشف المسلمون كل ما يمكن اكتشافه قبل اختراع التلسكوب ، واستطاعوا صنع افضل واجمل ادوات ووسائل الرصد ، كما صنعوا كرات يبلغ قطر الواحدة منها ثمانية اذرع وان اسطرلاباتهم مشهورة في جميع انحاء اوروبا ... وكتبوا في هذا المجال من الكتب بحيث كان في مكتبة القاهرة لوحدها ستة آلاف كتاب في الهيئة والرياضيات فقط ، اضافة الىٰ كرتين فلكيتين كبيرتين »[٢].

---

(١) حضارة الاسلام والعرب .

(٢) المصدر نفسه .

يقول السيد لالاند :

يعتبر محمد بن جابر التباني ، العالم المسلم ومؤلف كتاب «علم النجوم» الذي ترجم الىٰ اللاتينية أيضاً ، والمعروف في الوسط الاوروبي ، واحداً من عشرين عالم هيئة مشهور في العالم كله »[١].

ويذكر المؤرخ الفرنسي « سديلون » :

«أن بيضوية مدارات الكواكب ، وحركة الارض حول الشمس من المسائل التي اكتشفها علماء المسلمين قبل زمن «كبلر» و «كوبرنيك»[٢]».

يقول البارون :

« لقد بلغ المسلمون في علم الفلك اعلىٰ مدارج العلم في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، ومن علماء المسلمين الذين اشتهروا في اوروبا ، الفلكي «الفرغاني » ويعدّ كتابه في الفلك من المؤلفات الاسلامية الثمينة التي بقيت متداولة في الغرب »[٣].

ويذكر جورجي زيدان :

« اكتشف المسلمون اسلوباً جديداً في المراصد واخترعوا ادوات ووسائل عديدة فيها »[٤].

---

(١) عظمة المسلمين في اسبانيا .

(٢) العالم الاسلامي .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) تاريخ الحضارة الاسلامية .

تقدم المسلمين في الجغرافيا

يذكر الدكتور غوستاف لوبون :

« لقد كان المسلمون شجعان علىٰ الدوام في قيادة السفن والابحار ، ولم يكونوا يخافون طول المسافات وبعدها ، فكانت لهم في اوائل الحكومة الاسلامية علاقات تجارية واسعة مع دول بعيدة مثل الصين وبعض انحاء روسيا ، ومناطق من افريقيا لم تكن معروفة من قبل بالنسبة للاوروبيين » .

بعد ذلك يذكر الدكتور لوبون قصص عديدة عن الاسفار التي قام بها المسلمون عن طريق البحر ، منها ما ينقله عن احد التجار العرب والذي يدعىٰ «سليمان » ، فيقول :

«لقد نشر سليمان مذكرات سفره ، وان هذا الكتاب هو اول كتاب يصدرفي اوروبا ويتحدث عن الصين ، وترجم هذا الكتاب الىٰ الفرنسية أيضاً في بدايات هذا القرن » .

وبعد ، يضيف الدكتور لوبون :

ابن حوقل، أحد كبار علماء المسلمين الجغرافيين، يقول في كتابه: «لقد شرحت في هذا الكتاب كل شيء، وبينت فيه جميع الدول وحدود البلاد الاسلامية ، والحقت به خارطة لكل بلد تبيّن مختلف مناطقه ، من مدن وقصبات وشطوط وانهار وبحار ومحاصيل زراعية، والطرق ومسافة ذلك البلد

عن البلدان التي تجاوره واهم بضائعه التي يستوردها او يصدرها ، وكل ما يحبّذه السلاطين والامراء أو سائر الاشخاص من أُمور في علم الجغرافيا ، فجميع ذلك اوردته في هذاالكتاب » .

ثم يذكر الدكتور لوبون اسماء مجموعة من علماء المسلمين الذين عملوا في مجال الجغرافيا ، منهم ابو ريحان البيروني ، وابن بطوطة وابو الحسن ، ويضيف :

« وقد تقدّم المسلمون كثيراً في الجغرافيا وسبب ذلك يعود الىٰ امرين ، الاول ، الاسفار التي قاموا بها وجولاتهم السياحية ، والثاني المعلومات التي كانوا يملكونها عن علم الهيئة »[1] .

ويقول السويسري ، جورج ريفار :

« اقدم كتاب جغرافي للمسلمين ، هو كتاب « انهار البصرة » الذي صدر سنة ٧٤٠ م وهو موجود حالياً في مكتبة باريس الحكومية ، وبعد ذلك كتاب «الاستخري وسليمان » وكاتبه احد التجار المسلمين الذين سافروا الى الهند والصين ويعود تاريخ تأليفه الىٰ القرن التاسع الميلادي ، وقد ترجم سنة ١٨٥٤ م الىٰ الفرنسية في مجلّدين على يد السيد رينو ونشر في اوروبا »[2] .

ويضيف ريفار قائلاً :

« للأعمال التي قام بها العلماء المسلمون تأثير في اكتشاف امريكا ،

---

(١) حضارة الاسلام والعرب .

(٢) صورة الاسلام .

وهناك رسالة من كريستوف كـولومبس ، يـعود تـاريخها الىٰ تشـرين الاول (اكتوبر) ١٤٩٨ م يذكر فيها اسم « أبو الفوارس » احد الجغرافيين المسلمين ، من جـملة الكـتّاب الذيـن تـوقعوا وجـود عـالم جـديد (اي؛ الامـريكيتان واستراليا) »[١].

ويقول الدكتور ب فود وارد:

« لقد تحدّث أبو علي ابن سينا عن طبقات الارض وتكوّنها كدليل علىٰ انجماد الارض في عصور متمادية »[٢].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) عظمة المسلمين في اسبانيا.

تقدم المسلمين في الصناعات الجميلة

يقول الدكتور غوستاف لوبون :

« من خلال مشاهدة عامة للمساجد والمراكز العلمية ودور استراحة المسافرين يتضح ان التدين والتحضر قد امتزجا في الاسلام بحيث لا يمكن فصل احدهما عن الآخر .

ويمكن معرفة قريحة أي شعب ما وأية أُمّة من خلال الاقتباسات التي تقوم بها ، والتغيرات السريعة ، التي تقوم بها في تلك المقتبسات حسب متطلباتها ، فتجعلها علىٰ صبغتها وتضفي عليها طابعها ، فتكون قد ابتكرت شيئاً جديداً ، وعلىٰ ضوء الادلة التي نمتلكها فليس هناك أُمّة استطاعت ان تفوق المسلمين في هذاالأمر وتتقدّم عليهم ، فمن خلال مشاهدة ابنيتهم وعماراتهم يمكن معرفة قوة ابداعهم واختراعهم وافضل مثال علىٰ ذلك ، مسجدقرطبة في الاندلس ، الذي استفيد في بنائه من معماريين محليين ، لكنهم في نفس الوقت امروهم بادخال طراز جديد وبديع ، منها ما شاهده المسلمون من قصر اعمدة المعابد القديمة في قرطبة بحيث ان البناء الذي يأتي عليها ، يكون غير مناسب لها من حيث الحجم ، لذلك أمروا المعماريين أن يصنعوا عمودين (لزيادة الارتفاع) ومن ثم تغطية مفاصل هذه الاعمدة بنقوش ومواد زينة ، لكي يراها

المشاهد واحدة »[1].

ثمّ يذكر الدكتور لوبون امثلة عديدة على جمال اعمال المسلمين في العمارات والابنية التي شيدوها في اوروبا.

(١) حضارة الاسلام والعرب.

تقدم المسلمين في مجال الفنون[1]

يقول الدكتور غوستاف لوبون :

« كان عمل المسلمين في ميدان الفنون مصحوباً بأبحاث علمية ، ومن خلال تلك المعلومات العلمية نشاهد تلك الابداعات في نتاجاتهم الفنية ، ورغم عدم وصول شيء من كتب العرب ومصنفاتهم في الفنون والمهن الينا ، لكن نتاجات تلك العلوم التي دونوها موجودة ، لقد شاهدنا مهاراتهم في استخراج معادن ، مثل : الذهب والحديد والنحاس والكبريت والزئبق ، وكذلك في صناعة الاصباغ ، ومن سيوف طليطلة يتّضح المستوىٰ الذي بلغه المسلمون في هذا المجال .

أمّا منسوجاتهم واسلحتهم وجلودهم وورقهم فهي من المنتوجات المشهورة في العالم ، وفي العديد من الامور لم يستطع الاوروبيون التفوق عليهم » .

كما ان أوّل مدفعية استخدمت في العالم ، كانت علىٰ يد المسلمين .

وخدمات المسلمين لا تنحصر بتطويرهم للعلوم من خلال البحث والاكتشاف ،وضخ روح خاصة فيه ، بل تشمل ايضاً امراً هاماً جداً ، وهو

---

(١) المقصود بالفنانين ، هم اصحاب المشاغل والحرف الدقيقة والظريفة ، وليس ما يسمونه بالفنانين وهم الراقصون والراقصات و...!!

تدوين وتأليف الكثير من الكتب وتأسيس مدارس عالية لنشره في جميع ارجاء العالم، وبهذا الشكل احسنوا الىٰ العلوم الاوروبية الىٰ حدّ لا يمكن تصوره»[1].

(١) حضارة الاسلام والعرب.

تقدم المسلمين في صناعات الاخشاب والعاج

يقول الدكتور غوستاف لوبون :

« ومن الصناعات التي طورها المسلمون هي ترصيع الخشب او العاج والصدف ، وقد تركوا لنا آثار عديدة من ابواب جميلة في المساجد القديمة ، والمنابر المرصعة بالاحجار الكريمة ، والسقوف المزينة بالمرايا والكاشي والشبابيك المصنوعة علىٰ شكل زخارف واشكال هندسية متنوعة ، حيث لا يمكن صنع مثيلات لها اليوم الآّ بصرف مبالغ طائلة » .

وكان المسلمون ماهرين في الحك علىٰ العاج ايضاً ، والشاهد علىٰ ذلك منضدة كنيسة القديس ايزديلون[1] والصندوق الصغير الذي صنعوه في القرن الحادي‌عشر لملك اشبيلية ، وكذلك محفظة عاجية تعود لكنيسة بايفا[2] صنعت في‌القرن الثاني عشر والظاهر ان الاوروبيين جاؤا بها من مصر في زمن الحروب الصليبية ، والمحفظة المذكورة مطلية ومنقوش عليها بالفضة والذهب وعليها صور لانواع الطيور خاصة الطاووس ، ويلاحظ في صناعات المسلمين في الاخشاب والعاج والاحجار الكريمة امراً غريباً ، وهو انهم يستخدمون ادوات خشنة وقاسية في‌اعمال ظريفة ودقيقة ، وهذا دليل على فطنتهم وذوقهم الفني ، ومع ان ادوات الزينة والمرصعات الموجودة حالياً في القاهرة

---

(١) Saint Isedeleon.

(٢) Baeva.

أو دمشق لا يمكن مقارنتها بما كان في عصر الخلفاء المسلمين ، لكنه يمكننا القول انه لا يوجد في اوروبا اليوم مَن يستطيع عمل شيء من أباريق أو أساور أو تخوت مرصعة ومنقوشة ومزينة، بأدوات قديمة لا تزال تستخدم في بلدان الشرق»[1].

(١) حضارة الاسلام والعرب .

تقدم المسلمين في صناعة الكاشي

يقول الدكتور غوستاف لوبون :

« لقد تقدم المسلمون في صناعة الكاشي ـ مثل العمران ـ خطوات كبيرة ، والصناعة التي تعلموها من اقوام اخرىٰ طوروها بشكل لم يستطع احدمجاراتهم فيها ، وفي بدايات القرن العاشر الميلادي شرع المسلمون باستعمال الكاشي المزّين والمرصّع بمادة المينا وقد احدثوا لهذا الامر مصانعاً كانت تصدر منتوجاتها الىٰ جميع انحاءالعالم ، فالكاشي المزين بالمينا والمصنوع في القرن الثالث عشر استخدم بشكل ليس له مثيل في قصر الحمراء ، وكان ذلك الكاشي برّاقاً مثل الكاشي الذي صنع فيما بعد في ايطاليا وعرف باسم «مجالكا» ولفظة مجالكا مشتقة من ميورقة[1] وهي اسم واحدة من اكبر مصانع الكاشي التي شيّدها المسلمون ، وهذا دليل علىٰ ان الايطاليين اخذوا هذا الفن من المسلمين .

ومن أعظم آثار المسلمين في فن الكاشي أو السيراميك ، سندانة الورد المعروفة في قصر الحمراء ، ويبلغ ارتفاع هذه السندانة متر ونصف المتر ، ولونها أبيض يميل الىٰ الصفار نقشت عليها شجيرات ورد زرقاء ، بالاضافة الىٰ نقوش أُخرىٰ وصوراً لحيوانات غريبة ، منها واحدة تشبه الغزال ، وهي قمة في الابداع مثل سائر ابداعات المسلمين »[2] .

---

(١) جزيرة في الجانب الشرقي .

(٢) حضارة الاسلام والعرب .

اختراع المسلمين للورق القطني

يقول الدكتور غوستاف لوبون :

« كانت كتابات الاوروبيين الىٰ فترة من القرون الوسطىٰ تتم علىٰ الجلود ، وكانت قيمته الباهضة تحول دون انتشار الكتب واشاعتها ، بالاضافة الىٰ انها وبعد فترة اصبحت نادرة ويصعب الحصول عليها ، فقام جماعة من الرهبان الروم واليونان بجمع التصانيف القديمة والضخمة جداً ، فكانوا يحكون احرفها وكلماتها ويكتبون عليها من جديد مسائلهم الدينية ، ولو لم يخترع المسلمون الورق لأتىٰ الرهبان علىٰ جميع تلك الكتب القديمة التي كانت في حوزتهم ، واختراع المسلمين هذا قدم خدمة جليلة لعالم العلم ».

لقد وجد كاسيري[1] كتاباً من الورق في مكتبة ايسكيريال[2] كتب في سنة ١٠٠٩ م ويُعد من أقدم النسخ الخطية في مكتبات اوروبا ، ويتّضح من ذلك ان المسلمين استخدموا الورق بدل الجلود قبل الآخرين .

وفي مقابل القائلين بأن الصينيين هم الذين اخترعوا الورق الحريري ، وبعد اعترافه بذلك ، يقول :

« لم يكن الورق المصنوع من الحرير ذا فائدة لاوروبا آنذاك ، لأنـه لم

---

(١) Casierie.

(٢) Eskerial.

يكن هناك حرير في اوروبا ،بل كان هناك قطن ، والمسلمون هم الذين اخترعوا الورق المصنوع من القطن ، وبهذا تكون اوروبا مدينة لهم في علمها ، كما يتّضح من كتب المسلمين القديمة ، انهم طوّروا هذا الفن حتىٰ اعلىٰ درجاته ، فلم يصنع احد افضل من الورق الذي صنعوه ، ويشهد لهم التاريخ بأنهم صنعوا الورق حتىٰ من الملابس البالية علىٰ الرغم من صعوبة ذلك، والاعمال العديدة التي يتطلبها والتي لم يكن يقوىٰ علىٰ مثلها إلّا المسلمون »[١].

(١) حضارة الاسلام والعرب .

تقدم المسلمين في علم الميكانيك

يذكر الدكتور غوستاف لوبون :

« كانت معلومات المسلمين في مجال رفع الاثقال متطورة جداً ، ومن خلال بعض الادوات التي وصلتنا والكتب القديمة التي دوّنوها تتّضح قوّة أُسس التطوّر الصناعي الذي كان للمسلمين » .

ويقول الدكتور برنارد[١] استاذ جامعة اكسفورد[٢] : « ان استخدام الرقّاص في الساعة هو من اختراعات المسلمين »[٣] .

يقول درابر استاذ جامعة نيويورك : « كان المسلمون مطّلعين في علوم الميكانيك ، وقد وضعوا قوانيناً لحركة الاجسام ، وكانوا ملمّين بجميع خصوصيات الميكانيك (علم الحركات) »[٤] .

---

(١) Bernard.

(٢) Oxford.

(٣) حضارة الاسلام والعرب .

(٤) موسوعة فريد وجدي ، حرف العين .

تقدم المسلمين في صناعة الزجاج

يقول الدكتور غوستاف لوبون :

« تنسب صناعة الزجاج الىٰ الفينيقين ، وبعد ذلك تعلمتها جميع الشعوب الآسيوية ، وقامت كل واحدة منهم بتطويرها ، خاصة المسلمون الايرانـيون ، والمصريون ، حيث بلغوا مدارج رفيعة في هذا الفن ، وقد تم الكشف عن أواني زجاجية في نينوى (شمال غرب العراق حالياً) يعود تاريخها الىٰ القرن السابع أو الثامن الميلادي .

وفي عصر الرومان قَدِمَ الكثير من صنّاع الزجاج في الاسكـندرية الىٰ روما ، فكانوا يصنعون كؤوساً مزينة بـ(المينا) جميلة جداً ، ولكـن لا بـد ان نعلم ، ان هذه الصناعة القديمة بلغت ذروتها علىٰ يد المسلمين الذين اشتهروا بهذا الفن ، والنماذج التي بقيت من اعمال المسلمين دليل علىٰ متسوىٰ المهارة التي بلغوها في صناعة الزجاج ، وقد ترك المسلمون في هـذا المـيدان آثـاراً خالدة ، منها ابريق من الكريستال موجود حالياً في متحف باريس .

ويرىٰ أكثر المؤرّخون ان اهالي البندقية الذين كانت لهم علاقات جيدة بالمسلمين تعلموا هذه الصناعة منهم ، ولهذا السبب حصلت أدوات مورانو[1] الكريستالية علىٰ شهرة واسعة[2].

---

(١) Murano.

(٢) حضارة الاسلام والعرب .

استعمال المسلمين للبوصلة في البحر

يذكر الدكتور غوستاف لوبون :

« يتّفق الجميع علىٰ ان الصينيين هم الذين اخترعوا البوصلة ، لكنه ليس من الواضح انهم استخدموها أيضاً في رحلاتهم البحرية ، لانهم لم يكونوا ماهرين في المواصلات البحرية وما كانوا يبتعدون عن سواحلهم كثيراً .

في حين ان للمسلمين باع طويل في المواصلات البحرية ، وكانت لهم علاقات تجارية مع الصين منذ ذلك الوقت ، في حين ان اوروبا كانت آنذاك لا تعلم بوجود بلاد الصين اساساً . ومما لا شك فيه ان الاوروبيين اطلعوا علىٰ البوصلة من خلال المسلمين ، فلم يكن الاوروبيون يعرفون استخدامها لفترة طويلة ، وبالتحديد حتى بدايات القرن الثالث عشر الميلادي، في حين أن المؤرخ الاسلامي «الادريسي» يذكر في اواسط القرن الثاني عشر ان استخدام البوصلة شائع بين المسلمين [1]» .

---

(١) المصدر نفسه .

تقدم المسلمين في مجال التعليم

يقول بنيامين تودل :

« في الاسكندرية وحدها شاهدت عشرون مركزاً تعليماً ، بالاضافة الىٰ مراكز التعليم العامة في بغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة وغيرها مـن المـدن الاسلامية .

أمّا الجامعات التي أسسها المسلمون فكانت فيها مختبرات[1] ومراصـد ومكتبات كبيرة وسائر ادوات ووسائل البحث» .

ويذكر الدكتور غوستاف لوبون :

«كان في مكتبة الحاكم الثاني في قرطبة (عاصمة المسلمن في اوروبا) ، ستمائة الف كتاب ، منها اربع واربعين مجلداً خاصاً بفهرس المكتبة » .

ثمّ يضيف الدكتور لوبون نقلاً عن أحد كبار علماء اوروبا ، انه قال :

« بعد اربعمائه عام ، وعندما اسس شـارل الحكـيم[2] مكـتبة بـاريس الحكومية ، لم يستطع جمع اكثر من تسعمائة كتاب ، ثلثها من الكتب الدينية ، وذلك رغم الجهود الكبيرة التي بذلها .

Bineamin de Tudele -

(١) Laborotoire.

(٢) Charles Lesage.

ملخّص القول، أنّ تقدّم المسلمين في مجال التعلم بلغ مستوىٰ جعل العالم يمد اليهم يد السؤال علىٰ مدىٰ تسعة قرون.

ويقول البحار المعروف ومكتشف القارة الامريكية، كريستوف كولومبس:

«لقد نجحت في اكتشاف جزيرة امريكا عن طريق الهند، في حين انني وجدت الطريق الىٰ الهند من خلال ما كتبه العالم المسلم ابن رشد الاندلسي».

تقدم المسلمن في مجال الاقتصاد السياسي وعلم النفس والعلوم الاجتماعية

في هذا الصدد يقول الكاتب المسيحي جورجي زيدان :

« الغريب هو ان الاوروبيين يتصوّرن انفهسم مؤسسوا علم « الاقتصاد السياسي »، في حين ان الفارابي العالم المسلم الشهير كتب قبل الف سنة كتاب « السياسية المدنية » وبحث في ذلك ، كما ان « ابن خلدون » العالم المسلم الآخر بحث الموضوع أيضاً[١] .

ويذكر « ميلير » : المسلمون هم أول من اخترع علم النفس[٢] .

ويقول احد العلماء الاوروبيون : مؤسس العلوم الاجتماعية هو الفيلسوف المسلم الكبير « ابن الجاثب »[٣] .

مصطلحات المسلمين وكلماتهم في اوروبا

يقول السيد سديلو[٤] :

---

(١) تاريخ الحضارة الاسلامية .

(٢) عظمة المسلمين في اسبانيا .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) Mr. Sedillot.

« بما ان المسلمين استطاعوا السيطرة علىٰ البحر المتوسط منذ القرن الثامن الميلادي ، فان اغلب المصطلحات والالفاظ المستخدمة في المجال البحري في اللغتين الفرنسية والايطالية ، مأخوذة عن مفردات عربية بالاساس ، مثل : اميرال[١] وساكادر[٢] وفلوت[٣] وفرجال وكورفت[٤] وكرافل[٥] وكذلك بوسورل[٦] التي يتصورها الكثير خطأ مأخوذة عن الصينيين في حين ان المسلمين هم الذين جاؤا بها الىٰ اوروبا ، كما ان الجيوش الاوروبية عندما عرفت النظام والمراتب في داخلها فقد تعلمت الرتب والمناصب العسكرية وكذلك الصياح في ساحة القتال من المسلمين كما ان كلمات مثال : البارود والقنبلة والهاون (نوع من المدفعية) ، اصلها عربي ، وكذلك العديد من المصطلحات الادارية ، مثل : معاون وغابل وتاي وتاريف ودوآن وبازا وغيرها من الكلمات التي دخلت القاموس اللغوي الاوروبي من بغداد وقرطبة .

---

(١) جنرال في القوة البحرية .

(٢) Escadre (سرب) ، مجموعة سفن قتال بحرية يقودها شخص واحد .

(٣) Flutte آلة موسيقية .

(٤) Caracelle .

(٥) Caravelle .

(٦) Biussule (بوصلة) .

اسباب تقدّم المسلمين ورقيهم

الدكتور: ايها الشيخ ! صحيح أن هؤلاء الأوروبيين الذين يفتخرون علينا اليوم إلى هذا الحدّ كانوا تلامذتنا بالامس ؟! كانوا يستجدوننا العلم للحد الذي اصبحوا يختالون بما كسبوه من علومنا، ويمتصون دماءنا بهذا الشكل، نهاية في الوقاحة وعدم الوفاء ؟ ولست أعجب من ذلك، بل أعجب للسبيل الذي جاء به المسلمون من خلاله كل هذا المجد والعظمة ؟

الشيخ: مجد المسلمين وعظمتهم بالامس كانت في تمسكهم بدينهم واحكام الاسلام، وهذا الأمر لا يدعو إلى العجب، لأن الباري عزّ وجلّ وعد عباده بذلك في القرآن فقال جلّ شأنه:

﴿وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين﴾.

سعادة الدكتور ! أن سبب تقدّم المسلمين وتعاليهم هو ما ذكرناه من تمسكهم بالاسلام، لانه وكما اشرنا في مباحث سابقة، ليس الاسلام كالمسيحية، دين رهبانية وعزلة، أو مجموعة من النصائح الاخلاقية فقط. فالاسلام دين يدعو ويُرغّب إلى طلب العلم، ومن الناحية القانونية يمتلك مجموعة متكاملة في جميع شؤون الحياة المادية منها والمعنوية.

اذن، فأتباع مثل هذا الدين طبيعي أن تكون نتيجته التكامل على جميع الأصعدة. ولبيان العوامل والاسباب التي ادت إلى تقدم المسلمين وتكاملهم

بهذا الشكل السريع، نشير إلى بعضها مما ورد في القرآن الكريم، وبشكل مجمل:

قَسَمُ القرآن:

القسم والايمان التي جاءت في القرآن هي احدى الدوافع التي رغبت المسلمين في الماضي لتلقّي العلوم، وعادة يكون ما يُقسم به مقدّساً عند الشخص الذي يقسم، وكلما كان الطرف الذي يقسم جليلاً وعظيماً، ازدادت قدسية وعظمة ما يُقسم به.

والقسم في القرآن يصدر عن الله عزّ وجلّ ومع ذلك نجده يقسم بالظواهر الطبيعية في العالم، مثل: الشمس والقمر والسماء والأرض والبحر والليل والنهار والزيتون والقلم و....الخ.

أجل هذا االقسم االقرآني، هدفه لفت انتباه الانسان إلىٰ عظمة الوجود وظاهره ، والحث على دراسة ذلك والتأمل فيه، والغريب ! هو أن القرآن يقسم بالقلم في عصر مظلم كانت الجزيرة العربية تعيشه قبل اربعة عشر قرناً، وليس بالقلم فحسب بل وما يصدر عنه ، قال تعالى:

﴿ن والقلم وما يسطرون﴾.

ومثل هذا القسم غير موجود اليوم حتى في أكثر بلدان العالم تقدّماً .

ظواهر الوجود ومعرفة الله

تعلمون أن الأصل العقائدي الأول في الاسلام هو معرفة الله، لكن أهم سبيل يعرضه القرآن لمعرفة الله هو التأمل في اسرار الخلق، وظواهر الوجود. ولمعرفة رب العالمين الحكيم والقادر، يدعو القرآن الانسان إلى البحث والدراسة في السماوات والارض واسرارهما وللتأمل في خلق الحيوان والنبات والقوانين المعقدة الموجودة في الوجود وكذلك التأمل في الانسان نفسه كمخلوق من قبل الباري عزّ وجلّ.

أجل ففي ذلك العصر الذي لم يكن فيه شيء يذكر عن علم التربة وعلم النبات وعلم الحيوان والفيزيولوجيا والتشريح وعلم الفلك بمفاهيمها العلمية الحديثة.

في ذلك العصر كان القرآن الكريم يدعو البشرية إلى تعلم مثل هذه المسائل ومعرفة حقائق العالم العلمية.

مكانة العلم والعلماء من منظار القرآن

العالم الثالث الذي جعل المسلمون يتجهون نحو العلم والمعرفة العلمية للعالم، هي التعابير التي طرحها القرآن الكريم عن العلم والعلماء. ففي موارد عديدة عبّر القرآن الكريم عن العلم والمعرفة بالنور، واعتبر الجهل ظلمة، قال بأن العلماء هم المبصرون والجهلة هم العمي، وقد اختصّ القرآن الكريم

العلماء المتقون بالاجلال والرفعة، وقد استخدم في ذلك تشابيه جميلة وتعابير ظريفة.

الترغيب والحثّ المثمر

وقد اثمرت بسرعة هذه العوامل الثلاث التي ذكرناه بالاضافة إلى ترغيب وحث القرآن وائمة المسلمين لتعلم العلم، ولم يمض أكثر من نصف قرن على ظهور الاسلام ونشوء المجتمع الاسلامي، حتى شهد التاريخ أكبر عملية نهوض معرفية في شتى مجالات المعرفة بين المسلمين، وكان التقدّم سريعاً للحدّ الذي تمكن من تنشأة مجموعة كبيرة من العلماء البارزين في مختلف المجالات العلمية ومن جميع المناطق التي دخلها الاسلام.

هؤلاء العلماء الذين يعد كل منهم نابغة عصره في مجال تخصصه، والذين انتشر العلم على ايديهم في العالم.

ماذا يعني حرمة التشبه بالكفار ؟

اصدقائي الأعزاء !

لا يدفع الاسلام الانسان المؤمن إلى تعلم العلم والمعرفة بجميع فروعها فقط، بل أنه ألزم المسلمين لتتبع العلم وتعلمه من خلال احكام وأوامر دينية بسيطة في تعابيرها، لكي يقطع بذلك تبعية المجتمع المسلم إلى غيره من المجتمعات، وهذه الاحكام كثيرة جداً، سأكتفي بنقل واحدة منها سمعناها جميعاً، ولربما ضحكنا منها واستهزئنا بها، واعتبرناها مقولات رجعية ؟ وذلك الحكم، هو «حرمة التشبّه بالكفار» ومن أجل بيان أفضل للقضية، وسأقدم لكم هذا الإيضاح :

اصدقائي الأعزاء !

لو ان شعباً غير مسلم (كافر) صنع اليوم ـ على سبيل المثال ـ نوع من القبعات سيكون حراماً على المسلمين استعماله ما دام يعتبر وضعه على الرأس تشبّهاً بهم ـ ذلك الشعب الكافر ـ ولكن لو أن مسلماً كان قد اخترع قبعة مشابهة لذلك الطراز، فان استعماله جائزاً.

وهنا يتّضح أن هذف الاسلام الاساسي من هذا الحكم هو ليس منع المسلمين من استعمال هذا الطراز من القبعات، بدليل انه كان سيمنعه حتى لو

كان مخترعه مسلماً، في حين أن الامر يختلف عن ذلك وأن هدف الاسلام من ذلك التحريم وهذا التجويز هو ايجاد وخلق روح الاستقلال والاعتماد على الذات بين المسلمين، وتخليصهم من تبعات الحاجة إلى الاخرين وتقليد الشعوب الاجنبية (الكافرة) حتى في شؤون حياتهم العادية، مثل الملابس و...الخ.

اصدقائي الأعزاء !

اترك لكم الحكم في هذه القضية ! لو أن المسلمين عملوا بهذا الحكم واحيوه بشكل حقيقي، أي أنهم أحيوا روح الاستقلال والاعتماد على الذات وعدم التبعية للكافرين، ألم يكن هذا كافياً لضمان سيادتهم وعزّهم ؟! ولو كانوا عملوا بهذا الأمر المقدس (عدم التشبه بالكفار) هل كانوا بحاجة لأن يمدّوا أيديهم نحو الناهبين الدوليين يستعبدونهم ؟! ألم يكن تطبيق هذا الحكم الديني البسيط، كافياً، لأن يجعل المسلمين يمتلكون ادواتهم الحضارية دون الحاجة للاخرين ؟ ألم يكن بوسع هذا القانون البسيط أن يجعل المسلمين يخترعون بأنفسهم كل ما يحتاجونه من طائرات وسفن وغواصات و...الخ ، كما تمكن المسلمون في الماضي، ومن خلال فهمهم لحقيقة الحكم المقدس وتطبيقه، ليس فقط اختراع كل ما يحتاجونه من ادوات ووسائل في حياتهم بل ضمن لهم سيادتهم ومجدهم وعظمتهم على جميع انحاء العالم .

العقيد : كلامك منطقي وصحيح، ولكن المسلمون اليوم ضعفاء ومضطرون إلى استجداء الدول الأوروبية لتأمين حاجاتهم ومتطلبات حياتهم اليومية .

الشيخ : هذا كلام خاطيء تماماً، لأنه حتى الدول الصغيرة اليوم تستطيع

أن تعتمد على نفسها وتقف على قدميها، وتقطع تبعيتها للعالم الأوروبي المستعمر، وأن تصنع كل ما تحتاجه بنفسها من خلال عمل جاد وفكر خلّاق، وأكبر شاهد على ذلك، دولة اليابان التي تعتبر دولة شرقية صغيرة مقارنة بالكثير من الدول الكبيرة التي لا زالت متخلفة، فهذا الشعب ومن خلال روح الاستقلال والاعتماد على الذات التي يمتلكها استطاع أن يصنع كل ما يحتاجه (ويحتاجه الاخرون !) في حياتهم اليومية من الابرة حتى السيارة والقطار والسفينة والطائرة و...وعشرات البضائع التي تغزوا جميع العالم اليوم. مع أن هذه الدولة الشرقية تمتلك نفس الشروط التي نمتلكها نحن بل وربما اصعب منا، كما أن عدد سكانها لا يزيد على ثلاثة وثمانون مليون نسمة أيضاً !

لقد قدمت اليابان لجميع الدول الصغيرة درساً في الاعتماد على الذات والروح الاستقلالية من اجل قطع التبعية والخلاص من التخلف، (وهو ما أمر به الاسلام قبل قرون من عدم التشبّه بالكفار)، وبالاضافة إلى ذلك فالبلدان الاسلامية اليوم تمتلك امكانيات كثيرة بشرية وطبيعية، وظروفها الاقتصادية والثقافية مساعدة جداً للنهوض والتحرر الحقيقي، لكنها وبسبب ابتعادها عن الاسلام الحقيقي، لم تستطع تفعيل امكانيتها وقدراتها العظيمة تلك، والمؤسف حقاً أن هذه الامكانيات والقدرات اصبحت بذاتها بلاءً على الأُمّة الاسلامية والشعوب المسلمة.

قصة غريبة عن السيد جمال الدين في مصر

حسن، الطالب الجامعي: بتصوري ان حالة المسلمين اليوم وصلت إلى

حدّ اليأس من الخلاص والتحرر من هذا العار والذل، لأنهم، لم يكتفوا بتقليد أعمى لتلامذة امسهم والتسابق على ذلك ، بل فقدوا جميع قدراتهم البشرية والالهية امامهم وفسحوا المجال بانفسهم للغرب المستعمر أن يتدخل في بلادهم وينفذ في مؤسساتهم كالطاعون، ومن المستحيل أن تستطيع هذه السفينة المترهلة أن تصل يوماً إلى ساحل الأمان.

الشيخ: اليأس وفقدان الأمل من الذنوب الكبيرة في الاسلام، وباعتقادي لو رجع الناس إلى الاسلام فانهم يستطيعون تلافي ما فات، والوقوف امام قوى الاعداء، بالعمل والسعي المتواصل، فالاسلام دين الحيوية والنشاط والالهام، ويمكن أن يبعث الروح في اجساد الشعوب الساكنة، ولاثبات ما ادعيته لارجع بكم إلى صدر الاسلام حيث تمكن عدّة قليلة لا تتجاوز الثلاثمائة وثلاثة عشر فرداً لا تملك شيئاً يذكر من السلاح والعدّة، أن تقف امام قوّة كبيرة تفوقها اضعافاً مضاعفة في العدد ومدججة بالسلاح والعتاد، بل وتنتصر عليها وتهزمها هزيمة فادحة، بل أروي لكم قصّة غريبة عن ثورة السيد جمال الدين الافغاني في مصر، والتي حدثت في أواخر القرن الماضي بداية عصر النهضة الذي نشهده حالياً.

تأمّلوا بدقّة ما تقرأون

ملخّص القصّة، هو أنه في سنة ١٣٠٠ هجرية كانت جميع الدول الاسلامية تخضع لسيطرة مباشرة من قبل الدول الاوروبية ، وكان الخناق يشتدّ يوماً بعد يوم على المسلمين فيها، ولم تكن من بين تلك الدول إلّا ايران وتركيا لا

تخضعان بشكل مباشر للسيطرة الاستعمارية، وكانتا مستقلّتان اسميّاً.

في تلك الحقبة المظلمة قام أحد المسلمين الغياري وأحد العلماء الأجلاء، وهو السيد جمال الدين الاسدآبادي «الافغاني» بحركة نهضوية، بعد رحلات قام بها في ارجاء العالم الاسلامي واطّلع من قرب على المحنة التي يعاني منها المسلمون، فدعى المسلمين إلى الثورة على واقعهم والخلاص من الانحطاط الذي يعيشونه، لكن دعوته تلك لم يستجيب لها احد، سوى الشيخ محمد عبده، مفتي الديار المصرية فيما بعد، فسافر مع السيد جمال الدين إلى باريس واخذا يصدران من هناك مجلة «العروة الوثقى»، وبالمقالات الثورية التي كانا يكتبانها في المجلة التي كانت ترسل إلى الدول العربية والاسلامية، كانا يحثان المسلمين على النهوض والخروج من جمودهم وغفلتهم، ولأن تلك الكلمات كانت تخرج من قلوب متحرّقة على الاسلام ووضع المسلمين، بدأت تجد اثرها في قلوب وعقول الناس شيئاً فشيئاً، لكن الدول الاستعمارية التفتت بسرعة إلى الأمر وحالت دون وصول المجلة إلى البلدان الاسلامية (الدول التي كانت تخضع للسيطرة البريطانية والفرنسية)، وبهذا فشلت الخطوة الأُولى التي قام بها السيد جمال الدين لتحرير البلدان الاسلامية، ولكن هذا الفشل لم يجعله ييأس، لذلك تحرك مباشرة من باريس ومعه الشيخ محمد عبده وحلّوا في مصر، وقاما هناك بتأسيس جمعية اسمياها «الجمعية الوطنية» ودعيا الشعب المصري للأنخراط في صفوفها، ولأن الجمعية لم تكن مثل سائر الجمعيات والاحزاب في العالم، لم يكن فيها مكان للبذيئين والسارقين والمنافقين، كانت الجمعية خلافاً لجميع الاحزاب السياسية لا تسعى لتسلّم السلطة والجلوس على كرسي الحكم، أو لدعم والحفاظ على سلطة الآخرين

ومن الشخصيات العميلة والضحلة، لذلك لم ينخرط فيها من كل مصر سوى اربعين شخصاً فهموا معنى التضحية.

وفي الجلسة الخامسة عشر للجمعية الوطنية، وبحضور جميع الأعضاء، قام السيد جمال الدين خطيباً فيهم وقال:

ملخّص كلمة السيد جمال الدين

«الهي، صدقت حيث قلت:﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾، وقولك حقّ ، فقد تأسست هذه الجمعية المقدّسة باسمك ولنصرة دينك».

ثم خاطب اعضاء الجمعية فقال:

«ايها السادة الأعزاء: القرآن هو الدستور المقدّس الذي يعتبر دليل حقانية الاسلام حتى يوم القيامة وهو أيضاً ضمان سعادة الانسانية.

آه...آه ، على هذا القرآن المقدّس الذي غفل المسلمون عنه فأصبح مهجوراً، هذا القرآن المقدّس الذي تمكن عالم الامس على الرغم من انحطاطه أن يصل إلى تلك المرتبة الحضارية على ضوء تعاليمه النوارنية.

آه ...آه على القران الذي أصبح يستفاد منه فقط فيما يلي:

تلاوته على قبور الموتى في ليالي الجمعة، امرار وقت الصائمين، كفارة الذنوب، العوبة «المكتبخانات»[1]، دفع الحسد، القسم الكاذب، للاستجداء به

(١) المدارس القديمة أو الملا.

على ارصفة الطرق، زينة قماط الطفل، قلائد للعرائس و....الخ.

آه ، على هذا الكتاب السماوي الذي اصبح الاهتمام به اليوم اقل من الاهتمام بديوان حافظ وكتاب المثنوي وديوان الشاعر السعدي، فلو قرأ شيء من تلك الدواوين في محفل ، لرأيت القوم يشهقون ويزفرون ويفتحون قلوبهم فضلاً عن عيونهم واسماعهم، وكم هي استفادتهم من المعاني العرشية ! والعرفانية ! والخيالية ! الموجودة في تلك الأبيات.

أي وحقّك اللّهمَّ أنت القائل وقولك الحقّ: ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾.

سبحانك اللّهمَّ أنت القائل وقولك حقّ: ﴿ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم﴾.

لقد ادرنا اوجه قلوبنا عن طاعتك المقدّسة، فأبدلت سعادتنا وعزّنا بالذلّ والشقاء».

بعد ذلك نزل السيد جمال الدين من على المنبر، فيما كان العديد من اعضاء الجمعية قد اغمي عليهم من شدّة البكاء والآخرون أيضاً يبكون، والسيد جمال الدين كان يبكي أيضاً ويكرر هذه الجملة:

أي وحقّك اللّهمَّ ، نسيناك ، فأنسينا انفسنا، حتى اغمي عليه ووقع على الأرض، وبقي على تلك الحالة ثلاثة ساعات، فيما كان اعضاء الجمعية في بكاء ونحيب، بعد ذلك قام السيد جمال الدين من غيبوبته بعد أن دعي له بطبيب، فرجع اعضاء الجمعية إلى حالتهم الأُولى واستأنفت الجلسة الرسمية.

المواد السبعة عشر التي ادت إلى ثورة مصر

ثم عادوا للتباحث، واقترحوا حلولاً للخروج من ذلك الواقع المرّ والمأساوي، واتّفق الجميع إلى أن عظمة المسلمين ومجدهم السابق كان بسبب تطبيقهم لاحكام الاسلام المقدّسة، كما أن العامل الوحيد الذي انتهى بهم إلى هذا الشقاء ، هو ابتعادهم عن الاسلام واحكامه، وعلى هذا الاساس، فالعلاج الوحيد للحالة المأساوية هو العمل باحكام الاسلام وقوانينه السامية، ولهذا تم اقرار برنامج عمل يتضمّن سبع عشرة مادّة، وتعهّد جميع اعضاء الجمعية العمل على تطبيق ذلك البرنامج بمنتهى الجدّية والدقّة، وهذا نص البرنامج:

١ ـ على كلٍّ واحد من اعضاء الجمعية قراءة ما لا يقل عن حزب واحد من القرآن الكريم بدقّة وتأمّل في اليوم.

٢ ـ اقامة الصلوات اليومية (الواجبة) جماعة .

٣ ـ عدم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤ ـ دعوة غير المسلمين إلى الاسلام .

٥ ـ الجدل بالّتي هي أحسن مع المبشرين النصارى.

٦ ـ الاحسان للفقراء قدر المستطاع .

٧ ـ القيام بأي عمل مشروع يطلب منهم، أو انهم يقومون بالعمل فور علمهم به حتى لو لم يطلب منهم ذلك .

٨ ـ عدم الاغفال عن صلة الرحم وزيارة الأقرباء.

٩ ـ عيادة المرضى.

١٠ ـ السؤال عن المسلم الذي يفتقد في السوق أو المسجد، وسبب غيابه، حتى لو كانت لديه مشكلة، يسعون في حلّها.

١١ ـ زيارة الاشخاص الذين يعودون من سفر مشروع.

١٢ ـ دفع الحقوق (المالية) لمستحقيها.

١٣ ـ لا يقصروا في ارشاد الناس بقوانين الدين أو شؤوناته.

١٤ ـ تربية انفسهم وترويضها على الابتعاد عن الصفات الرذيلة خاصة التكبّر والانانية والعجب وحبّ الرئاسة.

١٥ ـ العفو عن اخطاء وزلّات اخوتهم المسلمين.

١٦ ـ التعامل بلين مع الناس ومداراتهم.

١٧ ـ الاحجام عن عمل أو قول ليس فيه نفع مادي أو معنوي لهم أو لسائر المسلمين.

وكان كل عضو يحمل معه دفتراً صغيراً يسجل فيه ما عمله من تلك المواد السبعة عشر، لكي تسجل جميعها في سجل الجمعية، ولأن تنفيذ بعض المواد كان يحتاج إلى ميزانية مالية، لذلك قرّر هؤلاء الاربعون وبشكل أولي بيع كل ما في حياتهم من تجمّلات ويقنعوا باقل العيش واندر الأكل، لكي يمولوا صندوق الجمعية بتلك الأموال، لكي لا تتوقّف النشاطات بسبب العجر المالي.

ابرز اعمال الجمعية الوطنية المصرية لفترة شهر

عمل اعضاء الجمعية الوطنية المصرية بقيادة السيد جمال الدين الاسدآبادي (الافغاني) لمدّة شهر واحد بمنتهى الدقّة على ضوء تلك المواد، وكانت نتيجة العمل وابرز النشاطات كالتالي:

١ ـ عيادة الف وخمسمائة مريض.

٢ ـ زيارة الفين وسبعمائة مسافر.

٣ ـ تفقّد خمسمائة مسلم غابوا عن المحافل العامة.

٤ ـ قضاء حاجة اثنا عشرة الف محتاج.

٥ ـ تاب على ايديهم ثمانمائة سكّير (معتاد على شرب الخمرة).

٦ ـ ادخال الف وثلاثمائة شخص إلى دائرة المصلّين بعد أن كانوا لا يصلّون.

٧ ـ تابت على ايديهم اربعمائة امرأة من الفاحشات والمنحرفات.

٨ ـ ونتيجة لنصحهم، استقال ثمانون شخصاً عن العمل في الدوائر البريطانية.

٩ ـ جعلوا خمسمائة ثري مصري يتقاعد عن شراء اشياء للزينة كانت تأتي من الخارج، خاصة من بريطانيا.

١٠ ـ منحوا خمسة وسبعين شخصاً متضرراً، رأسمال للعمل.

١١ ـ أمَّنوا مؤونة مئتين وستّة فقير حقيقي لمدّة سنة .

١٢ ـ اسلم على ايديهم ٣٥ نصرانيّاً و ١٥ يهوديّاً و ٧٠ وثني .

١٣ ـ اقاموا اربع واربعين مجلس مناظرة مع مبشري النصارى الذين كانوا مسنودين من قبل الحكومة الانجليزية في مصر، وأوردوا عليهم ١٢٠ اشكال لم يستطيعوا الاجابة عليها .

كانت هذه أُمّهات اعمال الجمعية التي لا يزيد عددها على اربعين شخصاً ولمدّة شهر واحد فقط .

ردود الفعل على نشاط الجمعية الذي استمر شهراً واحداً

اصدقائي الأعزاء !

إذا اردتم أن تعرفوا كيف أن مجرد العمل بقوانين الاسلام تكون نتيجتها المجد والعظمة للمسلمين واندحار اعداءهم، انتبهوا إلى ردود الفعل التي حصلت على نشاطات الجمعية الوطنية المصرية والتي استمرت شهراً واحداً:

شاهد اللورد كرومر المستشار المالي البريطاني في مصر، أن نفوذ بريطانيا في مصر قلّ دفعة واحدة إلى ٤٥ ٪ ، فيما تدنّت التجارة البريطانية ٣٥ ٪ ، واستقال عن العمل في الدوائر البريطانية ثمانين موظفاً مسلماً مدرّباً، وليس هناك أحد يتقدّم للعمل في الوظائف الشاغرة، كما رأى اللورد كرومر وهو لا يصدق من شدّة التعجب، أن ممثلي الشركات البريطانية وخاصة تلك التي تبيع وسائل الزينة والإناقة والترف، ارتفعت اصواتهم لعدم وجود

مستهلكين، ويقولون أن عوائدنا اقل حتى من ايجارات محلاتنا واجور عمالنا وموظفينا، كما أن عدداً من المأمورين المصريين المسؤولين عن اخذ الضرائب من محلات المشروبات الكحولية ودور البغاء الرسمية والسينمات والمسارح، قدموا استقالات عن العمل، ولاحظ اللورد كرومر نشاطات المبشرين على مدى خمسة وثلاثين سنة لا تعادل $\frac{١}{١٦}$ من نشاطات الجمعية الوطنية المصرية خلال فترة شهر، كل ذلك خلق عنده وساوس وخوف كبير، فبعث مباشرة بتقارير مهولة إلى لندن.

تقارير اللورد كرومر

يقول اللورد كرومر في أحد تقاريره التي بعث بها إلى لندن:

«وبهذا أُحذّر قادة بريطانيا من خطرٍ داهم، فلو بقيت نشاطات الجمعية الوطنية بقيادة السيد جمال الدين سنة أُخرى، لن تتلاشى سياسة وتجارة الحكومة البريطانية في آسيا وافريقيا فقط، بل نخاف من وقوع نفوذ جميع الدول الأوروبية بخطر في جميع انحاء العالم».

ويقول في تقرير ثاني:

«الجمعية الوطنية المصرية، أسوء صاعقة تقف امام مخطّطاتنا، لذا يجب اصدار امر عاجل بتشتيت افرادها وحلّها».

وفي تقرير ثالث له، يقول:

«الجمعية الوطنية المصرية خير دليل على تسلّط المسلمين المحيّر

للعقول على ثلث بلدان العالم قبل ثلاثة عشر قرناً، بفترة قصيرة».

وفي تقرير لاحد المبشرين النصارى رفعه إلى كنيسة سان بول التي كانت أكبر كنيسة في ذلك العصر، يقول:

«ليس هناك اغرب من هذه الحادثة، وهي تقهقر سبعمائة مليون مسيحي من ابناء الانجيل امام اربعين مسلماً يحملون بين جنباتهم روح عالم دين هو السيد جمال».

وأيضاً، يذكر أحد الأطباء الاجانب الذي كان يعمل في مستشفى بور سعيد، في كتابه الصادر في ذلك الوقت والذي يحمل عنوان «فلسفة الجمعيات»:

«لو استمرت نشاطات الجمعية الوطنية المصرية على شكلها المحيّر للعقول هذا، إلى عشرين سنة أُخرى، ستحوّل العالم كلّه ميداناً لأفكارها».

وفي رسالة بعث يها رئيس البرلمان البريطاني في مصر إلى أحد كبار الصيارفة في لندن، جاء فيها:

«ومن عجائب العصر، هو أن السياسة الأوروبية في مصر اليوم، وغداً في جميع انحاء العالم، سحقت على يد اربعين نفر من المسلمين، الذين لا يملكون سلاحاً سوى الدين والعمل بالقوانين الدينيّة».

ويكتب أحد المسؤولين الانجليز إلى زوجته في لندن، فيقول:

«ان روح السعادة التي تنتشر في المجتمع الاسلامي اسرع من البرق، ستؤثر على الشعوب الأوروبية بوجه عام والشعب البريطاني بالخصوص ليس

فقط التخلي عن مستعمراتهم، بل حصر انفسهم بقلعة حصينة في مركز العالم بين الشمال والجنوب ».

وجراء كثرةالتقارير المرفوعة، رأت الحكومة البريطانية ان افساح المجال امام هذه الجمعية للعمل سنوات أُخرى، مع هذا البرنامج الذي تمتلكه الجمعية، سيجعل من الصعب على أية قوة الوقوف امام قدراتها الخارقة، لذلك ابرقت إلى الحكومة في مصر امراً بسرعة حلّ الجمعية وتشتيت شمل افرادها ومعاقبتهم بأشد العقوبات، وكانت النتيجة نفي السيد جمال الدين من مصر بعد ان اعلنت الاحكام العرفية هناك، وحكم على الشيخ محمد عبده بثلاث سنوات سجن.

أمّا سائر أعضاء الجمعية فتعرضوا لضغوطات وأحكام مشابهة بشكل يندى له جبين الانسانية، وبهذا الشكل أفل النجم الذي سطع لشهر واحد في سماء المسلمين، وعادت بريطانيا إلى نهب خيرات المسلمين وامتصاص دماءهم دون ان يزعجها احد أو يقض مضجعها.

اصدقائي الاعزاء!

والآن الحكم لكم، فلو كان اربعون مسلماً ومن خلال تمسكهم بتعاليم الاسلام المقدّسة أن يتحولوا إلى قوة بهذا الحجم ترعب الأعداء، فكيف لو تمسك ستمائة مليون مسلم في عصرنا الحاضر باسلامهم وأحكام دينهم، ألا يستطيعون اعادة مجدهم وعظمتهم السالفة وينشروا حكومتهم على جميع العالم ؟

الأصدقاء جميعهم: ليس فقط المجد والعظمة السابقة،بل سيستولون على ربع العالم المسكون.

الشيخ: أجل ، لم يكن السيد جمال الدين الاسدآبادي سوى عالم دين واعي ورسالي، استطاع بالتعاون مع اربعين شخص آخر ومن خلال العمل ببعض قوانين الاسلام لفترة شهر واحد، أن يبيّن قوّة الاسلام والتمسّك به في احياء المجتمع الاسلامي وانهاضه من سباته.

وليس عجباً أن المستعمرين وعملاءهم لا يزالون يخافون من ظله وافكاره رغم مرور أكثر من خمسين سنة على استشهاده، فيسعون من خلال اقلام مزيفة ومرتبطة أن يشوهوا صورته بين المسلمين، ويعرفونه على انه كان عميل للقوى الاستعمارية والأجنبية، من اجل أن يسلبوا ثقة الناس، لا بالسيد جمال لانه ليس بيننا الآن، بل بأمثاله من رساليي عصرنا ومفاخره الذين تلقى الاستعمار من ايديهم المؤمنة صفعات قوية اوصلته لحدّ الموت، ولكي لا تجتمع حوله ثانية شعوبنا المسلمة وتبقى هذه النماذج الثورية وحيدة على الساحة، غافلون عن أن جماهيرنا اليوم واعية، ولا تنخدع بمثل تلك الحيل والمؤامرات. والأكثر من ذلك، فلو تعرّض شخص عادي من المؤمنين (فضلاً عن القادة الثوريين) إلى شتائم المستعمرين واكاذيبهم، فلن يزيده ذلك بين الناس إلّا سموّاً ورفعة ويجعل الناس تلتفّ من حوله.[1]

(١) لمزيد من الاطلاع، راجع في هذا الصدد، كتابنا «قضايانا المعاصرة» . (بالفارسية)

اسباب انحطاط المسلمين وتخلفهم

الدكتور: تماماً كما تفضلت ايها الشيخ، ان الضمان الوحيد لسيادة المسلمين هو تطبيقهم لاحكام الاسلام، لكن الذي يوجب العجب هو كيف فقد المسلمون كل تلك العظمة وذلك المجد المادي والعلمي دفعة واحدة وفقدوا سيادتهم بهذا الشكل، مع ان مسلمي الامس لم يتركوا العمل بالاحكام التي اوصلتهم فيما سبق للمجد.

الشيخ: ان شقاء المسلمين وانحطاطهم بالامس ـ وكما هو اليوم أيضاً ـ يجب ان نبحث عنه فقط في تركهم للعمل بقوانين الاسلام واحكامه، وكنموذج سنتناول اسباب سقوط اسبانيا وذهابها من ايدي المسلمين:

منذ اليوم الذي بدأ المسلمون فيه يبتعدون عن الالتزام بأحكام دينهم، وانتهت تلك الروح الصافية والشفافة والمتدينة بينهم، وحلّ محلها النفاق والازدواجية. ومنذ وضع حكام المسلمين في الاندلس اقدامهم في طريق الترف واللهو، وفقدت اكثرية المجتمع ارادتها واستقامتها، وكذلك منذ ان انتهت روح الجهاد والكفاح بين صفوف جند المسلمين وحلت محلها روح طلب الراحة والكسل، منذ ذلك اليوم انتهىٰ عصر عظمة المسلمين وعزّهم هناك، فأنسدّ بوجههم باب العلم ونسوا انهم كانوا يوماً اساتذة للآخرين، يعلمونهم ما توصلوا اليه من علوم.

توقع غريب لملك فرنسا

ينقل الدكتور غوستاف لوبون عن احد المؤرخين العرب، ان قال:

«عندما هجم الجيش الاسلامي على فرنسا، اشتكىٰ بعض قادة الجيش الفرنسي اعتداءات المسلمين الىٰ ملكهم (شارل)، وقالوا له: من المخجل جداً، ان يقوم قوم لا يملكون سلاحاً كافياً وقادتهم لا يرتدون ملابس العسكر، علىٰ جيش دولة مدجّج بالسلاح وينتصرون عليه!؟» وفي جوابهم، قال الملك شارل: دعوا المسلمين يتقدمون لانهم الآن في ذروة هيجانهم، ويجتثون كل ما يقف في طريقهم كالسيل، لكنهم وبعد ان يحصلوا علىٰ غنائم كثيرة ويتذوقوا حلاوة العيش في القصور والبيوت المرفهة، وبعد ان يقع حكامهم في حبائل الهوىٰ والنفسانيات ويسري ذلك أيضاً الىٰ جميع شرائح مجتمعهم، عند ذاك سيختلفون ويتقاتلون فيما بينهم، وفي ذلك اليوم سنهاجمهم وننتصر عليهم بالتأكيد»[١].

اصدقائي الاعزاء!

لقد كان ملك فرنسا صائباً في فكرته وان توقعه كان في محله تماماً وبالنهاية كان ذلك اللهو والترف والتغافل الذي عاشه الحكّام والمسلمون في الاندلس سبباً في اندحارهم وسقوط دولتهم.

---

(١) حضارة الاسلام والعرب.

مأساة اندحار المسلمين في الاندلس

للوقوف بشكل افضل علىٰ اسباب اندحار المسلمين في اسبانيا، سأنقل لكم موجزاً عن عوامل انحطاط المسلمين وسقوط الحكم الاسلامي، كما حدثنا عن ذلك التاريخ مفصلاً[1]:

في أحد الأيّام طلب الحكام المسيحيون من القائد المسلم الخائن، براق ابن عمار ان يساعدهم بشكل كامل في خطتهم لاخراج المسلمين من بلاد الاندلس.

فأجابهم الخائن، براق بن عمار: لا يمكن الامساك بالاسد، إلّا بالحيلة والمكر.

ثم قال حكّام النصارىٰ: نحن الاوروبيون نمتلك جيشاً قوياً، يستطيع دحر المسلمين بهجوم صاعق.

فقال لهم براق: المسلمون ومن اجل الحفاظ علىٰ دينهم ونواميسهم، اقوىٰ من ان يدحرهم جيش مهما كان قوياً.

فقال الحكام النصارىٰ: اذن ما العمل لاخراجهم من بلاد الاندلس؟

اجاب الخائن براق: في الوهلة الاولىٰ انشروا بينهم المسيحية، ومع انه سوف لن يؤمن احد من المسلمين بالمسيحية، إلّا ان فائدته، هي انه يؤدي لزلزلة ايمان الشباب المسلمين بدينهم وعدم التقيّد بأحكامه، وفي المرحلة

---

(١) غروب الشمس في الاندلس.

الثانية، خذوا من الدول الاسلامية رُخص لتأسيس مدارس مجانية في البلدان الاسلامية، لان المسلمين وبانشغالهم باللهو وارضاء الشهوات، سيقل اهتمامهم بالعلم، لكنكم من خلال تأسيس تلك المدراس وادارتها بواسطة معلمين مسيحيين، ستجعلون الشباب المسلم يخضع لكم، وللروح التي يمتلكها المسلمون في الاعتراف بالجميل للمعلم، سيعطوكم امتيازات كثيرة ويجدونكم افضل منهم وتفوقونهم، وفي المرحلة الثالثة، وسعوا من علاقاتكم التجارية بالمسلمين، لتضعفوا تلك الروح الدينية التي لديهم من خلال كثرة الاتصال بهم، وحاولوا ان تدخلوا الخمرة الىٰ مجتمعاتهم وتجعلونهم مدمنين علىٰ شربها، وفي تلك الحالة سينفرط عقد امورهم بالتأكيد، عند ذاك تستطيعون سوقهم كالاغنام، وصيدهم كالأرانب، ولأنهم فقدوا روح الكفاح والجهاد نتيجة للغفلة واللهو والترف فمن السهل جداً السيطرة عليهم.

الحكام والقادة المسيحيون الذين كانوا يرهبون روح الشجاعة والبطولة التي عرف بها المسلمون، فرحوا كثيراً للنصائح التي اسداها اليهم براق بن عمار القائد المسلم الخائن.

وفي اليوم التالي كتبوا وثيقة سلام وذكروا فيها الاعمال الثلاثة التي اشار عليهم بها براق (حرية الدين، تأسيس مدارس، علاقات تجارية)، وارسلوها الىٰ مالك بن عباد الحاكم العام علىٰ الاندلس. ولمّا كان مالك بن عباد يستعد لقتال الحكومات المسيحية الاوروبية، فقد دعىٰ جميع الولاة للتشاور معهم في وثيقة الصلح التي اقترحها الاوروبيون وتلك الموارد الثلاث التي ضمّوها الىٰ الوثيقة، فأيد جميع الولاة تلك الوثيقة طلباً للراحة وكرهاً للحرب

والجهاد، إلّا واحداً منهم هو قيس بن مصعب، ذلك الوالي الواعي والبعيد النظر، لكنه كان في موقف الاقلية، لذلك اقرّ الصلح حسب رأي الاغلبية، وكانت النتيجة دخول أعداد كبيرة من القساوسة (المبشرين) والمعلمين والتجار المسيح الىٰ مدن المسلمين وبدأوا بنسج خيوط المؤامرة وتطبيقها علىٰ الارض، من اجل اضعاف عقائد الشبان المسلمين، ولأول مرّة تم احداث بستان كبير علىٰ ساحل نهر قرطبة (العاصمة)، كمنتزه عام، وكانت الفتيات الاوروبيات الحسناوات يتجولن فيه كل يوم، فكان الأُمراء والشباب المسلمون يذهبون كل يوم الىٰ هناك، للتنزه او في الحقيقة للألتذاذ بمشاهدة تلك الفتيات المسيحيات الحسناوات، ومن جانب آخر تأسست العديد من المدارس المجانية من قبل المسيحيين، وكان ذلك مصادفاً لأنحطاط المسلمين العلمي واغلاق المدارس الاسلامية، بسبب ترف الحكام المسلمين وانشغالهم بالملاهي.

اضافة الىٰ ذلك قام القائد المسلم براق بن عمار بجلب احد الضباط المسيحيين واسمه شيل معه الىٰ مالك بن عباد حاكم الاندلس، ومن خلال مقدمات اجبر مالكاً علىٰ ادخاله الجيش بعنوان مدرب عسكري، بل واعطاه صلاحية ادخال اي ضابط مسيحي يرضاه بعنوان مدرس في جيش المسلمين [1].

وبهذا الشكل فقد الجنود المسلمون روح الجهاد والكفاح من خلال كثرة

---

(١) مثل المستشارون الاجانب الموجودون حالياً في الكثير م الدول الاسلامية، مقابل مرتبات ضخمة.

الاتصال بالمستشارين الاجانب والخضوع امامهم.

مشروبات كحولية خاصة للشباب المسلم!

ومن الخطوات المهمة الاخرىٰ التي قام بها الحكام النصارىٰ في الاندلس من اجل تمييع الشباب المسلم، هو ادخالهم المشروبات الكحولية وتوزيعها بالمجان بين الشباب المسلمين [١]، للحد الذي قام احد القساوسة بشراء جميع اعناب قرطبة مسبقاً، وحولها الىٰ شراب، واقسم ان لا يشرب من ذلك الّا شباب وطلاب المسلمين، وبشكل مختصر لقد تعاضدت جميع تلك العوامل، لكي تخلق وضعاً جديداً للمسلمين، اهم مميزاته:

١ ـ اصبح شرب الخمر امراً علنياً بعد ان كان مقصوراً علىٰ بعض الحكام وبالخفية، ولأن السبّاقين الىٰ ذلك هم طلبة العلم والمثقفين في ذلك العصر [٢] لذلك اصبح شرب الخمر من دلالات التقدم والثقافة! واعتبر كل من لا يتناول الخمرة ويتجنبها، رجعياً وتقليدياً!

٢ ـ اصبح الشبان المتعاطون للخمرة يستحقرون سنة آبائهم (الذين كانوا ملتزمين بالاسلام) ويصفونهم بالرجعية والتخلف والبعد عن الحضارة.

٣ ـ نزعوا ملابسهم البسيطة التي كانت تدلّ علىٰ الصبر والتحمل والعمل والنشاط، واخذوا يرتدون الملابس الحريرية والمطرزة الاوروبية، أي انهم

---

(١) اما اليوم فالكثير من المسلمين يدفع الاموال لشراء هذا السمّ المهلك!!

(٢) علىٰ العكس، نجد الكثير من طلاب جامعاتنا اليوم يعون دسائس الامبريالية واذنابهم، لذلك نشاهد لهم موقفاً تاريخياً ومسؤولية اسلامية يؤدونها بوعي تجاه شعبهم.

ارتدوا ملابس الترف.

٤ ـ اصبحت المساجد مقصورة علىٰ المسنين من النساء والرجال، اما الشباب فلا شأن لهم بها.

٥ ـ كانت الحسناوات الاوروبيات، موظفات في جذب قلوب الشباب المسلمين في كل مكان! وقد قمن بوظيفتهن وادوارهن علىٰ احسن وجه، فكانت النتيجة هي ان الشباب المسلم يبقىٰ الىٰ ساعات متأخرة من الليل في الملاهي التي كانت محطّ الحسناوات الاوروبيات، (في بلادنا يتكرر هذا الامر ـ حالياً ـ بفارق ان دور الفتيات الاوروبيات تؤديه فتيات من نفس بلادنا وليست هناك حاجة الىٰ فتيات مسيحيات او اوروبيات)، وهذه النسخة «زائدة عن الأصل»!

٦ ـ انتشر اللهو والترف وازدادت المنافسة علىٰ زخارف الدنيا من الملابس والمساكن... فلم تعد عائداتهم المشروعة تكفي لذلك، ولم تستطع تلبية متطلباتهم الجديدة، وبالنتيجة بدأ موظفوا الحكومة اخذ الرشوة والاختلاس، فظهر الفساد في الاخلاق واضطرت الفئات المنتجة من المزارعين والقرويين والعمال والمهنيين الىٰ دفع ضرائب اكثر من اتعابهم لتأمين نفقات ترف ولهو الفئات الممتازة، فكان ان تحولت تلك الفئات الىٰ طبقة فقيرة وساخطة وبالمقابل اوغلت الفئات الممتازة في غيّها وشهواتها. (وفي بلادنا اليوم ايضاً يتكرر هذا الامر) «نسخة عن الاصل».

حتىٰ وصل الفسق والغيّ خاصة بين الحكام والولاة والطبقات المتصلة بهم الىٰ ان يعشق المعتصم بن صارح حاكم ولاية المريا (من محافظات

الاندلس) فتاة نصرانية ، واراد ان يختطفها ويأخذها بالقوة من أبـيها ، فـهربت الفتاة والتجأت الىٰ جـندل بـن حـمود والي اشـبيلية (مـحافظة اخـرىٰ مـن محافظات الاندلس) ، فأرسل جندل جيشاً لقمع المعتصم وبالنهاية اشـتعلت الحرب بين المحافظتين المسلمتين ، وجندل الذي كان حكـام النـصارىٰ قـد وعدوه بأن يكون الحاكم العام للأندلس فيما لو تعاون معهم ، طلب العون من الحكام النصارىٰ ، فأستغل النصارىٰ ذلك الطلب (لانهم كانوا يتربصون الفرصة الىٰ ذلك منذ وقت طويل) وارسلوا عدداً كبيراً من جنودهم لنصرة جندل بـن حمود ، فهجم جندل بجيشه وجيش النصارىٰ الذين جاء لنصرته علىٰ جيش المعتصم ، فقتله ودمـرّ قـصره ، وبـمناسبة هـذا الاقـتتال الاسـلامي اقـيمت احتفالات كبيرة ، لكن المسلمون وحتىٰ مالك بن عباد الذي شاهد مقتل احد ولاته علىٰ يد وال آخر لم يأخذوا العبرة وبقوا في صمتهم !

* * *

كانت هذهِ الحادثة ، الضربة الاولىٰ التي تلقاها المسلمون في الاندلس اثر تلك المعاهدة المشؤومة وحرية الاجـانب فـي البـلاد ، واشـاعةِ الخـمرة والثقافة الاستعمارية المسيحية ودخول الحسناوات المسـيحيات بـعد هـذهِ الحادثة والاقتتال الذي حدث بين الاخوة (المسلمين) والصمت المطبق مـن قبل الحكام المسلمين هناك ، تيقن النصارىٰ من مؤامـراتـهم نـجحت وفـعل كيدهم فعلته وان روح التعصب في الحفاظ علىٰ الدين والشرف والبـلاد قـد ذهبت من المسلمين ، وانه حان الوقت لأن يوجهوا ضربتهم الاخيرة ويخرجوا

المسلمين من الاندلس لتعود مسيحية مشركة كما في السابق.

ايها المسلمون الغيارىٰ

اقرأوا واعتبروا:

في اليوم الرابع من شهر جمادىٰ الثانية سنة ٤٨٦ هجرية، وصل الىٰ الحصين بن جعفر والي المسلمين القوي وقائد جيش فالانس (احدىٰ المحافظات الكبرىٰ في الاندلس الاسلامية) خبراً مفاده، ان الوزير عدي بن عبد العزيز والمعروف بـ«ابن ذي النون» عقد معاهدة سرية مع النصارىٰ تنص علىٰ تسليمهم قلاع فالانس وحصونها، وبعد سماعه الخبر ذهب الحصين الىٰ ابن ذي النون لكي يتحقق عمّا سمعه، وعندما دخل عليه وجد دلائلاً تشير الىٰ صدق الخبر، منها انه رآه عندما دخل يسرّ كلاماً الىٰ احد القساوسة. اما ابن ذو النون فقد اعترف بصراحة بعد ان رأىٰ افتضاح امره، وقال: أيّها الحصين: رأيت ان حكام المسلمين اصبحوا ظلمة لا يهتمون بشكاوىٰ الناس، كما ان النصارىٰ مستعدون للهجوم علينا بجيش قوامه خمسة وسبعون الف مقاتل، والمسلمون لا يستطيعون مقاومة هذا العدد، فأشتاط الحصين غيضاً، وقال: تريد ان تطيح بشرف آبائنا ومجدهم وتكون اسوة في الجبن والخيانة، لكن اعلم ان حكام النصارىٰ سيعاقبونك علىٰ الخيانة ولن يشكروك علىٰ الخدمة.

لكن غضب الحصين وسخطه لم يكن لينفع، لان ابن ذا النون الخائن كان قد سلّم القلعة للنصارىٰ الذين دخلت جيوشهم المدينة فقاموا بنهبها والاعتداء على الفتيات والنساء المسلمات امام آبائهم وازواجهم، فيما فر الرجال

الجبناء الفالانسيون وتركوا نساءهم والاطفال.

يقول المؤرخ ابن زيارة:

«في ذلك اليوم قتل الجيش المسيحي ثلاثة عشر الف مسلم، لانهم دافعوا عن اعراضهم ونواميسهم، وقتلوا ثلاثين الف مسلم من الرجال والنساء لعدم قبولهم الدخول في دين النصرانية، واحرقوا مسجد المدينة ومدرستها الكبرىٰ، وكان احتلال النصارىٰ لمدينة فلانس سريعاً بحيث ان خبر خيانة ابن ذي النون لم يكن منتشراً بعد، وعندما اراد الحصين التحرك نحو فالانس بجيشه، رأىٰ ان قرطبة عاصمة المسلمين معرضة للتهديد، لذلك اضطر ان يبقىٰ هناك.

أمّا ابن ذو النون فقد نال جزاء خيانته، لانه وبمجرد دخول ايلدفونس القائد العام المسيحي الىٰ مدينة فالانس حتىٰ امر بأحراق ابن ذا النون، لكي لا يخون النصارىٰ ايضاً.

وفي النهاية كانت مخططات الحكام النصارىٰ قد وجدت طريقها للتطبيق، كما ان براق بن عمار القائد المسلم الخائن كان مشغولاً بدسائسه، بحيث استطاع ان يغري ويخدع جندل بن حمود والي محافظة اشبيليه ،بوعود كاذبة من قبل الحكام النصارىٰ في جعله الحاكم العام علىٰ الاندلس، فقام جندل بالخروج مع جيشه من اشبيلية لنصرة الجيش المسيحي، وما ان خرج جندل من اشبيلية حتىٰ قام الجيش المسيحي باحتلالها، ثم قاموا بقتل جندل بن حمود، اما جنوده الذين وجدوا انفسهم بلا قائد، رجعوا الىٰ اشبيلية، لكن الجيش المسيحي لم يسمح لهم بدخول المدينة وقام بقتل اكثرهم.

اما مالك بن عباد، الحاكم العام علىٰ الاندلس، فبعد ان شاهد فقدان اصحابه اضطر الىٰ الهرب، وبقي الىٰ آخر العمر ذليلاً.

اما القائد العام المسيحي، ايلدفونس فقد دخل الىٰ القصر الملكي في قرطبة وقام بتقسيم خمسين فتاة جميلة من بنات الحكام المسلمين بين قادة جيشه، وكذلك فعل بقصور الحكام المسلمين، كما قام بتدمير المسجد الجامع في المدينة وجعل مكانه مخصصاً للفحشاء والفسق والفجور، وامر باحراق المكتبة الاسلامية في قرطبة التي كانت تحتوي علىٰ اكثر من ثمانين الف كتاب، وقتل اربعة آلاف من اهالي المدينة، كما ان براق بن عمار القائد المسلم الخائن، قتل بأمر من دوق فينيسيا احد القادة المسيحيين.

أيّها المسلمون الغيارىٰ!

كانت هذه نهاية قوم شيدّوا في يوم من الأيام صرحاً من المجد والعظمة، وكانت ايدي العالم كله تستجدي منهم العلم والمعرفة والصناعة والفنون، وكانت جامعاتهم ومدارسهم تخرّج العلماء الكبار والنوابغ علىٰ مدىٰ مئات السنين، لكنهم وبعد أن لجوّا في بحر التيه والترف شيئاً فشيئاً، وفقدوا روح الايمان، والشجاعة والبذل اللتان هما من خصوصيات المسلمين مقابل تشريفات زائفة، الىٰ الحدّ الذي سدّت جامعاتهم ومدارسهم ابوابها الواحدة تلو الاخرىٰ، وشاعت بينهم روح طلب الراحة والكسل، فأغتنم الاعداء من النصارىٰ تلك الحالة ونصبوا شراكهم وحيلهم وخططوا بالتعاون مع ضعاف النفوس من المسلمين انفسهم ـ كما مر سابقاً ـ فأستطاعوا ان يطيحوا بصرح

المجد والعظمة ذلك في ابشع حادث تاريخي مرّ علىٰ المسلمين. «فأعتبروا يا اولي الابصار».

الثقافة[1]

رئيس دائرة التربية والتعليم في بندر شاه، يشق جيبه

عباس بيضاوي: ايها العم! عندما عددت اسباب سقوط المسلمين في اسبانيا، اعتبرت الثقافة واحدة منها، وبعد سماعي لذلك تألمت كثيراً، فما الذي تقوله يا عمّ، هل الثقافة من اسباب انحطاط المجتمع والدولة ؟! فالثقافة والتعليم لا يهدفان إلّا لرفع مستوىٰ افكار وتصورات ورؤىٰ الشعب، لذلك لابد ان تعترف بخطئك.

الشيخ: لو تأملت في كلامي لوجدت انني لم اقل ان اصل الثقافة من اسباب سقوط الدولة الاسلامية في الاندلس. لان الثقافة لهااربعة معانٍ:

١ ـ العقل والادب.

٢ ـ اللغة.

٣ ـ مجموع التراث الادبي والعلمي لشعب ما.

٤ ـ الكلمات والمصطلحات.

ولا يمكن ان تكون الثقافة (حسب المعاني التي ذكرناها) سبباً في

---

(١) الثقافة: هو الاسم السابق لدائرة التربية والتعليم في ايران، لما لها من دلالة في ان التربية والتعليم يهدفان الىٰ رفع مستوىٰ الفرد والمجتمع ثقافياً. [المترجم]

انحطاط شعب وسقوطه.

يا أخي بيضاوي، كيف تكون الثقافة احدىٰ اسباب انحطاط المسلمين، مع اننا اثبتنا في موضوع «التقدم العلمي عند المسلمين» ان المسلمين وباعتراف كبار علماء اوروبا كانوا مؤسسي العلم والثقافة في العالم، وانهم كانوا اساتذة العالم ومعلمي البشرية في العديد من المجالات العلمية آنذاك، مثل الطب والصيدلة والفيزياء والكيمياء والرياضيات والجغرافيا والهيئة والفيزيولوجيا والصناعات والادب.... الخ.

الاسلام واللغات الاجنبية

أخي بيضاوي! في الاسلام مجموعة قوانين، اعتبرت في بعض المواقع والاحيان تعلم اللغة الاجنبية واجباً علىٰ المسلم، وفي بعض الاحيان رأت ذلك جيداً ومستحباً، مثل الحالة التالية: احد المسلمين يريد ان يكون وكيلاً لمسلم آخر في القيام بمعاملة ما، في حين ان تلك المعاملة يجب ان تتم في بلد اجنبي وانها متوقفة علىٰ الذهاب الىٰ دولة اجنبية، او ان عقد تلك المعاملة يحتاج اساساً الىٰ معرفة لغة اجنبية، ففي مثل هذهِ الموارد والحالات، يجب علىٰ المسلم الذي يقبل بالوكالة في انجاز تلك الاعمال ان يكون مُلمّاً ومُجيداً لتلك اللغة الاجنبية.[1]

وقد روىٰ لنا التاريخ، انه عندما وقعت أُم الامام المهدي (عج) الامام

(١) يرىٰ بعض الفقهاء استحباب تعلم اللغة الاجنبية في مثل هذهِ الموارد.

الثاني عشر والغائب عند الشيعة، اسيرة وهي ابنة ملك الروم، وعرضت للبيع في ديار المسلمين، فأرسل الامام الهادي عليه السلام عاشر ائمة الشيعة رجلاً لشرائها وبعث لها رسالة أيضاً بيده، لكن الظريف في الامر وكما يذكر جميع المؤرخين ان الامام الهادي عليه السلام كتب الرسالة باللغة الرومية، لغة الفتاة الأمّ.

وينقل زيد بن ثابت عن الرسول صلى الله عليه وآله انه امر الناس بتعلّم اللغات الاجنبية، وانه قال له في احد الايام: يا زيد! تعلم لغة اليهود وكتابتهم لانهم لربما يحرّفون القرآن لأتباعهم، وانتم لا تعلمون (١).

واعلم يا سيد بيضاوي! انه ليس هناك دين وفكر يحثُّ الانسان علىٰ العلم والمعرفة والثقافة كما يحثُّ الاسلام علىٰ ذلك، واجلاله لمكانة العلماء والمفكرين لم نشاهد شعباً علىٰ مدىٰ التاريخ وحتىٰ في اكثر دول العالم تحضراً اليوم، يجلّ العلم والعلماء ويحترمهم كما يفعل المسلمون، واكبر دليل علىٰ ذلك، العلماء والنوابغ الكبار الذين نشأوا في حضن الدين، تلك الشخصيات العلمية التي ملأت تماثيلها ليست جامعاتنا نحن فقط (٢) بل ان تماثيلها تجدها في اكبر المكتبات الاوروبية والامريكية وفي غرف كبار العلماء الغربيين، تلك الشخصيات العلمية من امثال: نصير الدين الطوسي وابن سينا ومحمد بن زكريا الرازي .... والمئات من امثالهم.

ومع الاخذ بهذا الموضوع كيف يمكنني ان اعتبر الثقافة والمؤسسات

---

(١) العالم الاسلامي.

(٢) ليس هدفنا هنا التعرض لمسألة التماثيل وبيان حكمها الشرعي، بل قمنا فقط بنقل واقع وحقيقة موجودة.

العلمية سبباً في انحطاط حضارة وشعب.

عباس بيضاوي: اذن ما الذي تقصده بأن الثقافة كانت احد اساب سقوط الدولة الاسلامية في الاندلس؟

الشيخ: ان انتقادنا للثقافة التي سادت في اسبانيا الامس وما هي عليه اليوم في بلادنا، تتناول سوء التربية والبرامج غير المتكاملة والخاطئة ووجود اقلية من المعلمين الفاسدين والمنحرفين، وعدم وجود ادارة صحيحة في المؤسسة التعليمية تحرص علىٰ سلامة التعليم ونقاءه، والذي نعارضه هو الثقافة الاستعمارية التي لا تهدف إلّا ضمان مصالح الاجانب.

يا سيد بيضاوي! اتعلم ان سعادة اي شعب او شقاءه له علاقة وثيقة جداً بثقافة الشعب وذلك البلد؟! خاصة في عالم اليوم الذي نشاهد فيه الطبقة الحاكمة العليا جميعها من المثقفين او العاملين في الحقول الثقافية [1]، فالقوة اليوم بيد اهل العلم والثقافة، فلو كان هؤلاء المثقفين شباباً صالحين وانقياء ويهتمون باستقلال بلادهم وسعادة شعوبهم، بالتأكيد سيكون للبلد مستقبل ناصع، اما اذا كانت الثقافة ملوثة والشباب فاسدون ومنحرفون لا يهمهم من امر البلد والشعب شيء، فمن الطبيعي ان لا تكون نهاية ذلك الشعب والبلد الّا التعاسة والشقاء والتبعية.

وهنا يعلن الجميع تصديقهم لكلام الشيخ.

ثم يعقّب الشيخ: وللأسف لابد من الاعتراف بهذهِ الحقيقة المرّة، وهي

---

(١) الكلام ليس فيما يخص بلدنا، لان اساس الكلام هو في بلاد تحترم رأي الشعب واختياره، لا البلدان المستبدة التي لا تعرف سوىٰ التنصيب (لا الانتخاب).

ان حكام بلدنا قد تركوا هذا الموقع بشكل كامل ودون اي اهتمام، عن قصد وحسب مخطط سابق او دون قصد. وفي عصرنا الحاضر، نشاهد ثقافتنا الاسلامية والقومية اصبحت ألعوبة بيد بعض المثقفين والمعلمين الفاسدين والمنحرفين، وبعض العملاء المغرضين، وهكذا ابناءنا واطفالنا المعصومين الذين يأخذون تلك الثقافات الواردة الينا من خارج البلاد على يد اولئك الفاسدون والعملاء، وعلىٰ الرغم من وجود اشخاص مؤمنين ورساليين بين طبقة المعلمين، ممن يؤثرون مصالح الدين والوطن علىٰ كل شيء الّا انهم قلّة مقابل تلك الاكثرية المنحرفة التي تسيطر علىٰ مقاليد الامور، وهي مدعومة بقوة من خارج دائرة الثقافة، وهؤلاء لا يمكن ان اسميهم بغير العملاء والمنفّذون لمؤامرات الاعداء من الشرق والغرب، لكن وعي الشعب المتنامي كفيلٌ -ان شاء اللّه- بأن يحبط جميع تلك المؤامرات ويردّها.

عباس بيضاوي: الىٰ حدّ ما، لا يمكن انكار وجود معلمين غير صالحين في مجال التربية والتعليم، ولكن الذي لا يمكن تصديقه هو وجود مجموعة مغرضة تحاول التغرير بأبنائنا المعصومين وحرف افكارهم.

الشيخ: كيف لا يمكن تصديق تعمدهم وغرضهم وهم الذين يقومون بحرف الشباب وافسادهم بأبشع الوسائل والطرق. ولا يخجلون من عمليات غسل المخ التي يقومون بها، يا سيد بيضاوى هل صفوف الدرس، منابر لتوجيه الشتائم من عليها علىٰ الدين والمؤسسة الدينية، فهل يتصور ذلك المعلم الذي يوجه تلك الاهانات والكلام البذيء للدين والمتدينين ان البلاد فرغت من

العلماء الواعين والرساليين ؟! ولو كان لذلك المعلم نقد علمي حقيقي ، فلماذا لا يطرحه مع علماء الدين والمثقفين الرساليين ؟! فكيف لا نعتبر امثال هؤلاء مغرضون وعملاء للأجانب ؟!

عباس بيضاوي : التربية والتعليم مهتمة بالامور الدينية ، وفي المناهج التربوية الرسمية هناك حصص دراسية في الشريعة والعلوم الدينية .

الشيخ : كان من الافضل ان لا تقوم الدولة بادخال تلك المواد ضمن مناهجها الرسمية المقررة ، فلابد من القول بصراحة ان لعملاء الاستعمار دور في تلك المواد الدينية الموضوعة [1]، لانه عند كتابة تاريخ الاسلام ـ على سبيل المثال ـ او الاحكام الدينية ، يتم الاكتفاء بقسم منها ، فيما يخص الحروب التي قام بها المسلمون ، يكتفون نقل تفاصيل هجمات العرب المسلمين عند فتح ايران ، في حين انهم لا يتكلمون عن تعاليم هذا الدين الالهي السامية واحكامه التربوية وقوانينه الاجتماعية والاقتصادية و....

اليس هدفهم التعريف بالاسلام على انه دين العنف والسيف لا المنطق والاستدلال ، ولماذا لا تستفيد وزارة التربية والتعليم من علماء الدين الواعين في وضع برامج ومناهج دينية ، وبغض النظر عن جميع ذلك وكون الحصص

(١) ما جاء في نص الكتاب حول واصفي البرامج الدينية في التربية والتعليم ، يصدق في الماضي قبل سنوات ، ولكن في السنوات الاخيرة الماضية ، استطاعت مجموعة من الرساليين النفوذ الى داخل « مؤسسة المناهج الدراسية في التربية والتعليم » واخذت على عاتقها تأليف كتب التربية الدينية ، ورغم ان هذهِ المجموعة محاصرة بالنظام الاداري العام ، الّا انها استطاعت قدر المستطاع تعديل المناهج الدراسية الدينية بشكل جعل مادة الدين هادفة ومفيدة .

الدراسية لمادة الدين في مناهج التربية والتعليم غير مفيدة، فأن اجراء البرامج الدينية ـ اساساً ـ يثبت مدىٰ الفوضىٰ الموجودة في التربية والتعليم ومدىٰ تدخل الاجانب في مؤسسات البلاد، لانني شخصياً مطلع علىٰ بعض المدارس التي اختير فيها معلمون من غير المسلمين ومن اقليات دينية ومذاهب مزيفة لتدريس مادة الدين للطلاب!

اصدقائي الاعزاء!

مثل هذهِ التعاليم الناقصة التي تدرّس للطلاب وعلىٰ يد تلك النماذج من الاساتذة، نفعها اكثر أم ضررها؟ وأليس من الافضل عدم وجودها بهذا الشكل ضمن المناهج الدراسية؟

عباس بيضاوي: ما يمنع استفادة الدولة لمعلمين من غير المسلمين في مجال التربية والتعليم؟ الشيخ: لو كان استخدام المعلمين غير المسلمين في مجالات تدريس الرياضيات او الفيزيا او الكيمياء، لما قلنا شيئاً ولا اعترضنا عليه (طبقا بشرط ان يدرّسوا تلك المواد فقط دون الخوض في مواضيع اخرىٰ) لان الرسول صلى الله عليه وآله امر بأن يعلم كل واحد من الاسرىٰ الذين اُلقي القبض عليهم في معركة بدر، القراءة والكتابة لعدد قليل من اطفال المسلمين، كفدية لتحريرهم. اذن، نحن لا نعارض الاستفادة من غير المسلمين بشكل مدروس وصحيح، بل نعارض ان يدرّس معلم غير مسلم اطفالنا (اطفال المسلمين) مادة التربية الدينية! لان ذلك المعلم غير المسلم، سيحاول بشكل طبيعي اظهار دينه ومذهبه افضل من الاسلام ويقوم بدعوة الاخرين إليه،

وبذلك سيستهزيء بالاسلام واحكامه، ولن يكون حريصاً في تعليمه للطلاب، فهل نترك ابناءنا يتعلمون ويفهمون الاسلام من خلال هؤلاء.

هذه يا سيد بيضاوي مادة التربية الدينية التي تدرّس في مدارسنا !!

عباس بيضاوي: فيما يتعلق بالتربية الدينية، كلامك صحيح، لكن يجب ان لا نغفل ان التربية والتعليم في بلادنا تقدمت خطوات واسعة وقامت بانجازات كثيرة.

الشيخ: سيد بيضاوي! ارىٰ انه من الافضل لك ان تترك الدفاع عن مؤسسات التربية والتعليم الىٰ شخص آخر! فما هي الخطوات الواسعة والانجازات التي تمت في مجال التربية والتعليم، ولو ترىٰ شبابنا يسيرون في الاتّجاه الصحيح، فهو بسبب نبوغهم الذاتي واصالتهم وجهود بعض الخيّرين من الاساتذة وعلماء الدين، وليس سببه برامج التربية والتعليم التي تقررها الوزارة، خاصة في ضوء الظروف الحالية السائدة في البلاد وتكاليف الدراسة التي ستجعل العلم في هذا البلد أيضاً محصوراً بابناء التجار والمستثمرين.

داء بلا دواء

ولو تركنا هذا كله، فهناك مشكلة كبيرة ومهمة ستواجه البلد في المستقبل، وهذهِ المشكلة هي من صنع الثقافة السائدة والتربية والتعليم الحالي، وهي عدم وجود عدد لازم من الفروع والجمعيات الصناعية والمهنية، لان طلابنا لا يحلمون الّا بمنضدة وكرسي في احدىٰ الدوائر المكيّفة جيداً وان يكون احد موظفي الدولة، ولا يفكر احد بمجالات اخرىٰ مثل: الزراعة

والميكانيك وغيرها من الفروع المنتجة والمفيدة للمجتمع.

اصدقائي الاعزاء!

من خلال هذا التفكير السائد، ومع الاخذ بأن جميع ابناءنا سيذهبون يوماً ما الىٰ المدارس والثانويات والجامعات، ارجو أن تحكموا علىٰ مستقبل البلاد ومصيرها، لان جيلنا القادم جميعه يريد وظائف حكومية، وسنضطر في السنوات القادمة الىٰ استيراد التجار والمزارعين والخياطين والخبازين و... من الخارج ونضيفهم الىٰ جدول وارداتنا التي لا يمكن احصاءها، وطبيعي فان الذنب في ذلك يعود الىٰ برامج التربية والتعليم. والآن يا أخي بيضاوي! اذ قلنا هذهِ الثقافة لو لم تكن نتيجتها انحطاط البلاد وتبعية البلاد للأجانب علىٰ الاقل، فأنها ثقافة ناقصة لا قيمة لها؟

ـ تأييد الجميع واقرارهم.

الموسيقىٰ من الناحيتين الصحّيّة والنفسية

في هذهِ اللحظة ارتفع فجأة صوت موسيقىٰ صاخبة من الغرفة المجاورة، وكانت مرتفعة بحيث لم يكن بالاستطاعة سماع كلام الشيخ. فغضب اصدقاءه جميعاً، اما الدكتور فنهض الىٰ الغرفة المجاورة، وعندما فتح بابها، خاطب الشخص الذي كان يحمل مذياعاً: أيُّها السيد المحترم! لو كنت تحب سماع الموسيقىٰ. فلماذا تزعج الآخرين؟ لربما هناك في الغرفة المجاورة مريض او شخصاً يشكو من الصداع او ضعف عصبي. أمّا صاحب المذياع الذي كان في الظاهر شاباً مؤدباً، لكنه وللأسف في حقيقته بعيد عن كل أدب ونزاهة فما ان سمع كلام الدكتور المنطقي، قال بخشونة: ما الذي تقوله؟ نحن أحرار في هذا البلد نستطيع عمل كل ما يحلو لنا.

فقال له الدكتور: عزيزي، اي قانون اعطاك كل تلك الحرية، بحيث يمكنك سلب راحة الآخرين وحقوقهم؟! ألا تعلم ان حرية الفرد للحد الذي لا تضر بحريات الآخرين وحقوقهم، وأيضاً فالسيارة والقطار من الاماكن العامة التي لا يحق للشخص عمل ما يزعج الآخرين فيها؟! وبغض النظر عن كل ذلك. ما هذا الذي تقوم به. انت تتلف اعصابك وقواك بهذهِ الايقاعات البشعة؟!

فقال الشاب للدكتور: الظاهر انك رجعي، فما المانع من سماع الموسيقىٰ، أليست الروح أيضاً بحاجة الىٰ غذاء.

فأجابه الدكتور: لو كنت تريد معرفة تأثير الموسيقىٰ السلبي علىٰ الروح والعقل تعال الىٰ غرفتنا واستمع الىٰ بحث يقدمه شيخ عالم في هذا الموضوع.

بعد هذا الاقتراح نهض الشاب مع الدكتور وجاء الىٰ الغرفة التي اجتمع فيها الشيخ واصدقاءه، فسلما وجلسا، ثم توجه الدكتور الىٰ الشيخ وقال له: ايها العم العزيز، هذا الشاب يريد ان يعرف تأثير الموسيقىٰ في الصحة والنفس، في ضوء آخر نظريات كبار العلماء.

الشيخ: كثيرة هي الاضرار التي تتركها الموسيقىٰ علىٰ الصحة والنفس، ولكن، قبل الخوض في تأثيرات الموسيقى السلبية، لابد من الاشارة الىٰ ان علماء الفسيولوجيا قسمّوا الجهاز العصبي عند الانسان الىٰ قسمين:

١ ـ الاعصاب الارتباطية.

٢ـ الاعصاب النباتية.

والاعصاب النباتية تنقسم بدورها الىٰ قسمين هما: السمباتيك والباراسمباتيك.

ووظيفة اعصاب السمباتيك في الجسم هي: تضييق الاوردة والشرايين، بسط العضلات، منع الترشح، رفع ضغط الدم.

أمّا وظيفة الباراسمباتيك، فهي تماماً عكس الاولىٰ، مثل: توسيع الاوردة والشرايين، قبض العضلات، ايجاد الترشح، تخفيض ضغط الدم.

وما دامت هاتان المجموعتان العصبيتان بدون محرك خارجي، فانهما تعملان بشكل منظم معاً وتشتركان في الحفاظ علىٰ تعادل الجسم، ولكن اذا كان هناك محرك خارجي، فانهما تخرجان من حالتهما الطبيعية وتكون النتيجة اضطرابات نفسية وجسدية عديدة.

ومن أهم العوامل الخارجية المحركة والتي تخلّ بتعادل السمباتيك مع البارسمباتيك هي الارتعاشات الموسقية. فالموسيقىٰ وعلىٰ شكليها الحزين والمُسرّ تؤثر احياناً علىٰ تعادل هاتين المجموعتين العصبيتين بحيث تخلّ بالكثير من اعمال الجسم الطبيعة مثل: الدفع والترشح وضغط الدم وضربات القلب و... مما يعرض الشخص الىٰ الكثير من الامراض. فالموسيقىٰ الصاخبة ونتيجة لتحريك الاعصاب النباتية، قد تؤدي احياناً الىٰ اضطرابات نفسية تجعل الشخص يقوم بحركات ونشاطات مفاجئة ولا ارادية كالضحك والثرثرة والفرح المفرط والهيجان وقد ينتهي به الامر الىٰ نوع من الجنون يتميز بالانفعال الشديد[1].

اصدقائي الاعزاء!

بعد هذهِ المقدّمة سأوضح لكم الآثار السلبية للموسيقىٰ بالتفصيل، وهي عبارة عن:

١ ـ الموسيقىٰ سبب رئيسي في الانهيار العصبي:

---

(١) mania.

اهم تأثير للموسيقىٰ هو اضعفاها للأعصاب ودورها في الانهيار العصبي ، واهمية هذا الامر جعلت عالمنا المعاصر يعيش حالة من الرعب ، لان ضعف الاعصاب يعد العامل الرئيسي ومصدراً لكل الوكعات الجسمية والنفسية ، ويعدّ ضعف الاعصاب من الامراض التي يصعب علاجها اليوم وهو اخطر من مرض السلّ كما انه شائع اليوم في جميع انحاء العالم خاصة الدول الغربية ، ولهذا قامت دراسات وابحاث عديدة حوله من قبل المحافل والمؤسسات الطبية وقد بينت النتائج ان الموسيقىٰ الصاخبة هي السبب الرئيسي له .

وقد أكّد هذا الرأي العديد من علماء اوروبا وامريكا ، وقبل به الجميع بالتدريج ، للحد الذي قام فيه عدد من المثقفين والكتاب والعلماء الامريكيين ، بأعداد لائحة وقدموها الىٰ مجلس الشيوخ الامريكي . لمنع اقامة حفلات موسيقية صاخبة في الاماكن العامة ، لأنها السبب في الكثير من الامراض ، وخاصة ضعف الاعصاب . [١]

٢ ـ الموسيقىٰ سبب ضعف الارادة والالتفات غير الطبيعي :

ومن التأثيرات السلبية الأُخرىٰ للموسيقى ، هو تضعيف الارادة وايجاد التفاته غير طبيعية عند المستمع ، لان الموسيقىٰ وبسبب التأثيرات الصوتية والارتعاشات توجد حالة من البهتة والالتفات غير الطبيعي عند المستمع ، مما يؤدي بدوره الىٰ تأثيرات مبهمة في المخ علىٰ حدّ قول علماء النفس [٢] ، وهو

---

(١) الاسلام والموسيقىٰ ، نقلاً عن مجلة « ديمانش ايولستر » الباريسية .

(٢) psychologie.

عامل رئيسي في ضعف الارادة، لأن المستع وكأنما يركز كل قواه في أُذنيه وبذلك يفقد السيطرة علىٰ سائر اعضاء جسمه، ولهذا نشاهد احياناً حركات يقوم بها المستمع للموسيقىٰ، دون ارادة، وهو في الحقيقة نوع من الرقص الخفيف.

٣ـ الموسيقىٰ سبب في جمود الذهن:

ومن التأثيرات التي تتركها الموسيقىٰ علىٰ الانسان، هو الركود والجمود الفكري والذهني، للحد الذي سميت فيه الموسيقىٰ بحجاب العقل، لان الانجذاب الروحي الذي يحدث عند الشخص الذي يسمع الموسيقىٰ، يؤدي به الىٰ نوع من الصمت والتحجر العقلي، بحيث انه حتىٰ لو كان من كبار المفكرين، في تلك اللحظة، يصبح عقله غير منتج، ولو كان من كبار القضاة فسيعجز في تلك اللحظة عن البتّ في ابسط حادث، بعبارة اخرىٰ ستتأثر قواه العقلية بالاصوات الموسيقية الىٰ حد يعجز عن استخدام عقله في المجالات العلمية ومن اجل حلّ المعضلات الاجتماعية، ولذلك فكبار المفكرين وبعض الاحيان الطلبة الجامعيين الذين يسمعون الموسيقىٰ بكثرة، بطيئون في الامور الفكرية ومتخلفون في مجال الرياضيات.[١]

٤ ـ الموسيقىٰ سبب ارتفاع ضغط الدم:

التأثير الرابع للموسيقىٰ، هو انها احد اسباب ارتفاع ضغط الدم، فقد قام احد الاطباء الاوروبيين بتجربة لمعرفة العلاقة بين الموسيقىٰ وارتفاع ضغط الدم فوضع جهازاً لقياس الضغط علىٰ يديه وفتح المذياع يستمع

---

(١) الاسلام والموسيقىٰ.

لمختلف البرامج الموسيقية، فتوصل من خلال تلك التجربة الىٰ النتائج التالية:

أ ـ كلما كانت الموسيقىٰ عنيفة اكثر، ازداد ضغط الدم، وعندما كان يستمع لموسيقىٰ خاملة تؤدي للكسل والانحلال. كان انخفاض مؤشر الضغط بحدّ ارعب فيه الطبيب.

ب ـ بعض البرامج الموسيقية، لم تكن مؤثرة في المستمع بأي نحو من الانحاء.

ج ـ كان لبعض الموسيقىٰ تأثير مهدىء، وباستمرارها لفترة جعلت الضغط ينخفض اقل من الحدّ الطبيعي.

د ـ وكانت هناك نوع من الموسيقىٰ، لها تأثير علىٰ ضغط دم الدكتور بحيث اعتبرت تهديداً حقيقياً علىٰ صحته.[1]

٥ ـ الموسيقىٰ من عوامل الجنون:

في بعض سجون روسيا الخاصة بالسجناء السياسيين هناك تعذيب خاص يسمىٰ «هومة او باتيك». وعلىٰ غرار ذلك، قاموا في احد سجون «روسيا» بتعريض سجين سياسي الىٰ موسيقىٰ وطنية منها النشيد الوطني الروسي. وذلك كي يعلموه حب الوطن! لكن المسكين جُنَّ بعد خمسة اشهر فقط.[2]

---

(١) الاسلام والموسيقىٰ، نقلاً عن مجلة «ريدرز ايجست»، ترجمة الدكتور صائبي.

(٢) الاسلام والموسيقىٰ، ترجمة، جينور.

٦ ـ الموسيقىٰ سبب في الفجور:

ومن اهم تأثيرات الموسيقىٰ السيئة، هي انها تسوق المستمع خاصة الفتيان و الفتيات نحو الفاحشة، لانها تحرك قواهم الشهوانية، لأن الشباب وقبل سماعهم الموسيقىٰ ربما يعيشون حالة حياء وخجل او عوامل اخلاقية اخرىٰ لذلك لا يرضون بارتكاب اعمال حيوانية منافية للعفّة، لكنهم يكونون مستعدين للقيام بأقبح الاعمال تحت تأثير الموسيقىٰ الصاخبة، ولذلك يمكن القول ان الموسيقىٰ وخاصة الصاخبة منها لها دور كبير في اشاعة الفحشاء والمنكر اليوم.

٧ ـ الموسيقىٰ تميت العواطف:

من تأثيرات الموسيقىٰ الأُخرىٰ، انها تميت العاطفة والاحاسيس في مستمعها، ولقد شوهد اشخاص كثيرون كانوا علىٰ درجة عالية من العاطفة والاحساس والشعور وكانوا يتأثرون لمشاهدة ابسط منظر، لكنهم فقدوا تلك العاطفة وذلك الشعور بعد ان استمعوا للموسيقىٰ بشكل مستمر، بحيث اصبحت اعنف المواقف لا تأثر فيهم قيد انملة، وكلما ازداد سماع الموسيقىٰ قلّت العاطفة.

وهنا لابد من الاشارة الىٰ اننا قد نشاهد تأثر اهل الموسيقىٰ الشديد لمشهد بسيط يشاهدونه وقد يبكون أيضاً عليه، ولكن هذا التأثر والبكاء سببه ضعف الارادة وعدم وجود تعادل لديهم، لهذا علينا ان نفرّق بين العاطفة وضعف الارادة والاعصاب.

اصدقائي الاعزاء!

هذهِ بعض اضرار الموسيقىٰ الصحية والنفسية، والآن لنسمع نظريات بعض اشهر علماء اوروبا حول تأثيرات الموسيقىٰ السلبية:

▣ رأي الدكتور ولف:[١]

ذكرت مجلة «ديمانش ايلوستر» التي تصدر في باريس:

«علىٰ الرغم من ان علماء القرن الاخير، التفتوا الىٰ التأثيرات السيئة التي تتركها الموسيقىٰ في الانسان، لكنه لا يزال العديد من الناس يجهلون ذلك، حتىٰ اثبت الدكتور ولف پروفسور في جامعة كولومبيا[٢] قبل سنوات ان افضل واكثر الالحان الموسيقية جذابيّة هي اكثرها تأثيراً علىٰ اعصاب الانسان، خاصة اذاكان الطقس حاراً فان تأثيراتها المخربة تزداد، وفي مناطق حاره مثل السعودية وبعض نواحي ايران فان تأثيرها سيء للغاية».[٣]

▣ رأي الدكتور الكسيس كارل[٤]

يقول الدكتور كارل، عالم الفسيولوجيا الفرنسي الكبير:

---

(١) wolf.

(٢) colombia.

(٣) الاسلام والموسيقى.

(٤) Dr, A. carril.

«لربما ينتج عن ارضاء بعض الشهوات نوع من الاهـمية، ولكـن ليس هناك شيء اسفه من الحياة التي لا تعرف سوىٰ الرقص والتجوال بـالسيارات ومشاهدة الافلام وسماع الموسيقىٰ» !!

ويضيف: «العديد من العمال الشباب يملأون اوقات فراغهم بـالذهاب لدور السينما والديسكوهات والنوادي اللـيلية، او قـراءة القـصص السـخيفة والهذيان مع بعضهم، او سماع اكاذيب المذياع، وبعض الطلاب لا يستطيعون حفظ دروسهم الّا عن طريق المذياع، والمذياع ايضاً كـالسينما والمـوسيقىٰ يجعل الذين يولعون به في غاية الكسل. ومع ان التنزه اكثر من الحدّ الطبيعي، لا ينسجم مع الحياة. لأن الحياة عمل، الّا ان اغلب الطلاب والموظفين والعمال و... يعتبرون النزهة الشرط الوحيد في الحياة!»

وفي بحث آخر يقول الدكتور كارل:

«ان اتجاه العمال المفرط نحو المشـروبات الكـحولية دمـرّ مـجتمعنا، والبرامج الرياضية الرديئة التي تبث من الاذاعة او التلفزة، اخذت بـمعنويات ابناءنا، ومع ان الحكومات منعت منذ زمن تناول لحـم الحـيوانـات المـصابة بالسلّ وأمراض اخرىٰ، إلّا اننا بحاجة اليوم الىٰ قوانين تحدّ من انتشار تناول المشروبات الروحية المفرط والسفلس والامراض النفسية التي تسببها الافلام السينمائية والاذاعة والتلفزة والمجلات، ولان اتلاف الوقت بمشاهدة الافلام السينمائية وسماع المذياع يقللان من الذكاء.[1]

---

(١) الاسلام والموسيقى.

افضل جائزة لأفضل مغني !

اصدقائي الاعزاء !

وبعد ان سمعتم بالتأثيرات السيئة التي تتركها الموسيقىٰ علىٰ صحة الانسان وسلامته النفسية، وكذلك الىٰ نظريات كبار علماء اوروبا وامريكا في هذا الصدد، أليس من المؤسف ان تقدم في بلادنا سنوياً جائزة لافضل ملّحن ومغني وعازف، تبلغ قيمتها ستون الف تومان[1] في حين ان جائزة افضل كتاب في السنة لا تتعدىٰ خمسة آلاف تومان فقط ؟! ألن يتساءل العالم: ما الذي يحدث في ايران حتىٰ انها تفضل المغنين والملحنيين علىٰ العلماء، تفضل الشاب او الشابة الذي لا يعرف سوىٰ الغناء او العزف وتلهية الشعب المسكين واغفاله، علىٰ العالم الذي قضىٰ جلّ حياته في طلب العلم والبحث العلمي، وفي مثل هذا البلد ما هو مصير العلماء والعلم. فهل سيتقدم ويتطور بلد تكون فيه الراقصات اكثر قيمة من العلماء ؟! واذن، علام كل هذهِ المهاترات والتبجحات، بدعم العلم والثقافة ؟! بالاضافة الىٰ ذلك، أليس في هذا البلد من هو احق بمثل تلك الجوائز ؟! وأما كان من الافضل ان يعطىٰ هذا المبلغ لافضل مزارع، حتىٰ ينتج محاصيل جيدة، او الىٰ موظف يخدم بلده وشعبه بصدق، او الىٰ عامل ومهني مبدع ؟! ألا يحق للانسان الذي يشاهد هذهِ الاعمال التي تجري في البلد ان يقول لو اننا متخلفون عن الغرب خمسين سنة صناعياً، فاننا وبعض حكامنا متخلفون اكثر من ذلك عن الغرب فكرياً. فالكثير من الاعمال

---

(١) صحيفة اطلاعات، العدد ١٠١٣٣.

التي قام بها الغرب في الخمسين سنة الماضية تركها اليوم بعد ان وقف علىٰ مضارها الصحية والاجتماعية. في حين ان بلادنا لا زالت تريد الاتجاه نحو تلك الاشياء التي نبذها الغرب، وتخصص لها جوائز باسم الفن! والظاهر ان الفن الايراني هذه الايام اقتصر علىٰ الغناء والرقص فقط !!

الاسلام لا يمانع من استخدام المذياع او التلفاز

ولكن.. ارحموا اطفالكم وابناءكم

ايها المسلمون الغيارىٰ! وايها الطامحون بسعادة انفسهم وأسرهم! ويا من لا زال ضجيج حضارة الغرب لم يصمّ اسماعهم ويستطيعون سماع الحقائق واتباعها! تعالوا وارحموا اطفالكم وصغاركم الذين لا ذنب لهم، واذا لم تستطيعوا السيطرة علىٰ المذياع و التلفاز داخل البيت فالافضل ان لا تدخلوهما اليه.

ايها المسلمون الغيارىٰ! أتعلمون عظمة الذنب الذي ترتكبونه وانتم تأخذون مثل هذهِ الاجهزة الىٰ منازلكم (مع الاخذ بالبرامج الاستعمارية التي تبثها القنوات الاستعمارية في بلادنا)، فبشراءكم لهذهِ الاجهزة وادخالها للبيت دون السيطرة عليها، تجعلون افكار وعقول نساءكم وابناءكم بيد حفنة من المغنين والمغنيات والراقصات!.

ايها المسلمون الشرفاء، كيف ترضون بأن تصبح عقول ابناءكم مراتع لأفكار هؤلاء المنحطين والفاسقين، الذين سيبعدون ابناءكم واهليكم عن كل فضيلة وخُلُق. وبالنتيجة سيجدون بعد فترة ورغم انكم منعتم اطفالكم

وابناءكم من الاختلاط بمثل هؤلاء الناس. الّا انهم يعرفون كل انواع الرقص والغناء، أتدرون من اين تعلموا ذلك؟ نعم... انا اقول لكم، لقد تعلموا هذا الدرس القبيح والسيء من الراديو والتلفاز الذي ادخلتموه بأيديكم الىٰ البيت.

الاذاعة والتلفزة اللتان يقع عليهما جزء كبير من مسؤولية ارشاد الناس وتوجيههم بالمعنىٰ الحقيقي، اصبحا اداة بيد الحكومات لكي تلقن الشعب ما ترتضيه هي، وهذه الادوات في بلادنا اصبحت تعرّف لنا الراقصات والاميين والمستبدين بعناوين مختلفة مثل الفنانات والشخصيات البارزة والرجال العظماء و...!

اصدقائي الاعزاء!

ألا تعلمون ان الجهاز الاعلامي في بلادنا اصبح من اهم اسباب شقاء المجتمع وتعاسته، ويقوم بتوجيه شبابنا وصغارنا (جيل المستقبل) نحو الرذيلة و الفساد والشقاء دون ضجّة وبأعصاب باردة جداً، وللأسف الشديد نشاهد انتشار هذين الجهازين (المذياع والتلفاز) في جميع الاماكن، فالاسر التي لا تجد لقمة عيش تسدّ بها جوع اطفالها، لابد ان تشتري احد هذين وخاصة التلفاز لانه اصبح من ضروريات الحياة الحديثة كما يقولون!!! وارجو ان لا نتصور ان الاسلام يحرم المذياع او التلفاز بحد ذاتها، فهذان الجهازان قيمان جداً، ويمكن الاستفادة منهما كثيراً في تثقيف الناس ورفع المستوىٰ العلمي، اما عدم جوازه للجميع فهو بسبب البرامج التي تبثها هذهِ الاجهزة

اليوم، ولانهما اصبحا منطلقاً لتنفيذ مخططات الاعداء في افساد الشباب وتدمير ثقافة الامة والشعب، ولان الاذاعة والتلفزة اصبحتا مركزاً للهو والفساد والغناء، وهما من عوامل تخلف الناس فكرياً وروحياً، ولهذا السبب يعتبر امتلاك المذياع والتلفاز غير جائز للجميع، لانهما فارغان من البرامج المفيدة وليس فيها الا اغنية تتلوها اغنية اخرىٰ ورقص يتلوه رقص آخر و... هكذا، فهل وصل هذا الشعب المسكين الىٰ هذهِ الدرجة من السعادة في العيش، بحيثُ لابد ان يقضي ساعات طويلة من يومه بالغناء والرقص !!

اجل .. كل ذلك من اجل خنق صوت الشعب، واغفاله عن التفكير بثرواته التي تنهب، ومن اجل ان لا يلتفت الىٰ حياة الذل التي يعيشها، وحتىٰ لا يفكر : الىٰ متىٰ نكون تبعاً للأجانب الذين يقضون في كل شاردة وواردة عندنا، في حين ان العديد من شعبنا يموت لانه لا يمتلك ما يأكله او حتىٰ جرعة ماء مصفّىٰ يشربها، والظاهر ان الاجانب وعملاؤهم لم يجدوا افضل من هذهِ الوسائل لاغفال الناس وألهاءهم، وليس هناك افضل من تلك الاصوات العذبة ! والراقصات (الفنانات) الجميلات ! لهذا الغرض.

أليست هذهِ الالحان الراقصة والملهية، هي ـ علىٰ الاقل ـ مصداقاً بارزاً لـ« اللهو واللعب » الذي ينهىٰ عنه القرآن الكريم.

المشروبات الكحولية

آه .. يا ناس .. ادركوني .. قتلني هذا النذل .. هذا الساقط ..

بمجرد سماعهم لهذهِ الكلمات نهض الركاب من مكانهم وخرجوا من غرفهم ليعرفوا حقيقة الامر وما الذي حدث ، وهكذا خرج الشيخ واصدقاءه ليروا ما الامر ، لكن ازدحام المسافرين الذين كانوا ينظرون الىٰ حادث وقع ، حال دون مشاهدتهم ، لكن شرطة القطار قامت بتفريق المسافرين وادخالهم الىٰ غرفهم ، وبما ان غرفة الشيخ كانت قريبة من مكان الحادث ، لذلك تمكنوا من ان يشاهدوا جثة شاب ملقات علىٰ الأرض تسبح بدمائها فيما الشرطة تمسك بشاب آخر ثمل واقتادته الىٰ جهة اخرىٰ من القطار . وعندما سأل الشيخ واصدقاءه عن الحادث ، قال بعض المسافرين : ان هذين الشابان كان يلعبان القمار وهما ثملين وبعد ربح وخسارة لكل منهما اخذا يتمازحان ، لكن مزاحهم انتهىٰ الىٰ العراك ، ولم نسمع إلّا واحدهما ينادي : آه .. يا ناس .. ادركوني .. قتلني هذا النذل .. هذا الساقط .. ، فخرجنا ورأينا ما شاهدتموه انتم أيضاً ، فتأثر الشيخ واصدقاءه كثيراً لهذا الحادث واقفلوا راجعين الىٰ غرفهم .

الدكتور : لا ادري اي مرض هذا القمار والخمر الذي ينتشر بين هذا الشعب المسكين ، ومسؤولي البلد غافلون ولا يعملون شيئاً لتخليص الناس منه .

عباس بيضاوي: ماذا تفعل الدولة، فالمشروب لا يمكن اجتثاثه، لانه ضروري في بعض الاحيان! وعلىٰ الناس ان لا يفرطوا في تناوله.

الشيخ: اتدري ماذا تقول يا سيد بيضاوي، فهل تريد ان يبقىٰ هذا السمّ المهلك في البلد؟! اتدري ما الذي تفعله المشروبات بأجسام هذا الشعب المسكين والشقيّ؟

عباس بيضاوي: اعلم بعض مضاره، ولكن ليست بالحد الذي ادعوا لاجتثاثه من البلد، فإذا تفضلت علينا برأي الصحة والطب فيه، لربما اشاركك الرأي في منعه تماماً.

الشيخ: ان مضار المشروبات الكحولية اكثر من ان احصيها في هذه العجالة، لكني سأتحدث عنها باختصار:

١ ـ المعتادون علىٰ المشروبات الكحولية اعمارهم قصيرة:

اثبت الدكتور باركر احد اشهر اطباء نيويورك. ان موت خمسين شاباً (٢١ ـ ٢٢ سنة) من المدمنين علىٰ شرب المسكر، يقابله موت اقل من عشرة شباب غير مدمنين عليه.

وكذلك، طبقاً للابحاث التي قام بها الانجيليزي المشهُور بيسون، فإن الشباب الذين يتصور انهم يعيشون الىٰ سنّ الخمسين سنة. لا تستمر اعمارهم اكثر من خمس وثلاثين سنة بسبب تناول المشروبات الكحولية.

ويقول السيد «توماس هويتغر» ان شركات التأمين علىٰ الحياة، ثبت لديها ان اعمار الاشخاص المدمنين علىٰ تناول المشروبات الكحولية اقل من

اعمار الآخرين بنسبة ٢٥ الىٰ ٣٠ بـالمئة ؛ أي لو كـان مـتوسط اعـمار غـير المدمنين اربعين سنة ، فان متوسط اعمار المدمنين سيكون ثلاثون او ثـمان وعشرون سنة.[١]

ويقول وزير الصحة الفرنسي (برناردشنو) في احصائية مدهشة حـول خسائر المشروبات الكحولية :

« ان خسائر الافراط في تناول المشروبات الكحولية بـلغ سـنة ١٩٥٦ عشرين الف شخص »[٢].

ويقول الامين العام للجنة الدولية لمكافحة المسكرات :

ان ٢٥٪ من الاخطار والسوانح التي تظهر في العمل ، و ٥٧٪ من حوادث السيارات في فرنسا سببها استعمال المشروبات الكحولية.[٣]

٢ ـ المشروب يؤدي الىٰ مرض الكحولية :

يقول الطبيب الفرنسي المـعروف ، السـيد دوبـوي ، فـي كـتابه « الطب الحـديث » : تسـوق المشـروبات مـتناوليها نـحو مـرض يسـمىٰ الكـحولية (Alcoholism) ، فالسكران يشعر في بداية الامر بنوع من اللذة والنشوة ، لكـن تلك اللذة تتحول بسرعة الىٰ ألم وضعف ، ولكن هذهِ اللذة السريعة هي التـي تجعل الاشخاص يدمنون علىٰ شرب المسكر ، وهذا الادمان والافـراط فـي شرب المسكر يؤدي بهم الىٰ نوع من التسمم يسري في جميع الاعضاء والدم و

---

(١) مضار المشروبات الكحولية.

(٢) مجلة الصحة ، العدد ١٢.

(٣) المصدر نفسه.

يصل الامر الىٰ سوء الهضم وتعطل عمل المعدة والكبد، وتسوء حالة المجاري التنفسية وكذلك المجاري البولية، ويظهر اختلال في الاعصاب، وبالنهاية يؤدي الىٰ الجنون والخرف، وفي بعض الاحيان يموت الشخص قبل تلك الحالة.

ويقول الدكتور «غاليته بواسيه» الفرنسي:

في جميع المشروبات الكحولية سمّ يدعىٰ الكحول (Alcohol) وطبيعي كلما كان الحكول كثيراً في المشروب ازدادت اضراره أيضاً.

ولهذا فالخمرة التي يوجد في كل عشرين غرام منها ٨–١٠ غرامات كحول تكون اكثر ضراراً من سائر المشروبات الروحية.

والكحولية: هي التسمم الذي ينشأ عن الافراط في تناول المشروبات الكحولية والتي تؤدي الىٰ تلف احشاء المريض وتوقف العديد من اعضائه، فيتجه المدمن نحو الموت دون ان يشعر، والكحولية لا تحدث فجأة، بل تظهر بالتدريج»[١].

٣ ـ تأثير المشروبات الكحولية علىٰ الدورة الدموية:

ان تناول الكحول يؤدي الىٰ الاخلال في عمل الدم وايصاله الغذاء الىٰ انسجة الجسم. كما تؤدي الىٰ تراكم الدهنيات المحيطة بالقلب مما يضعّف حركة القلب، لذلك، فان نبض المدمنين علىٰ الكحول بطيء في الغالب وغير منظم، وهو السبب في اكثر امراض القلب، كما ان الكحول يؤدي الىٰ

---

(١) مضار المشروبات الكحولية.

تصلب الشرايين وبالنتيجة الىٰ ارتفاع ضغط الدم، وقد ينتهي الامر بتمزق الشراين. [1]

٤ ـ تأثير المشروبات الكحولية علىٰ القلب:

ذكر استاذ كلية الطب ورئيس مستشفىٰ «سينا» في خطاب له:

«مع ان للقلب عصبان: احدهما. «بنومونماستريك» الذي يبطيء الانقباضات او يجعلها معتدلة، والآخر، «سمباتيك» الذي يسرّع الانقباضات، فلو قطع هذين العصبين، لأستمر القلب في نشاطه، بشرط أن لا يكون الشخص مدمناً علىٰ الكحول اولاً، ومصاباً بمرض السفلس ثانياً» [2]

٥ ـ تأثير المشروبات الكحولية علىٰ الجهاز التنفسي:

ان المشروبات الكحولية تؤدي الىٰ تورم الحنجرة والقصبة الهوائية فيخشن صوته ويزداد عنده السعال نتيجة للتحريكات التي تحصل في القصبة.

كما ان المشروبات الكحولية تجعل الانسان المستعد يصاب بمرض السلّ، فالاحصائيات اشارت الىٰ ان اغلب المسلولين هم من المدمنين علىٰ المشروبات الكحولية.

وقد اثبت «البروفسور ماس» ان لمرض السلّ الرئوي ارتباط وثيق

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) م.ن.

بالكحول.

ويقول الدكتور الفرنسي «لاندوزيه»:

مرض الكحولية يهيء الجسم للاصابة بالسلّ.

كما يقول الدكتور «جاكوه تربلون»:

المشروبات الكحولية تضعف جهاز المناعة في الجسم، كما انها السبب الرئيسي في السلّ الرئوي [١].

٦ ـ تأثير المشروبات الكحولية علىٰ الجهاز الهضمي:

المشروبات الكحولية تؤدي الىٰ ضخم في اللسان وتشققات فيه، كما انها تؤدي الىٰ ورم في الحلق والبلعوم، وتأثيرها علىٰ المعدة اكبر لأنها تتوقف هناك طويلاً، فتتورم غدد المعدة وتقوم بترشيح مادة لزجة تخرج من الفم نتيجة للقيء، وفي بعض الاحيان يتقيء المدمنون علىٰ الكحول خليطاً من الدمّ، وهذا الدم يأتي من القروح التي تحدث في المعدة.

كما انها تقلل من الشهية وتؤدي الىٰ سوء الهضم واتّساع المعدة للحد الذي يمكن ان تستوعب المعدة احياناً تسعة ليترات من الماء.

والمشروبات الكحولية تؤثر أيضاً علىٰ الامعاء، وهي السبب غالباً في حالات الاسهال الدموي، ولها تأثير كبير علىٰ الكبد. فهي تؤدي الىٰ تورمه والتهابه. وامراض الكبد متلازمة عادة مع التهاب المعدة، فتؤدي الىٰ التقيّء وعدم الشهية وعلىٰ اثر تغير بالثولوجي (مرضي = pathologic) قد يحصل

---

(١) المصدر نفسه.

احتقان في اوردة المعدة، فيتقيء المريض دماً، ثم ينتج عن ذلك البواسير، وفي النهاية يأتي دور مرض الاستسقاء، فتمتلأ البطن بمائع اصفر، وتتحرك الاعضاء الداخلية عن مكانها، فيصعد القلب الىٰ الاعلىٰ والرئتين تتحركان عن مكانهما ويصبح الطحال معلقاً وقد ازداد حجمه.[1]

٧ ـ تأثير المشروبات الكحولية علىٰ الكلىٰ:

يقول احد الاطباء البريطانين:

أن نسبة عالية من امراض الكلىٰ (٨٧/٥٪) سببها المشروبات الكحولية، كما ان المشروبات الكحولية تزيد من كمية البول، وهي السبب في ورم بعض الاعضاء كالبطن والارجل والعيون.[2]

٨ ـ تأثير المشروبات الكحولية علىٰ المخ:

ان تأثير الكحول شديد علىٰ الجهاز العصبي بشكل عام والمخ بالخصوص، فغالباً ما يؤدي الادمان علىٰ الكحول الىٰ تمزق في الشريان الموصل للدم وبالنتيجة تحدث الجلطة الدماغية، التي تنتهي الىٰ الموت، وقد تؤدي احياناً الىٰ شلل في بعض الاعضاء او حالة صرع وتشنجات[3].

٩ ـ تأثير الكحول على الجلد والرقبة:

أن بشرة المدمنين علىٰ الكحول تكون حمراء، ولربما يكونون مصابين

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

ببعض الأمراض الجلدية، مثل: الاكزيما والبثور التي تظهر في الوجه و...غيرها. ونتيجة لتناول الكحول وخاصة ماء الشعير (البيرة)، تزداد احياناً الشحوم في الرقبة، فتحتاج ازالتها إلى عملية جراحية[1].

١٠ ـ المشروبات الكحولية تهيء الجسم للمرض:

بالاضافة الىٰ ان المشروبات الكحولية تسبب الامراض التي ذكرناها، فانها تجعل الجسم مهيئاً للكثير من الامراض.

ويقول «اندرسون» طبيب جلارجو المعروف:

المشروبات الكحولية تحول الاجسام القوية الىٰ اجسام مهيئة للأمراض.

وعندما انتشر الوباء سنة ١٨٣٢ في وارسوا[2] كان تسعين بالمائة من الذين ماتوا بالوباء هم من المدمنين على شرب الكحول، وعندما انتشر المرض في تفليس[3] كانت خسائر المدمنين عشرون ألف، وقد ذكر السيد هوبران ثمانين بالمائة من الذين اخذهم الطاعون سنة ١٨٣٣ كانوا مدمنين علىٰ شرب الخمرة.

ويقول العالم «استانليه»:

من الصعب جداً بقاء المدمنين في افريقيا علىٰ قيد الحياة.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) عاصمة بولندا من دول اوروبا الشرقية.

(٣) عاصمة جورجيا.

ويقول احد الاطباء الجراحين:

حسب احصائيات دقيقة فان حظ المدمنين علىٰ الكحول اقل بكثير عن غيرهم في العمليات الجراحية.[1]

١١ ـ المشروبات الكحولية تؤدي الىٰ الجنون:

يعد المسكر اهم سبب في الجنون، وتشير احصائيات المستشفيات العقلية، ان اغلب المجانين هم من الذين قضوا جلّ حياتهم بتعاطي الخمرة.

وجاء في تقرير حول عائلة امريكية: أن سبعة من افرادها بلهاء وحمقىٰ، لان ابوهم وامهم مدمنين علىٰ الكحول.

ويقول الدكتور باركر:

أن نصف حوادث الجنون والسفاهة سببها المشروبات الكحولية.

وفي تقرير لجمعية يرأسها السيد «بوانكاره» رئيس فرنسي سابق، يقول فيه: «كؤوس الوسكي الصغيرة التي يقدمها الآباء والامهات إلى اطفالهم و ابناءهم، تسبب ضعف الابناء وجيلهم، وبالنتيجة هناك اليوم مئتي الف مجنون في فرنسا، ما عدىٰ المصابين بأمراض البلعوم والحلق، والانحطاط الاخلاقي».

وحسب الاحصائية التي جرت في بريطانيا سنة ١٩٠٢، فأن عدد الاشخاص الذين اصيبوا بالجنون نتيجة لتناول المشروبات الكحولية، بلغ

---

(١) مضار المشروبات الكحولية.

٢٢٤٩ رجلاً و ٩٧٦ امرأة.

اما الامين العام للجنة مكافحة المشروبات الكحولية، فقد صرّح في المؤتمر الدولي الرابع والعشرين لمكافحة المشروبات الكحولية. بأن: ٢٠٪ من المراجعات و ٦٠٪ من المراجعين الىٰ المستشفيات هم من المدمنين المشروبات الكحولية، و ٨٠ ٪ من المجانين و ٤٠ ٪ من المرضى الآخرين هم من المدمنين علىٰ الكحول [١].

واثبتت الاحصائيات في بريطانيا ان ٩٥ ٪ من حالات الجنون سببها الادمان علىٰ الكحول [٢]، وأيضاً حسب احدىٰ الاحصائيات التي جرت في اوروبا، فان عدد مجانين كل مدينة يتناسب وعدد البارات (اماكن شرب الخمر) فيها، والجنون الخمري يكون أحياناً بسيطاً ولا يؤثر الّا علىٰ قوة العقل والذكاء، فيصبح المصاب ابله او احمق.

وجاء في تقرير اعده مستشفىٰ الامراض العقلية بطهران حول اسباب الجنون والامراض الدماغية ونشر في صحيفة اطلاعات بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٤٢:

الكحول و السفلس يهددان مجتمعنا، فلا يقام مجلس او محفل الّا وتشرب فيه الخمرة! ولا يوجد مكان الّا وفيه شخص مصاب بالسفلس، فالمشروب والسفلس ينتشران في المجتمع بكثرة، والحقيقة ان الذي يشرب الخمرة او يتجه الىٰ اماكن الاصابة بالسفلس، انما يحجز بيديه لنفسه سريرا في

(١) مجلة الصحة.

(٢) م. ن.

مستشفىٰ الامراض العقلية .

فيا مدمني الكحول ويا مصابي السفلس ، تعالوا وشاهدوا مستشفىٰ الامراض العقلية ، لتروا عاقبة اعمالكم ولتدركوا مدىٰ شقاءكم وتعاسة ابناءكم .[1]

١٢ ـ تأثير المشروبات الكحولية علىٰ الأخلاق :

لا ينحصر تأثير الكحول علىٰ الجسم فقط ، بل ان تأثيره علىٰ الاخلاق يكون اكبر ، لأن المدمن علىٰ الكحول يصبح سيء الخلق ولا ابالي وسيء الظن وشتام وبذيء اللسان .

والمشروبات الكحولية تؤدي بالانسان الىٰ درجة من الانحطاط الاخلاقي يكون فيها مستعداً لا رتكاب اي جريمة وذنب .

وقد جاء في احدىٰ الاحصائيات الدقيقة في بريطانيا سنة ١٨٧٨ ، ان المحكمة اصدرت ٥٤٣٤٨ حكماً علىٰ نساء مدمنات علىٰ الكحول ، لارتكابهن جرائم وهن في حالة سكر .[2]

١٣ ـ اضرار المشروبات الكحولية علىٰ الاسرة :

يترك الكحول آثاراً سيئة جداً في نسل المدمنين عليه ، فأطفاله غالباً ما يصابون بحالات من التشنج ، وفي الكبر يعانون من الحمق وقلة الذكاء وضعف الارادة ، كما ان الاطفال الذين يصابون بالصرع اغلبهم من ابناء المدمنين علىٰ

---

(١) مضار المشروبات الكحولية .

(٢) م . ن .

الكحول، كما ان نسبة كبيرة من اطفال المدمنين علىٰ المشروبات يعانون في الكبر من مرض السلّ.

ويقول الدكتور «كارل غريفور» الاخصائي بالامراض العصبية:

«نسبة الاصابة بالامراض الدماغية تكون بين ابناء المدمنين على الكحول ما بين ١٥ - ١٧ بالمئة، في حين انها لا تتعدىٰ ٥٪ من ابناء غير المدمنين».

وطبقاً للأبحاث التي اجراها الالماني، الدكتور لاهمان، حول تأثير المشروبات علىٰ النسل، يقول:

«هذهِ حالة نسل امرأة مدمنة علىٰ المشروبات الكحولية ولدت سنة ١٧٤٠ وتوفيت في بداية القرن التاسع عشر، فقد كان بين احفادها: ١٤٢ فقير ومستجدي، ٦١ بنت تمتهن الرقص، و ٧٦ مجرم من القتلة والسارقين انتهىٰ بهم الامر الىٰ السجن».

وأيضاً يذكر الدكتور الامريكي لفلين:

«يستطيع الرجل السليم ان يكون له حتى احدىٰ عشر طفلاً في حين ان المدمن علىٰ الكحول لا يستطيع اكثر من ثلاثة»[1].

١٤ ـ الاضرار الاقتصادية للمشروبات الكحولية:

المشروبات الكحولية دمرت العديد من الاسر واحالة حياتهم الىٰ شقاء وتعاسة ومآسي، ففي سنة ١٩٠٢م استهلك ٢٦٣ مليون لتر من ماء الشعير

---

(١) م.ن.

(البيرة) في الدول المتحضرة، اما المبالغ التي صرفت علىٰ شراء سائر انواع المشروبات مثل النبيذ والويسكي والكونياك والشمبانيا وغيرها، فهي طائلة جداً، ففي امريكا وحدها صرف سنة ١٩٣١ مبلغ ٤٠٠ مليون جنيه (عملة امريكا هي الدولار)، وفي يوغسلافيا يصرف سنوياً مبلغ ٢٠ مليون جنيه استرليني علىٰ المشروبات الكحولية. وفي بلادنا (ايران) وحسب الاحصائيات الدقيقة التي نشرت سنة ١٩٣٣ ففي شيراز وحدها صرف مبلغ مليون ومئتي الف ريال علىٰ النبيذ لوحده. ونفس السنة صرف علىٰ النبيذ في طهران مبلغ سبعة ملايين وخمسمائة وخمس وتسعون الف وستمائة وسبعة وثلاثين ريالاً (٧٥٩٥٦٣٧) وفي مدينة رشت صرف في سنة واحده مبلغ مليون وثمانمائة الف ريال لشراء المشروبات ووصل المبلغ في تبريز الىٰ مليون ومائة وثلاث وعشرين الف ريال.

وفي دولة اتازونيا تم صرف مبلغ ٤٠٠ مليون جنيه علىٰ المسكرات سنة ١٩٣١، وفي ايران سنة ١٩٥٢ صرف ما مجموعه اربعة ملايين ريال على المشروبات الكحولية بما في ذلك اسعار المواد الاولية وضرائب الدولة وعوارض البلديات، وهذا جانب يسير من الاضرار الاقتصادية للمشروبات الكحولية في سنة واحدة، ولبعض مناطق العالم.[١]

وحسب احصائيات سنة ١٩٥٨ فقد تم استهلاك عشرة ملايين قنينة مشروبات كحولية، حيث تجاوزت كلفتها ثمانمائة مليون ريال.[٢]

---

(١) م. ن.

(٢) صحيفة اطلاعات، العدد ١٠٢٥٩.

١٥ ـ الاضرار الاجتماعية للمشروبات الكحولية :

ان الاضرار الاجتماعية التي يتركها الادمان علىٰ تناول المشروبات الكحولية ، تفوق بكثير الاضرار التي تلحق بالفرد ، لان السكران ، عندما يصل الىٰ مرحلة الجنون الخمري يتحول الىٰ سارق والىٰ قاتل ومجرم ، والمآسي التي يأتي بها مثل هؤلاء الاشخاص لا تنحصر بأنفسهم واسرهم ، بل تشمل المجتمع الذي يعيشون فيه ايضاً .

وفي خطاب لأحد وزراء اتازونيا ، يقول : « لقد صرفت امريكا في فترة عشر سنوات ما يعادل ثمانية عشر مليار دولار علىٰ المشروبات وكانت النتيجة كالتالي :

اضيف الىٰ دار المساكين مئة الف شاب ، ودخل السجون مئة وخمسين الف مجرم ، وقتل الف وخمسمائة شخص وانتحر الفين آخرين ، وترمّلت عشرون الف امرأة ، وولد مليون طفل بدون اب » .

وكان رئيس وزراء بريطانيا (لويد جورج) قد قال في الحرب العالمية :

لبريطانيا عدوان : المانيا والكحول !

وفي بيان لـ « بوانكاره » رئيس جمهورية فرنسا ورئيس لجنة مكافحة الكحول اصدره في الحرب العالمية الثانية يقول :

يا ابناء فرنسا ، ان اكبر عدو تواجهونه هو المشروبات الكحولية ، وقبل ان تكافحوا الخطر الالماني كافحوا خطر الكحول .

فالخسائر التي قدمتها فرنسا منذ ١٨٧٠ نتيجة الادمان علىٰ الكحول

زادت بكثير علىٰ خسائر الحرب العالمية الثانية، فالمشروب الذي يظهر لذيذ في افواههم ما هو إلّا سمّ يشيخكم ويقصر اعماركم ويجعل اجسامكم مريضة عاجزة.

ويقول احد الاطباء الالمان المعروفين: ان سبب اكثر الجرائم التي ارتكبها الالمان في الحرب هو المشروبات الكحولية التي كانوا يتناولونها، فالكحول يمت العواطف ويذهب بالعقول، ويسوقهم نحو الوحشية والبربرية [1].

١٦ ـ المضار السياسية للمشروبات الكحولية:

قد ينتهي تناول المشروبات الكحولية بالنسبة للسياسين والمسؤولين الحكومين الىٰ مصائب تحلّ بهم وببلدانهم، فلربما يفرط احدهم بالشرب وهو في مجلس رسمي او مؤتمر عام ويبدأ بافشاء اسرار بلاده العسكرية والسياسية... او انه يهاجم احدىٰ الدول القوية بشدة ـ بسبب فقدانه السيطرة علىٰ قواه العقلية بشكل كامل ـ ينتهي الامر الىٰ حرب مع تلك الدولة وقد تشمل تلك الحرب العالم كله، حسب مكانة الدولتين علىٰ الساحة الدولية.

(١) مضار المشروبات الكحولية.

انذار

احصائية مدهشة !

وصفت احدىٰ الصحف الواسعة الانتشار، وضع طهران (احدىٰ عواصم بلاد المسلمين !) من حيث المشروبات الكحولية، فقالت :

« يوجد في طهران، مقابل كل مكتبة اربعة محلات لبيع المشـروبات ! وفيما يلاحظ انخفاض مستمر في عدد نسخ الكـتب المـطبوعة، فان انـتاج المشروبات الكحولية يتزايد يومياً » .

وحسب احصائية عامة نشرتها وزارة الداخلية سنة ١٩٦١، يوجد في طهران ٦٨١ كل اغذية مطعم و ١٣٤ محل لبيع المشروبات الكحولية، في حين ان مجموع مكتبات طهران ومحلات بيع القرطاسيات لا يتعدىٰ ٢٦٠ (طبيعي ان ثلثا هذا الرقم محلات بيع القرطاسية)، ويوجد حالياً اكثر من ٤٠ مـعمل لصناعة المشروبات في ايران وينتج سنوياً وبشكل رسمي في طهران وحدها خمسة ملايين قنينة خمر و فودكا، و ٢٥٠ الف قنينة كونياك، اما انتاج معامل المدن الباقية فهو رقم قريب مما ذكرناه، وينتج في ايران سنوياً حدود ثلاثين مليون قنينة ماء شعير (البيرة) .

وبـالاضافة الىٰ ذلك فـقد نشـرت مـؤسسة ابـحاث الاحـصائيات الاقتصادية في وزارة التجارة، انه تم استيراد ما يبلغ قيمته مـليون وثـلاثمائة

وثمانين الف ريال من مختلف المشروبات الروحية الاجنبية وذلك في سنة ١٩٦١ فقط.[١]

ومع الاخذ بمخارج المشروبات الكحولية والاضرار التي تتركها علىٰ الصحة والنفس والاخلاق والمجتمع والاسرة والاقتصاد و .... يمكن معرفة القيمة الحقيقية لحكم الاسلام في المسكرات وعظمة العمل الذي قام به من خلال تحريمها منذ اربعة عشر قرن سبقت وفي ذلك العالم المظلم، وكان تحريم الاسلام لهذا السمّ المهلك بدرجة من الشدة بحيث لم يجز تماماً استعماله حتىٰ للعلاج.

يقول الامام الصادق عليه السلام : لم يجعل اللّه هذا السمّ المهلك شفاء[٢].

الدكتور : لا اتصور ان يوافق العلماء الكبار والطب المعاصر في ذلك الاسلام، لانهم يستخدمون المشروبات الكحولية احياناً كعلاج ودواء مقويّ.

الشيخ : ابداً وعلىٰ عكس ما تتصورون، عالم الطب سعىٰ يوماً بعد يوم الىٰ معرفة هذهِ الحقيقة، وهي ان المشروبات الكحولية مضرّة للجميع حتىٰ للأمراض التي يعتبر المشروب دواءها، وبالنتيجة فإن استخدام المشروبات الكحولية كعلاج في عالم اليوم أخذ ينحسر شيئاً فشيئاً، ودليل ذلك الخطاب المسهب الذي ألقاه أحد الاطباء المشهورين في عصرنا وفي مجمع عام اقيم لبحث مسألة المشروبات الكحولية، فقال في آخر خطابه : « ولا أؤمن بتجويز

(١) صحيفة كيهان، العدد ٩٢٢٩.

(٢) فروع الكافي : رواية أبي بصير في سؤال ام معبد الخالدية من الامام الصادق عليه السلام.

المشروبات الكحولية كدواء مقوّي ايضاً، واوصي بالاحتراز منها خاصة بالنسبة للنساء والاطفال، لأن ضررها اكثر من نفعها»[1].

الدكتور: بعض المدمنين علىٰ المشروبات يتصورون ان لها فوائد أيضاً.

الشيخ: هذا الظن مصدره تلك العقول المخمورة، وهو خطأ تماماً ولا اساس له من الصحّة، لان الفوائد التي تذكر للمشروبات الروحية هي كالتالي:

أ ـ ترفع من حرارة الجسم في المناطق الباردة.

ب ـ مفيدة بالنسبة للهضم.

ج ـ تقوي الجسم.

ولكن الفوائد الثلاثة التي ذكروها، ليست حقيقية، ففيما يتعلق برفع درجة الحرارة في المناطق الباردة، فان التجربة الطبية اثبتت ان المشروبات الكحولية لا تنتج حرارة في الجسم بقدر ما ينتجه السُكر، الذي يستخدمه الطيارون والصيادون في المناطق الباردة لحفظ حرارة الجسم وتقويته في مواجهة الصعوبات والتعب، في حين ان المشروبات الكحولية تقلل من مقاومة الجسم.

وفيما يخص فائدته في هضم الاكل، فهو خطأ تماماً، بل ان كثرة استخدامه يؤدي الىٰ اضرار جسيمة، لانه في البداية يقوم بتحريك وتهيج لكنه يؤدي الىٰ تعب الاعصاب المحركة للأوعية، وبالنتيجة يسبب توقف عملية

(١) مضار المشروبات الكحولية.

الهضم ، وبالاضافة الىٰ ذلك يؤدي الكحول الىٰ تصلب الاكل فيجعل الانزيمات المعدية عاجزة عن هضمه .

اما الفائدة الثالثة التي ذكروها ، فهي ايضاً كسابقاتها ، لانه وحسب التجارب التي جرت في الجيش البريطاني ، فقد ثبت ازدياد حجم تحمل الجنود الذين لا يشربون الكحول امام الصعوبات التي تواجههم بالنسبة للأشخاص والجنود المدمنين علىٰ شربها . وايضاً حسب الاحصائيات التي اجرتها شركات التأمين علىٰ الحياة في العالم ، فان طول عمر غير المدمنين اكثر بكثير من الاشخاص المدمنين[1].

أجل ، ان خطورة المشروبات الكحولية بلغت حداً جعلت عالم اليوم المتحلل أيضاً يخاف من ذلك ، وبالنتيجة بدأت في اوروبا نشاطات واسعة لأجتثاث هذا السائل المدمّر من المجتمع .

وفي امريكا اقرّ قانون يحضر شراءه وبيعه وانتاجه وتصديره واستيراده وقد قام العلماء الامريكيون بنشاطات واسعة لتوعية الناس علىٰ مضاره ، من خلال الخطب وعرض الافلام ... لكنه وبعد اثنتي عشرة سنة من المكافحة ، اجبرت الاكثرية من الامريكيين الماضين المشرعين علىٰ سنّ قانون يلغي ذلك الحضر علىٰ استعمال وانتاج واستيراد المشروبات الكحولية ، ومرّة ثانية بدأوا بنشر هذا السمّ المهلك في مجتمعهم .

وفي بريطانيا ، كثر في وقت ما شرب الكحول بحيث اصبح يهدد اساس المجتمع ، فخاف الحكام البريطانيون من ذلك ووضعوا ضرائب كبيرة علىٰ بيعه

---

(١) م . ن .

واقروا ذلك في مجلس العموم البريطاني أيضاً ، لكن اقرار ذلك القانون احدث ضجة في الشعب البريطاني ، فأغلقوا الاسواق حداداً ، ونتيجة للاضطرابات التي حدثت والمواجهات جعل الحكومة تسحب قرارها ورجع الناس ثانية الىٰ شرب وبيع انواع المشروبات الكحولية بحرية تامة .

اصدقائي الاعزاء !

مع الأخذ بما ذكرناه ، أليس من المخجل اننا في بلد اسلامي ، بل جعفري ودستوره يقرر علىٰ المسؤولين تطبيق الاحكام الاسلامية ، في مثل هذا البلد لا ترىٰ اي نشاط او قانون يحدّ من استعمال ويمنع شرب هذا السائل الخطر . والادهىٰ من ذلك وهو وجود مؤسسة رسمية باسم « الرساميل » تجني من خلالها الدولة يومياً (في سنة ١٩٤٤) ستين الف تومان (كل تومان واحد يساوي عشرة ريالات) كضريبة شرعية ! وقد بلغت تلك الضرائب سنة ١٩٦٠ اكثر من ستين مليون تومان[١] .

قوانين الدولة فيما يتعلق بالمشروبات الكحولية :

الدكتور : يبدو ان في بلدنا قوانين تمنع استعمال المشروبات الكحولية أيضاً .

الشيخ : من بين جميع قوانين الدولة هناك مادتين قانونيتين فقط حول

---

(١) اطلاعات السنوية (١٩٩١) القسم الرابع .

المشروبات الكحولية ، هما :

الأُولىٰ : قانون مصوب بتاريخ شباط ١٩٥٤ ، وهو قانون منع انتاج وشراء وبيع واستعمال جميع انواع المشروبات الكحولية ، وهذانصّه :

« علىٰ الحكومة من تاريخ اصدار هذا القانون وحتىٰ ستة اشهر منع استيراد وانتاج وبيع وشراء واستعمال جميع انواع المشروبات الكحولية »[1].

حسن الطالب الجامعي : ايها العمّ ! لقد مضىٰ علىٰ هذا القانون بدل الستة اشهر ست سنوات ، فلماذا لا تطبقه الحكومة ؟

الشيخ : بني العزيز ، ألا تعلم ان الساعات والايام تمر في هذا البلد ببطء ؟! بالاضافة الىٰ ان عقلي وعقلك عاجزان عن الفهم ! ومصالح الدولة العليا ! تقضي عدم تطبيق هذا القانون ، فالحكومة الايرانية المسلمة ! تجني عن هذا الطريق سنوياً ملايين التومانات كضرائب ، فكيف يمكن ان تغض الطرف عن هذا المبلغ الطائل ؟![2].

الثانية : المادة ٢٥٧ التي تم تعديلها بتاريخ ٢٩ / ٦ / ١٩٤٩ ، وهذا نصّها :

« يحكم بالحبس التأديبي من ثلاثة اشهر حتىٰ ستة اشهر كل من يتجاهر

---

(١) كتاب قوانين العقوبات .

(٢) الغريب ان الحكومة تعتبر الضرائب التي تأخذها من موارد المشروبات الكحولية منافع اقتصادية ، لكنها لا تنظر الىٰ ملايين التومانات التي تصرف سنوياً علىٰ المستشفيات والعلاج والاطباء ، وكذلك ما ينتج عن القتل والجرائم والاعتداءات من اضرار اقتصادية فضلاً عن الاضرار الاجتماعية والنفسية ...الخ !

بأستعمال الترياق او عصارته او المورفين او الهيروئين او الكوكائين او الحشيش ، او يتجاهر باستعمال المشروبات الكحولية »[1].

حسن الطالب الجامعي : ايها العمّ ، فهل مضار المشروبات الكحولية محصورة في التجاهر باستعمالها ، ولو شربت بعيداً عن الانظار ليس فيها اي ضرر ، وبالاضافة الىٰ ذلك كيف يحكم علىٰ التجاهر بالشرب بالسجن ، في حين ليست هناك عقوبات علىٰ بيعه علناً ووجود مئات المحلات التي تبيعه في شوارع واسواق المسلمين ؟ فالذين يشترون هذه المشروبات بشكل علني من تلك المحلات ، لماذا يدفعون اموالاً لها ، اليس للشرب ؟

والحقيقة ان الذي ينظر بتمعن في مثل هذه النماذج من قانون بلادنا سيقول ان هذهِ البلاد غريبة او انها ارض المخلوقات العجيبة !

الشيخ : بني العزيز ! ألم اقل لك ان عقولنا لا تستطيع فهم ذلك وان هناك من يفهم افضل منا ! ولابد ان حكومة ايران تريد المحافظة علىٰ الشؤون الاسلامية ، وتمنع فقط التظاهر بالذنب .

حسن الطالب الجامعي : اذا كان هذا هو هدفهم ، فلماذا لا تغلق ابواب محلات بيع المشروبات ، ألا تعتبر كل هذهِ المحلات المخصصة لبيع المشروبات في الشوارع والاسواق تظاهراً بالذنب ؟!

الشيخ : ألم تسمع يا بني القول : احسن الظن بما يفعله المسلم ! ألم تسمع انهم يقولون طهرّ قلبك ؟! تيقن ان نيات مسؤولي بلدنا وحكامنا سليمة ! لا تنظر

---

(١) كتاب قوانين العقوبات ، الفصل الخامس عشر .

الىٰ اعمالهم ، صحيح ان محلات بيع الخمور تعمل بكامل حـريتها ، والخـمرة ايضاً كثيرة في البلد ، وبالنتيجة تقع يومياً مئات الجرائم والاعمال والقتل بسبب السكر والعربدة و... ولكن المهم هو القلب والنية ، ونية حكامنا سليمة انشـاء الله تعالىٰ !!!

نص حديث .. مع اية اللّه العظمىٰ البروجردي

واختم حديثي ، بأقوال مهمة وتاريخية لسماحة اية اللّه العظمىٰ السيد البروجرودي ـ مد ظله العالي ـ قالها للـدكتور «ارشـه تـونك» الامـين العـام للمنظمة الدولية لمكافحة الكحول ، جواباً علىٰ اسئلته ، في مـجلس « ارشـه تونك » مع الدكتور چهرازي استاذ جامعة طهران وامين لجنة مكافحة الافيون والكحول في ايران ، وذلك عندما ذهب الاثنان الىٰ زيارة السيد البروجرودي في بيته في مدينة قم ، وهنا ننقل لكم ما نشرته الصحف في اربعة صفحات حول الزيارة :

يقول الدكتور چهرازي :

« حسب الموعد الذي ضرب لنا مسبقاً ذهبت ومعي الدكتور ارشه تونك الامين العام للمنظمة الدوليـة لمكـافحة الكـحول للـقاء ايـة اللّـه العـظمىٰ (البروجردي) ، وقبل الدخول الىٰ الغرفة خلعنا احذيتنا ، وبعد دخلونا تـقدمنا لتقبيل يديه ، وقد اثر في نفوسنا وضع البيت وبساطته كثيراً ، وقد استقبلنا السيد بوجه ضحوك ووجه بشر وكان مسروراً لهذا اللقاء ، فأخذ بمجاملتنا .

وبعد ان شكرته علىٰ ذلك وعلىٰ اعطائه فرصة للقائه، قلت له : السـيد

ارشه تونك من سويسرا وهو الامين العام للمنظمة الدولية لمكافحة الكحول ، ومن اجل هدفه المقدس (مكافحة الكحول) كان مسافراً الىٰ اندنوسيا وطهران ، فأحب ان يلتقي سماحتكم ويطلب منكم الآن الاجابة علىٰ بعض اسئلته .

فرحب السيد البروجردي بذلك وسأله ارشه تونك : سماحة اية اللّه ! لماذا حرّم الاسلام الخمرة والمسكرات ؟

فأجابه السيد : ان الانسان اصبح اشرف المخلوقات لامتلاكه العقل ، والهدف من خلقه هو السير فى طريق الكمال ومعرفة اللّه عز وجل ، وهذهِ الامانة العظيمة التي اودعها اللّه فينا وهي العقل، فقد وضع لنا احكاماً في خلقها وصيانتها ، ومن تلك الاحكام ما قاله الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله في حرمة استعمال وشرب الكحول مادام يؤدي الىٰ السكر واختلال العقل ، وضرورة هذا التحريم واضحة لكل عقل سليم .

ثم سأل ارشه تونك : ذلك اذا ما كان شرب المشروبات الكحولية لحد يذهب العقل ويخلّ بالشعور ، اما اذا استخدم مقدار قليل منه ، بحيث لا ينتهي الىٰ السكر ، فماذا تقولون عنها ؟

فأجابه السيد : اذا علمنا ان افضلية الانسان علىٰ الحيوان هي بسبب عقله ، وعندما ثبتت لدينا مسؤولية الانسان في حفظ تلك الوديعة السماوية والسعي لصيانتها ، اظن فسيكون كل ما يضعّف تلك القوى او يبطئها غير جائز ، ومن البديهي ان شرب الخمرة بأي مقدار كان يؤثر علىٰ العقل والشعور .

وبالاضافة الىٰ ذلك، هناك موضوع في غاية الاهمية، وهي ان اللّه اعلم بخصائص الطبيعة الانسانية، ويعلم طبيعة البشر في الزيادة وعدم الوقوف عند حدّ معين، لذلك لو كان قد اجاز مقداراً قليلاً منه، لصعب تحديد ذلك القليل فيما بعد، لذلك ومن اجل ان يخلص البشرية من مهالك ذلك السمّ القاتل حرّم شرب قليله وكثيره.

ثمّ ينقل الدكتور چهرازي بعض آيات القرآن في تحريم الخمر قرأها السيد البروجردي ثم يقول: بعد ان سمع ارشه تونك الجواب الثاني من السيد البروجردي، قال لسماحته: «منذ عشرة سنوات وانا مسؤول هذهِ المنظمة الدولية لمكافحة الكحول، وخلال هذهِ الفترة التقيت وتحدثت مع العديد من الشخصيات البارزة في العالم، سياسية واجتماعية ودينية، لكنني اقول بصراحة، انني لم استمع الىٰ شخص تكلم بمثل ما قلتموه من كلام واضح ومبرهن وشامل حول موضوع الكحول، وما تفضلتم به سيكون السند الاكبر في كفاحنا ضد الكحول في العالم.

والحقيقة ان افضل سبيل لبلوغ اهدافنا هو اتباع اوامركم وما تفضلتم به علينا، وباسمي وباسم جميع المنظمات الدولية لمكافحة الكحول. اشكركم يا سماحة اية اللّه وآمل ان نوفق في هذا الكفاح بقيادتكم».

ثم يقول الدكتور چهرازي: «وفي ختام اللقاء قبلنا يديه مرّة ثانية، وطلبنا الانصراف من سماحته بعد أن أثرت كلماته كثيراً في الدكتور ارشه تونك. بجلالها الطبيعي وبساطتها. وبعد ان عاد الدكتور ارشه تونك الىٰ سويسرا، كتب لي ان اوصل احتراماته وشكره من جديد لسماحة ايه اللّه

البروجردي».

كانت هذه خِلاصة ما نشر من لقاء الدكتور چهرازي مع السيد البروجردي.

القمار واضراره

الدكتور: ايها العمّ، لا ننسىٰ ان القتل الذي حدث في القطار لم يكن سببه الوحيد المشروب، بل كان للقمار ايضاً دوراً فيه. لذلك سنكون ممتنين لك لو حدثتنا عن القمار ومفاسده ايضاً.

الشيخ: القمار من المواضيع الواضح ضررها ومفاسدها علىٰ جميع الناس، وقد قامت بعض الدول بمنعها تماماً. اما تلك الاضرار فهي كالتالي:

١ ـ الاضرار الاقتصادية:

يمكن ان يوجه القمار اكبر ضربة اقتصادية للشخص، لانه كثيراً ما يحدث ان شخصاً يقوم بجمع ثروة علىٰ مدىٰ العمر من خلال النشاط والتعب. لكنه يفقدها خلال ليلة او ليالي متوالية في لعب القمار، ويعود الىٰ بيته بيد خاوية إلّا من الندم.

فالمقامر المسكين وبعد اول لعبه يتصور انه سيربح في الدور الآخر وهكذا يلقي بنفسه في التهلكة ويبدأ باللعب. فلو ربح يسوقه طمعه الىٰ لعب اكثر وإذا خسر يحاول جبران ما فقده في الادوار التالية، وهكذا يتورط في اللعبة للحد الذي يصبح من روادها الدائمين، فأما ان يفقد ثروته ويتحول الىٰ فقير في ليلة واحدة او ليالي قليلة، او انه يصبح من اولئك الذين يفرغون

جيوب الآخرين ويحولون حياتهم الىٰ شقاء وتعاسة.

٢ ـ الاضرار الاخلاقية؟

يُعد القمار من آفات الاخلاق والفضائل النفسانية، والقمار يسبب لصاحبه (المقامر) السهر وعدم النوم (خاصة اذا كان المقامر خاسراً)، وتسلب الراحة من حياته، ويكون عصبياً علىٰ الدوام وسيء الخلق، وبشكل دائم يفكر بحلّ يعوض فيه ما فقده، لذلك يصبح حساساً، ولا يستطيع السيطرة علىٰ اعصابه، يثور لأبسط شيء، لهذا يشاهد المقامرون في حالة تفكير وقلق علىٰ الدوام، تخلو وجوههم من اي نشاط وبسمة، كما ان المقامرين غالباً ما يصابون بأمراض من قبيل: البخل والحسد والعصبية والتشاؤم والانكسار النفسي.

٣ ـ تأثيرات القمار السيئة علىٰ الاسرة:

طبيعي ان المقامر الذي يصاب بانحرافات اخلاقية وبسبب السهر وعدم النوم والتفكير سيصاب بضعف عصبي، وسيثور مقابل اقل تحريك او حادث وسيكون سيء الظن بالجميع.

وبديهي جداً ان اول من سيواجه هذه الحالة في المقامر هم اعضاء اسرته المسكينة من الزوجة والابناء، وتكون تلك الاسرة المنكوبة والشقية مضطرة لمعاشرة انسان سيء الخلق عبوس عصبي المزاج، لذلك فكثيراً ما يحدث ان

تنتهي مشاجرات بسيطة في مثل تلك الاسر الىٰ الطلاق والتشتت.

٤ ـ القمار سبب في الجريمة

كثيراً ما يحدث ان يفقد شخصاً كل اتعاب حياته في ساعات معدودات من لعب القمار، خاصة اذا كان شخصاً محترماً ووجيهاً، فانـه سـيفكر بـعدم استطاعته دخول مجال النشاط الاقتصادي والكسب بيد خـاوية، لانـه فـقد بهذه الاعمال الاثيمة ثروته وحيثياته الاجتماعية، وسـوف لن يـجد طـريقاً امامه إلّا الانتحار. وبتصوره انه سينجو من جميع تلك الآلام والافكـار بـهذا العمل.

فأحد الارجنتينيين فقد في مدة ١٦ ساعة جميع ثـروته البـالغة اربـعة ملايين دولار، وبعد ان اغلقت ابواب النادي، اتجه مباشرة الىٰ احدىٰ الغابات وافرغ في رأسه طلقة من مسدسه.[١]

وتذكر احدىٰ المجلات الاسبوعية: «ان معدلات الانتحار بسبب القمار في تزايد مستمر، ومن خلال احصائية نشرتها مؤسسة غالوب، يتّضح أنه في سنة ١٩٦١ سُجل اعلىٰ معدل لانتحار المقامرين، ففي باريس انتحر اثنا عشر مقامراً في السنة الماضية[٢].

وكثيرة مثل هذه الجرائم التي تنتج بسبب القمار، فضلاً عـن التشـاجر

---

(١) مجلة المثقف ٣ / ١ / ١٣٦٢.

(٢) مجلة المثقف، العدد ٧ سنة ١٣٦٣.

والتقاتل بالسكاكين الذي يحدث خلال اللعب، لان تقابل مقامرين سيئي الخلق وحساسين يجعلهما مثل المادة المتفجرة مهيئين في كل لحظة للانفجار ويكفي لذلك شرارة بسيطة تنطلق من احد الطرفين. وهذا الخبر هو نموذج لمثل تلك الجرائم:

احد المقامرين الذين وجه لمقامر آخر ثلاث طعنات بالسكين في خاصرته، اردته قتيلاً، قال عند استجوابه من قبل الشرطة: «لقد غلبني اموال كثيرة في اللعب، ولم يكن مستعداً ان يستمر في اللعب معي، ورغم اصراري لم يقبل واراد ان يهرب، فتبعته و....».

وفي بعض الاحيان يكون القمار لوحده سبباً في موت المقامر، للتبعات السيئة التي يتركها، وفي هذا الصدد، استمعوا الىٰ هذا الخبر.

« توصل احد الاطباء الامريكيين بعد سنوات من الابحاث الىٰ هذه النتيجة، وهي انه في امريكا يموت سنوياً اكثر من الفي شخص بسبب القمار، واثبت الطبيب ان ضربات قلب المقامر ترتفع بشدّة اثناء اللعب، وان قلب مقامر ماهر تزيد ضرباته علىٰ المائة في الدقيقة، وهذا النبض غير الطبيعي يجعل المقامرين يموتون وهم خلف منضدة اللعب، او انهم يهرمون قبل سنّ الهرم بعشرة او خمسة عشر سنة ».

٥ ـ الاضرار الاقتصادية للقمار

القمار يوقف العجلة الاقتصادية للمجتمع، وتعلل في النشاطات الانتاجية، لأن المقامر يصرف كل فكره في كيفية قضاء الوقت بهذه اللعبة

واكتساب المهارة التامة فيها. ولانه يتصور انه سيربح في غضون ساعة ما يكفيه كل العمر! ولهذا فقليلاً ما يفكر بالانتاج والتجارة والعمل.

وحتىٰ لو فكر بتلك الامور فلن يستطيع العمل كأي انسان عادي وذلك بسبب تأثير تلك الحالة السيئة التي تسيطر علىٰ كل عقله. وهذا من اكبر الاضرار التي يأتي بها القمار للمجتمع.

٦ ـ تأثير القمار علىٰ شرف الانسان وناموسه

لربما يصل الامر بالمقامر، بعد ان يفقد جميع ثروته، ان يراهن علىٰ زوجته وابناءه وبناته.

اعتراض من قبل الجميع: ايّها الشيخ! ما الذي تقوله. اي انسان عاقل وغيور يراهن علىٰ زوجته وابنائه وبناته ويغامر بهم؟! فهذا العمل لم يحدث حتىٰ في القرون الوسطىٰ وبين المتوحشين.

الشيخ: لا تجهدوا انفسكم وتذهبوا بعيداً الىٰ القرون الوسطىٰ، لان هذا الامر يحدث في عالمنا المتحضر، العصر الذهبي! وفي اكثر البلدان تحضراً علىٰ الكرة الارضية، التي ما ان يسمع بها بعض مغفّلينا حتىٰ يسيل لعابهم عليها.

نعم .. في امريكا، حدث ذلك وقد نقلته احدىٰ الصحف المهمة في اخبارها الخارجية، واليكم خلاصة ما ذكرته الصحيفة: «في المكسيك كان احد الاثرياء يلعب القمار مع صديق له لكنه كان يخسر علىٰ الدوام، حتىٰ

خسر ثروته وبيته وسيارته، وكل ما يملك دفعه واحدة.

ومع ذلك لم ييأس فبقي يلعب ولكن هذه المرّة كان الرهان زوجته، لكنه هذه المرّة ايضاً خسر. فألتفت وبدون اي خجل الىٰ زوجته وقال لها: اصبحت الآن ملك هذا الرجل لانني فقدتك في القمار معه. لكن المرأة المسكينة امتنعت عن ذلك، لكن زوجها كان مصرّاً علىٰ دفعها الىٰ الرجل، وكلما زاد اصراره زادت مقاومة المرأة ايضاً، الىٰ ان هجم عليها واخذ في ضربها بقسوة. مما اضطرت الشرطة الىٰ التدخل ونقل المرأة الىٰ المستشفىٰ لعلاج الجراحات التي اصابتها علىٰ يد زوجها»[(١)].

وتقول احدىٰ المجلات الاسبوعية: من اقبح اعمال المقامرين في النوادي الخاصة ـ حيث يشاهد فيها رجال ونساء اوروبا المتحضرين ـ هو انهم يقامرون علىٰ نسائهم، وقد شوهدت نماذج عديدة من ذلك بين المقامرين من الداخل والخارج، كما ان اغلب هذه الرهانات تنتهي بالانتحار[(٢)].

سعادة الدكتور! هذه نماذج من السلوكيات الوحشية والمنحطة لعصر الذرة ودنيا الحضارة الجديدة، ولم يشاهد لهامثيل إلّا في عصر الجاهلية اي قبل الف واربعمائة عام وفي مورد واحد فقط، لان التاريخ ينقل لنا: قبل اشراقة شمس الاسلام، كان النبي صلى الله عليه وآله يمشي يوماً في سوق مكة، فرأىٰ رجلين يلعبان القمار، وشاهد النبي صلى الله عليه وآله ان احدهما فقد جميع ثروته، فراهن علىٰ غلمانه وجواريه، وخسرها ايضاً، حتىٰ وصل الامر به أن يراهن علىٰ ان

---

(١) مجلة اطلاعات الاسبوعية، العدد ١٠٦٠.

(٢) المصدر نفسه.

يستعبد لفترة عشر سنوات، وخسر ايضاً!

فتأثر الرسول ﷺ لذلك كثيراً وخرج مباشرة الىٰ خارج مكة، فتوجه بالدعاء الىٰ اللّه: اللّهمَّ عجّل بعثتي وأمرني بهداية هذه الأمة، حتىٰ اخرجهم واخلصهم من هذة الحياة المهينة، وهذا الوضع المنحط، وهذه الرذائل الاخلاقية.

هذه القصة حدثت قبل خمسة عشر قرناً، وبعد اهل الجاهلية، كررها علىٰ ابشع صورها اهل عصرنا، عصر الحضارة والمدنية الاوروبية والامريكية، وتبعهم في ذلك بعض ممن يُسمون بالمسلمين والاسوء من كل ذلك، هو ان الكثير من الاعمال التي كانت تعتبر قبيحة وسيئة حتىٰ في العصر الجاهلي المظلم آنذاك، اصبحت اليوم من علامات الحضارة والمدنية الغربية الحالية!!

الىٰ هنا، اوضحت لكم جوانب عديدة من مضار القمار، لكن الذي يؤسف له هو شيوع هذا العمل السيء في بلادنا بكامل الحرية، فالعديد من ابناء شعبنا يمارسون هذه اللعبة في النوادي الليلة واماكن القمار، خاصة طبقة الكبار والاشراف الاثرياء، ولا يعلم إلّا اللّه حجم الخسائر والارباح التي يفقدها او يكسبها رجال الطراز الاول في الدول والاثرياء في النوادي والفنادق الكبرىٰ والخاصة، واتصور انني قرأت في احدىٰ المجلات قبل ثمان سنوات، انه في مصيف آب علي لوحده يتداول مبلغ ١٤ مليون تومان سنوياً بين الخاسرين والرابحين، وجاء أيضاً في تلك المجلة انه في ليلة واحدة خسرت احدىٰ النساء الثريّات مبلغ ١٦ الف تومان من مالها الحلال!.

وجاء في احصائية نشرت قبل ثمان سنوات أيضاً وجود خمسمائة محل قمار في طهران وحدها يرتادها الاشراف والاثرياء ورجال الدولة في الغالب.

القمار من منظار قوانين العالم والبلاد

اغلب دول العالم منعت لعب القمار نظراً لمضاره ومفاسده العديدة، علىٰ الرغم من ان تلك القوانين لها طابع رسمي وتشريفاتي، ففي بريطانيا منع القمار منذ سنة ١٨٥٣، وفي امريكا سنة ١٨٥٥، وفي روسيا سنة ١٨٥٤، وفي المانيا سنة ١٨٥٢، والقوانين الايرانية ايضاً تمنع ادارة دور القمار بشكل او بآخر، وبعض الاحيان أيضاً يتم القاء القبض علىٰ بعض المقامرين، ولكن يجب الاعتراف وللأسف الشديد انه يتم القاء القبض علىٰ مقامري الارصفة الذين يتراهنون علىٰ خمسة او عشرة ريالات! فهؤلاء يجب ان تلقي عليهم الشرطة القبض، في حين ان كبار المقامرين الذين يمارسون اللعبة بمبالغ طائلة وفي افخم الفنادق والنوادي الليلية لا احد يستطيع مطاردتهم او مجرد التعرض لهم والاستفسار منهم.

الصحافة

وعندما وصل الحديث الىٰ هنا ، فتح باب الغرفة فجأة ودخل بائع الصحف وهو يحمل مجموعة من الصحف والمجلات ، وينادي بصوته الجهوري وبلحن خاص : صحف .. مجلّات اسبوعية .. شهرية ...

التفت الدكتور الىٰ الشيخ وقال له : تسمح بشراء مجلة ؟ فأجابه الشيخ بحزم : لا.

فأنصرف الدكتور من شراء مجلة لمعارضة الشيخ ، اما بائع الصحف فقد ترك الغرفة وهو غير راضٍ .

حسن الطالب الجامعي : ايّها الشيخ تعتبر الصحافة الدعامة الرابعة للديمقراطية ، وهدفها رفع مستوىٰ الوعي عند الشعب ، فلماذا تعارضها ؟!

الشيخ : كان من الافضل للديمقراطية[1] ان لا يكون لها اكثر من ثلاثة دعامات (نظراً للحالة التي عليها بلدنا) . لانه وعلىٰ الرغم من جميع هذه الصحف والمجلات التي تصدر في بلادنا ـ بأستثناء عدد قليل منها ـ لم تأتي بنتيجة سوىٰ افساد الاخلاق، وتعليم شبابنا وشاباتنا الرذيلة، فأغلب صحفنا

---

(١) ذكر المؤلف في النص بدل كلمة الديمقراطية ، كلمة المشروطة وهو تعبير عن الملكية الدستورية ، وقد انتشر هذا المصطلح بعد ثورة الدستور التي قامت في ايران سنة ١٩٠٦م . (المترجم)

ومجلاتنا اليوم خصّصت أفضل صفحاتها لراقصات وفنانات هوليود[1]، واكثر مسؤولي الصحف والمجلات في البلاد يرتزقون من عرض سيقان وعيون وصدور، وبشكل عام مفاتن النساء الساقطات ونجوم السينما، ممّا قلّل الحياء والعفّة والفضيلة في المجتمع.

ان صفحات الصحف والمجلات مليئة بمقالات تدعو للأباحية وقصص شهوانية وتعليمات جنسية للشباب والشابات، والتعريف بملكات الجمال، وصور عارية او نصف عارية ودعوات للشباب بالحرية المطلقة ونبذ ما يسمىٰ بالحياء والعفّة!

لقد نشرت احدىٰ الصحف الكبرىٰ في البلاد[2] مسابقة وطلبت من القراء المشاركة في الحلّ، وكان موضوع المسابقة، ان امرأة متزوجة ولها اطفال عشقت شاباً آخراً، فما هو الحلّ المقترح لمشكلتها؟!

ومن بين الاجوبة التي وصلت من قراء الصحيفة، كتب احدهم حلّاً بعنوان «حافظي علىٰ كلاهما»، ويقترح عليها البقاء مع زوجها من جهة والحفاظ علىٰ علاقة غير شرعية مع عشيقها! وبمنتهىٰ الوقاحة نشرت الصحيفة ذلك الجواب بين الاجوبة التي وصلتها.

اجل.. هذا هو معنى توجيه الرأي العام الذي تتبناه صحافتنا.

---

(١) Hollywoob مدينة صغيرة في ولاية كاليفورنيا في جنوب غربي امريكا، وهي من اهم مراكز الانتاج السينمائي في العالم.
(٢) صحيفة كيهان.

اصدقائي الاعزاء!

للأسف الشديد ليس في هذا البلد يد قوية تنتقم من اصحاب الاقلام الخونة والعملاء على ما يقومون به من افساد لأفكار واخلاق المجتمع.

والصحف والمجلات التي اغلبها ترتزق من خزانة الحكومة وجيوب المسؤولين والناشرين تقوم بنشر سياستهم ومقاصدهم، وهذه الصور الفاضحة التي تنشر في صحافتنا ما هي إلّا افيون لتخدير الناس واغفالهم عما يقوم به اصحاب السلطة والمال من جرائم ومفاسد.

الصحافة وقوانين الدولة

العقيد: من اجل الحيلولة دون حدوث مثل تلك المفاسد وضعت الدولة وضمن قانون الصحافة عقوبات شديدة على انحرافات المجلات والصحف الاخلاقية.

الشيخ: لا يوجد في قانون الصحافة سوى مادتين لمعاقبة المقالات المنافية للعفة والاخلاق العامة، وهاتان المادتان، هما:

الأُولى: المادة ١٩ من قانون الصحافة، تقول: « يحكم بغرامة من الف ريال الى عشرة آلاف ريال على الجرائم التالية:

أ ـ نشر مقالات مضرّة بالعفّة العامة والاخلاق الحسنة.

ب ـ نشر صور سيئة.

ج ـ نشر اعلانات او صور تخالف الاخلاق الحسنة والآداب والتقاليد

القومية.[1]

الثانية: المادة الثانية من قانون عقوبات الصحافة: «المادة ٣٨ من قانون الصحافة»: يمكن ايقاف الصحيفة التي تنشر مقالات تضر بالعفّة العامة او صور سيئة منافية للعفّة، قبل صدور حكم من قبل المحكمة[2].

كما ان هناك مادة ثالثة، هي ضمن قانون العقوبات العام وخاصة بالاخلاق والعفّة العامة، لكنه يمكن الاستفادة منها في الصحافة، وقد جاء فيها ـ وهي المادة ٢١١ من قانون العقوبات:

«يحكم علىٰ الاشخاص التالين بالسجن التأديبي من ستّة اشهر الىٰ ثلاث سنوات وبدفع غرامة من ٢٥٠ ريال الىٰ ٥٠٠٠ ريال:

الاشخاص الذين يسهلون افساد الاخلاق الشباب الذين يقل عمرهم عن ١٨ سنة سواءً كانوا ذكوراً أم اناث[3].

سيادة العقيد! هذه المواد القانونية الثلاث هي قمّة الضغط الذي توجهه الدولة علىٰ مديري الصحف والمجلات فيما لو نشروا مقالات او صور منافية للعفّة والاخلاق، لكنه ليس هناك من يسأل هؤلاء المشرعين المهمتين جداً بالعفّة والاخلاق! هل ان اخلاق وعفة شعب هذا البلد لا تساوي قيمتها عندكم اكثر من مئة تومان؟! وهل ان جزاء من يعتدي علىٰ عفّة شباب وشابات هذا البلد، هو دفع مئة تومان فقط؟! ومن هنا يمكن معرفة قيمة العفّة والاخلاق

---

(١) كتاب قوانين العقوبات.

(٢) م.ن.

(٣) م.ن.

العامة عند مشرعي قوانين هذا البلد .

نعم ، لو كانت العفّة والاخلاق تساوي عند حكام هذه البلاد اكثر من مئة تومان ، لما بلغت الصحافة هذه الدرجة من الحرية والوقاحة والتهتّك ، ولما اصبحت بعض الصحف والمجلات دور نشر للفساد والرذيلة بين شبابنا وشاباتنا ، ولما تطاولت في ترغيب النساء والمتزوجات علىٰ اقامة علاقات غير شرعية مع الشباب المستهتر .

ان الاساليب المنحطة التي تتبعها صحافتنا تذكرنا بقول الدكتور الكسيس كارل ، حيث يقول في بحث له :

« لقد جعل انتشار الصحف ودور السينما والاذاعات المستوىٰ الفكري في ادنىٰ مراتبه »[1] .

سيادة العقيد ! وبغض النظر عن كل ذلك ، نقول: لماذا لا تطبق الدولة هذه المواد القانونية الناقصة التي ذكرناها ايضاً بحق بعض مديري ورؤساء تحرير الصحف الخونة ، والجواب واضح فإنَّ الدولة تتصور أنه في حال تطبيق هذه القوانين الناقصة ، فإنَّ عليها اغلاق جميع الصحف والمجلات ، باستثناء عدد قليل منها ، (مع أن المسبب الرئيسي في ايجاد مثل هذا الوضع هو الدولة نفسها) .

لانه ، أية مجلة او صحيفة لا تنشر مقالاً او قصة منافية للأخلاق والعفّة ؟! واية نشرة تصدر في هذا البلد ولا تجد علىٰ صفحاتها صور قبيحة (علىٰ حد

(١) الانسان ذلك المجهول .

قولهم) او صور خلاعية فاضحة ؟ واية صحيفة او مجلة تخلو من دعوات مجون او تعليمات جنسية للشباب (ذكوراً واناث) ؟!

هل يلام الشعب علىٰ ما تفعله الصحافة

الدكتور : ارىٰ ان الناس يتحمّلون لحدّ ما ما تقوم به الصحافة من تصرفات .

الشيخ : صحيح ، فهذا شيء لا يمكن انكاره ، لان صحافة كل بلد هي المعبّر عن افكار شعبه ، فلو كان الناس غير راغبين بتلك المقالات الفاضحة والصور الخليعة والمهيّجة ، لما عملت الصحافة بهذا الانفلات غير المحدود .

ففي بلدنا تجد المجلة او الصحيفة التي تتفنن في عرض اجساد ومفاتن النساء الفاحشات ، والراقصات ونجوم السينما ، هي المجلة او الصحيفة الاكثر مبيعاً من غيرها ، علىٰ العكس من الصحف والمجلات الدينية التي ينحصر قراءها بأقلية من الناس .

يذكر احد علماء طهران : كانت هناك صحيفة اسبوعية تصدر في طهران ، وكان صحيفة وقورة وعلمية ومفيدة ، وفي احد الاسابيع رأيت علىٰ الصفحة الاولىٰ منها صورة لاحدىٰ نجمات هوليود ودون اية مناسبة ، فأتصلت هاتفياً برئيس تحريرها وقلت له ان صحيفتكم كانت لها حالة خاصة ومكانة علمية ، لكنها في هذا العدد غيّرت مسارها ، واصبحت تضع علىٰ صفحتها الاولىٰ صور لراقصات وفواحش اوروبا وامريكا ، فأجابني رئيس التحرير : ما العمل يا

سيدي ! لقد اجبرنا الناس علىٰ الانحراف ! لاننا بعنا من هـذا العـدد وبسـبب الصورة التي نشرناها ، اضعاف الاسابيع الماضية ، وقـد تـلاقفها النـاس مـن البائعين .

اجل يا سعادة الدكتور ! لا يمكن انكار هذه الحقيقة ، وهي ان قسم كبير من التقصير والذنب في هذا المجال يقع علىٰ عاتق فئة غير ملتزمة من الشعب ، ولكن يجب ان لا ننسىٰ ، ان المجلات والصحف ليست مسؤولة عن تنفيذ كل ما يريده القراء ، ذلك لان الصحافة وكما قلتم الدعامة الاساسية للـديمقراطـية ، وهي مسؤولة عن ارشاد الناس وتوجيه افكارهم ، فلو فرضنا حدوث انحراف اخلاقي عند الشعب ، فيجب علىٰ قادتهم الفكريين ان يصححوا هذا الاعوجاج ويقوّموا هذا الانحراف بكل طاقاتهم وقدراتهم .

والأهم من كل ذلك ، هو ان الذنب في ذلك يقع علىٰ الحكومة ، لانه لو كانت هناك متابعة ومحاسبة لما اجازت الدولة للصحافة العمل علىٰ هـواهـا دون قيد او رادع ، لكن حقيقة الامر هو ان الدولة فسحت لهم المجال (كما هو الحال في السينما وسـائر وسـائل الاعـلام) لنشـر هـدة الفـضائح والصـور والكلمات اللااخلاقية ، لان الهدف ، من جهة ، هو اغفال القوىٰ الشابة من خلال افسادها عما يحدث في البلد والمجتمع من نهب وفساد ، ولكي لا يشـخصوا السبب والعامل الاساسي في ما يعانيه المجتمع من مشاكل ومآسي ، ولكي لا يفكروا بحلّ لذلك ، ومن جهة اخرىٰ ، اليست الصحافة هي مذياع للـحكومة نوعاً ما ، وانها لاتتحدث إلّا بمطالبها وتوقعاتها ، اذن ففي هذه الحـالة تكـون المعاملة ذات طرفين ، وعلىٰ الدولة ايضاً ان تفسح لهم المجال تماماً (إلّا فـي نشر الحقائق والدفاع عن المحرومين والمظلومين) ؟!

اجل ، قبل اربعة عشر قرناً ، أقسم القرآن الكريم بـ « القلم » فقال : ﴿ ن ، والقلم وما يسطرون﴾ ، لكن يجب ان نعرف ان قدسية القلم تكون ما دام في خدمة المستضعفين والمحرومين والكادحين ، لا في دفاعه عن الجبابرة والمستثمرين ومصالحهم .

علماء الدين وتأثيرهم في المجتمع

وفي تلك اللحظة مرّ بجانب الغرفة اثنان من علماء الدين ، فنهض الشيخ لرؤيتهم وفتح باب الغرفة وسلّم عليهم ، وما ان رآه الرجلان حتىٰ ابتسما وهم يردان عليه جواب سلامه ويقولان : السيد رستگار ! ما الذي يفعله هنا ! فقال الشيخ : كنت ذاهباً الىٰ بندر شاه لشراء القطن وها انا عائد الىٰ طهران ، ومن هناك الىٰ همدان ، ثم اخذ الثلاثة يتكلمون في امور مختلفة وبعد دقائق ودّع العالمان الشيخ وذهبا ، فعاد الشيخ الىٰ الغرفة وجلس في مكانه .

الدكتور : ايّها الشيخ ! هذان الرجلان من اقربائك ؟

الشيخ : لا ، لكنهم من اصدقائي وابناء مدينتي همدان وانا احبهم كثيراً .

العقيد : بالعكس ، اني لست فقط لا احب هؤلاء المعممين ، بل لا استطع ان اعرف الىٰ الآن ما هو عملهم في المجتمع وما هي مكانتهم فيه ؟

الشيخ : سيادة العقيد ، استمح لي بمزحة معك شرط ان لا تتأثر ؟

العقيد : تفضل ايّها العم ، واطمئن انني لن اتأثر او انزعج .

الشيخ : قولك انني لا احب المعممين ، يذكرني بقول للدكتور علي شريعتي ، في احدىٰ خطاباته : ... كما ذكرت سابقاً ، سنة ١٩٦٠ عقدنا جلسة في اتحاد الطلبة في فرنسا ، وكان هناك شخص بارز تعرفونه جميعكم (وهو من اسرة مرموقة أيضاً) . كان يتكلّم ، فقال في بعض كلامه : « ... انا لا احب

الاسلام ... وكلما رأيت معمماً شعرت بحالة تقيء! وهكذا كلما رأيت منبراً او مجلساً دينياً ... لان الدين من عوامل الاستعمار و ... الملالي كانوا على الدوام عملاء الاستعمار ... واساساً انا لا احب الدين » . وكلام آخر من هذا القبيل .

وفي تلك اللحظة نهضت وقلت : « صاحب الفخامة ! انت تتكلم مثل امرأة تتوحم بطفلها الاول ، فتدلّل على زوجها وتقول : احب الطرشي ، لا احب الحلويات ... احب ان آكل كذا ولو انني اتقيء من الاكل الفلاني ... لقد جعلت من الدين والأيدلوجية مجرد اكلة ! تحب بعضها وتكره البعض الآخر .. فماذا تتصور الدين حتى تحبه أو لا تحبه ؟ ... ان نفي او اثبات الدين يحتاج الى دليل عقلي وعلمي لا شعور واحاسيس شخصية ![1]

والآن يا سيادة العقيد ، هل انك أيضاً تشعر بحالة من (الوحم) بالنسبة للمعممين ؟!

ـ هنا ضحك الجميع بصوت عالي .

العقيد : كانت مزحة لطيفة ، لكني اطمئنك انني لا اعيش حالة (الوهم) بالنسبة للمعممين، لكني اود ـ حقيقة ـ ان احصل على معلومات عنهم وان اعرف لماذا تسمى هذه الفئة بالروحانيين ؟

الشيخ : فلسفة ظهور فئة معيّنة في المجتمع الاسلامي بأسم «العلماء» او الروحانيون فواضحة من بعديها الاسلامي والاجتماعي . لكنه يمكن الحصول

(١) كتاب « القاسطين والمارقين والناكثين » : ٢٤١ .

علىٰ هذه الحقائق من منظار الاسلام ، ومنها :

أ ـ ما يعبّر عنه القرآن الكريم بـ:

﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ﴾[1]، ففي هذه الآية يأمر اللّٰه عزّ وجلّ أن تقوم فئة من كل قوم بتعلم المسائل الدينية والنفقة فيها ، وطبيعي ان يشكل هؤلاء فئة معيّنة في المجتمع تمتاز عن الباقين بوعيها وتخصصها في المسائل الاسلامية .

وفي موضع آخر ، يقول القرآن :

﴿ ولتكن منكم امة يدعون الىٰ الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ﴾[2] .

ويقول أيضاً :

﴿ فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾[3] . وفي هذه الآية أيضاً يتحدّث القرآن عن فئة معيّنة وهم « اهل الذكر » الذين يجب رجوع الآخرين اليهم :

ب ـ هناك العديد من الآيات القرآنية . تحدثت في مناسبات مختلفة عن «العلماء» ، واعتبرتهم فئة خاصة تقع عليها مسؤوليات مهمة وحساسة في

---

(١) سورة التوبة : ١٢٢ .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٤ .

(٣) سورة النحل : ٤٣ .

المجتمع، مثل:

﴿انما يخشىٰ اللهَ من عباده العلماء﴾[1].

ومثل هذه التعابير كثيرة في آيات القران والروايات الاسلامية، وفي جميعها اعتبر «العلماء» فئة خاصة تقع عليها مسؤولية جسيمة في المجتمع. اذن، لا شك في وجود فئة معيّنة في الامة الاسلامية باسم «الروحانيون» او بالتعبير الاسلامي «العلماء».

من المنظار الاسلامي

ان ظاهرة التخصص امر طبيعي في العلم (خصوصاً في عالمنا المعاصر)، وهذا التخصص يرفع من مستوىٰ الاعمال ويجعلها متّقنة ودقيقة للغاية، كما انه لا يمكن لاحد ان يتخصص في اكثر من مجالين كأقصىٰ شيء. وفلسفة هذا التقسيم والتخصيص واضحة ايضاً، لان تطور العلوم واتّساعها يجعل من الصعب علىٰ الشخص الإلمام بجميع العلوم، مثل: الطب والهندسة والفيزياء والكيمياء والزراعة والخياطة والتجارة ... الخ.

اذن لا بدّ ان يقسم المجتمع الىٰ فئات ومجموعات مختلفة في تخصصاتها واعمالها، ولهذا تجد ظهور مختلف الفئات علىٰ مدىٰ آلاف السنين

---

(١) سورة فاطر: ٢٨.

من تاريخ البشرية ، مع ان هذه التقسيمات اصبحت اكثر بروزاً في عصرنا الحاضر وادقّ من الناحية العلمية ، اذن وفيما يتعلق بالدين والايديولوجية الاسلامية فنحن بحاجة الىٰ فئة متخصصة في معارفه وعلومه التي تشمل جميع مجالات الحياة ، ومن خلال هذه الفئة نستطيع توجيه وقيادة المجتمع أيديولوجياً، و ضمان المتطلبات الحياتية للأمة ، لانه وكما هو الحال مع سائر المواضيع التي يحتاجها المجتمع ، لا يستطيع كل شخص ان يجتهد بنفسه في المسائل الاسلامية ويتبحّر فيها .

اصدقائي الاعزاء!

ومع الاخذ بما قلته من ضرورة التخصص في العلوم باعتبارها ضرورة عصرية تتطلبها سعة العلوم وتعقيدات الحياة ، فان المسائل الدينية والايدلوجية ايضاً تحتاج الىٰ اشخاص مختصين بالمعارف الدينية ومتفقهين فيها وهؤلاء هم «الروحانيون» او حسب التعبير الاسلامي «العلماء» ، ولكن كيف قبلتم بوجود متخصصين في جميع الفروع ، مثل : الطب والهندسة والاقتصاد والاجتماع والقانون ... واعتبرتموه ضرورة لابد منها ، بينما عندما وصل الامر الىٰ المعارف والعلوم الاسلامية تساءلتم عن فلسفة ظهور هذه الفئة التي تسمىٰ بـ«العلماء» ؟

بيضاوي : الفارق بين الاسلام والمجالات التي ذكرتها مثل الطب ، هو ان الدين يخص جميع الناس .

الشيخ : ايّها السيد بيضاوي ، أليس الطب ايضاً لجميع الناس والكل

بحاجة اليه ؟! وما هو وجه التمايز في ذلك بين الدين والمجالات الاخرىٰ ؟! وكون الدين لكل الناس ، لا يعني ان كل الناس يستطيعون ان يلمّوا بجميع جوانبه ويطعلوا علىٰ كل معارفه ، وبحيث يمكنهم تقديم اجوبة لكل ما يواجههم في حياتهم من تساؤلات دينية لان هذا الامر غير ممكناً . ولهذا ظهرت الحاجة الىٰ فئة خاصة في المجتمع الاسلامي متخصصة في المعارف الاسلامية تسمىٰ بـ «الروحانيين» او «العلماء» .

الاساس هو التخصص العلمي لا الملابس

ولابدّ هنا من التذكير بهذه النقطة ، وهي ان البحث عن الروحانيين يستهدف تخصصهم العلمي بعنوان فئة معيّنة في المسائل الاسلامية وننظر فيه الىٰ ملابسهم ، وهذا ما امر به القرآن من تفقه مجموعة من الاشخاص في الدين ، وما املته الضرورات الاجتماعية والعلمية ، بهذا الشكل ظهرت شريحة الروحانيون او العلماء ، اما الملابس فهي قضية عرضية وليست في القضايا الاسلامية ، لكنهم حساسون من ملابس العلماء ، لانه وكما يعبر عن ذلك الدكتور شريعتي ، هذه الحساسية تشبه الحالات النفسية التي تعاني منها المرأة الحامل .

أي انه نوع من الشعور الفردي ، لا علاقة لنا به .

ملابس الروحانيين

اصدقائي الاعزاء!

اساس بحثنا حول العلماء، هو التخصّص العلمي الذي يمتلكوه في المسائل الاسلامية وليست الملابس ولكن هناك حقيقة أُخرىٰ تواجهنا وهي الحساسية من نوع ملابسهم، لانه:

اولاً ـ اذا كان الآخرون احراراً في اختيار ملابسهم وتراهم احياناً يجعلون الغرب قدوتهم في ذلك، فلماذا نسلب هذا الحق من العلماء، ونطالبهم بعدم لبس العمامة والجبة والعباءة ؟!

وكونهم يلبسون ما يرونه مناسباً لهم، فقد جعلوا الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله والائمة المعصومين عليهم السلام اسوتهم في الملابس، لانه وحسب الوثائق التاريخية والاسلامية، ليس هناك شك من انهم كانوا يلبسون العمامة والعباءة والملابس الطويلة، ومع ذلك فالعلماء احرار في اختيار نوع ملابسهم، والنموذج الذي اختاروه هي تلك الملابس المحلية التي كان يرتدي مثلها الرسول صلى الله عليه وآله والائمة المعصومون عليهم السلام من بعده، وقد ذكرناها بأنها محلية لانه ليست في الاسلام ملابس خاصة.

ثانياً ـ موضع امتلاك كل مجموعة متخصصة نوع محدد من الملابس، هي قضية مطروحة في عالمنا الحاضر، وهذا الامر يسهّل وصول الناس لهم، كالاطباء والممرضين الذين يرتدون لون محدد من الملابس، لذلك يمكن لمراجعي المستشفيات التعرف عليهم ببساطة، وهكذا بالنسبة للعلماء فزيّهم

المعروف يسهل عملية رجوع الناس اليهم لمعرفة احكام الشريعة .

ثالثاً ـ وجود زيّ خاص ، وبالخصوص في عصرنا الحاضر ، يعد حائلاً امام تلبس كل مخادع ومتمايل بثياب العلماء ، ولو حذف هذا الزي ، فان عملية ادعاء كل خائن ومزيف بأنه من العلماء والروحانيين ، ولأزداد عدد المنحرفين والمزيفين بين فئة العلماء ـ مع وجود قلتهم حالياً ـ فلماذا كل هذا التحسس من زيّ العلماء ، مما ينتهي الىٰ نتائج لا تحمد عواقبها .

الروحاني الحقيقي

حسن ، الطالب الجامعي : يا عمّ ! كلامك حول العلماء منطقي تماماً ، ونحن نقبله ابتداءً ، ولكن هل انت تدافع عن جميع الروحانيين ؟! في حين ان اكثرهم يعانون من نقاط ضعف كثيرة وفي بعض الاحيان اضروا بالاسلام كثيراً .

الشيخ : أبداً ، انا لا ادافع عن العلماء بشكل مطلق ، لان هذا العمل لا يرتضيه الاسلام ولا قادته ، كما لا يقبل به العقل والمنطق السليم .

وما اقصده هنا هو بيان هذه الحقيقة وهي: ان انتقاد الروحانيين بشكل عام وكلّي بعيد عن المنطق والانصاف ، وهنا أيضاً اذكر مقولة للدكتور علي شريعتي ، حيث يقول في احدىٰ خطاباته :

«المستقلّون فكرياً، والذين يصدرون الاحكام بعد بحث وتمحيص يعلمون جيداً الدور الذي لعبه العلماء والدين والمسجد والبازار في انتفاضات

وثورات القرن الاخير، ولابدّ ان تعلموا انه انه لا يوجد في الاسلام جهاز روحاني موحّد كما هو الحال في المسيحية، حتىٰ يمكن الحكم عليه بشكل عام، بل العلماء في الاسلام، هم نخبة طبيعية من الجماهير والمجتمع، ولكل واحد منهم شخصيته المستقلة، لذا لا يوجد في الاسلام طبقة موحّدة ومنظّمة باسم «الروحانية»، فالحديث عنها والحكم عليها، لا يكون إلّا بسبب الجهل بها.

وعلىٰ الرغم من وجود اشخاص منحطّين، وحتىٰ عملاء للسلطة بينهم، إلّا انه ليس من المنطق مقارنتهم بتشكيلات الروحانية المسيحية الوسطىٰ»[1].

نعم، هناك حقيقة قائمة وهي ان العلماء تيار استمر علىٰ مدىٰ تاريخ الاسلام وسيبقىٰ مستمراً، وان الذي يريد مهاجمته بشكل عام دون تمييز، يكون قد انحرف وزلّ عن الطريق القويم، كما ان المدافعين عنهم دون قيد او شرط مخطئون أيضاً، مع ان القرآن والروايات امتدحت العلماء والروحانيين وحظوا بتفضيل من قبل اللّه عزّ وجلّ.

لكن تبقىٰ هذه الحقيقة في الاسلام، وهو ان قيمة العالم ومكانته تكون في تحمله لمسؤولياته الجسيمة والوفاء بعهده والتزاماته امام اللّه عزّ وجل، فلو انحرف عن هذا الطريق سيكون من اسوء الناس، كما يقول امير المؤمنين الامام علي عليه السلام:

« العلماء أُمناء اللّه علىٰ حلاله وحرامه مالم يأتوا أبواب السلاطين ».

---

(١) « القاسطين والمارقين والناكثين » : ٢٤١.

أو ما حدد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله من وظيفة للعلماء وهي مكافحة البدع والقوانين الباطلة ، من خلال توعية الناس وارشادهم، ثم اضاف :

« إذا ظهرت البدع فعلىٰ العالم ان يظهر علمه وإلّا فعليه لعنة اللّه » .

وعندما سُئِل الامام علي عليه السلام : مَن خير الخلق بعد ائمة الهدىٰ عليهم السلام ؟

قال : العلماء اذا صلحوا .

قيل : فمن شرار خلق اللّه بعد ابليس ؟

قال : العلماء اذا فسدوا[1].

أو كما يقول القرآن الكريم :

﴿ ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدىٰ من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم اللّه ويلعنهم اللاعنون ﴾[2].

ومع الأخذ بهذه الحقائق والعديد من النماذج الاسلامية الأُخرىٰ فيما يتعلق بموضوع بحثناً ، لا يمكن لي ولا لأي مسلم مطّلع علىٰ الاسلام واحكامه ، ان يدافع عن الروحانيين بشكل مطلق ، لأنّ مثل هذا العمل لم يقم به أي مدافع علىٰ الاسلام ، ولا يقبل به المنطق والعقل أيضاً .

والعلماء الشيعة علىٰ قسمين (رغم انه لا يمكن مقارنتهم بعلماء اهل السنة) :

---

(١) تفسير البرهان : ١ / ١١٨ .

(٢) سورة البقرة : ١٥٩ .

القسم الاول :

رسالي وملتزم ومسؤول ومجاهد ، يقف علىٰ الدوام بوجه الطغاة وينصر المظلومين ، وهؤلاء هم الذين نذروا حياتهم للمحرومين وفي سبيل اللّه ، ومن اجل ارشاد الناس الىٰ اللّه ، فدخلوا السجون ، وتحمّلوا التعذيب وصعوبات كثيرة ، وارتقىٰ بعضهم اعواد المشانق ونال الشهادة، وهؤلاء هم المنادون بالحق والوارثون للانبياء، فهم العلماء والروحانيون الذين يمتدحهم القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام في الآيات والاحاديث ، وهم الذين يقول فيهم أمير المؤمنين علي عليه السلام :

« وما اخذ الله علىٰ العلماء ان لا يقاروا علىٰ كظة ظالم ولا سغب مظلوم »[1].

أجل ، هؤلاء هم العلماء والروحانيون الحقيقيون ، الذين يجدر بي وبغيري ان ندافع عنهم.

القسم الثاني :

وهم الأقلية التي نست وظيفتها ومسؤوليتها ، وباعت دينها بدنياها ، اولئك الذين نسوا مكانتهم عند اللّه والناس ووقفوا بجانب الجبابرة أو هيّئوا الأرضية لتعدّي الجبابرة والظلمة علىٰ حقوق الناس والقانون من خلال حيادهم ووقوفهم موقف المتفرّج على ما يحدث في المجتمع .

---

(١) نهج البلاغة .

هؤلاء لا يجدر بنا ان نسمّيهم علماء أو روحانيون، وليست لهم أية كرامة او مكانة جليلة ، بل هم من الذين شخّصهم الحديث النبوي الشريف ، «رأوا الفتنة ولم يظهروا علمهم ، فعليهم لعنة اللّه» .

اغلبية أم اقلية ؟

حسن ، الطالب الجامعي : نشكرك علىٰ بيانكم الجميل والمنطقي ، ولكن ، هل لكم ان تقولوا لنا رأيكم في الاغلبية منهم ؟

الشيخ : برأيي ان الاغلبية تقريباً هي ضمن الاتجاه الصحيح او قريبة منه ، لان اكثر الروحانيون هم من طلاب الحوزة المضحّين والاتقياء ، الذين يعيشون ظروفاً معيشية صعبة (مقارنة بالاخوة طلاب الجامعات) ـ علىٰ الرغم من ان حقوق الفئتين «الحوزويين والجامعيين» مهدورة كباقي فئات المجتمع ـ.

واكثر الطلبة الحوزويين يفتقدون ابسط لوازم الدراسة من المدارس نفسها حتىٰ الاقسام الداخلية والامكانيات الرياضية واماكن النزهة والمكتبات ، لكنهم علىٰ الرغم من ذلك جادون في دراستهم وطلبهم للعلم وبناء شخصيتهم الروحية لكي يتحملوا في المستقبل مسؤوليتهم الجسيمة (التي يشعر بها ويعيها العديد منهم) .

وما عدىٰ هذه الاغلبية ، هناك بين الروحانيين الآخرين ، خاصة الوعاظ منهم ، عدد لا بأس به ممن يأخذ علىٰ عاتقه مسؤولية تربية الناس وارشادهم فكرياً .

ولكن ، بني حسن، أنت طالب جـامعي، وعـندما نـقول: «وعـاظ» أو «علماء رساليون» تتصور مستوىٰ معين من الفكر، وكأن جميع الناس في هذا البلد طلاب جامعين مثلك ، في حين ان هذه التصور خاطئ ؛ لانه يجب ان لا ننسىٰ وجود نسبة كبيرة واكثرية محرومة وفقيرة في بلادنا، وهؤلاء يحتاجون الىٰ لغة اخرىٰ في الخطاب ، غير لغة المثقفين والجامعيين ، هؤلاء بحاجة الىٰ من يخاطبهم بلسانهم ، والروحانيون يمتلكون هذه القدرة في الخطاب لانـهم من ابناء هذا الشـعب المـحروم وقـريبون مـنه ، ولان شـعبنا مـتدين يسـمع لحديث اهل الدين والعلماء ، لان الدين عنده متأصّل فـي الاعـماق ، فـلماذا ننسىٰ هذه الاغلبية المحرومة ونتركها فريسة للأعلام والتضليل الاستكباري الكافر.

ان نجاح اية حركة ثورية او اصلاحية هي رهن نفوذ افكارهم وعقائدها في الجماهير الحقيقية وتحريكها ، فليس هناك شك في ضرورة الاستفادة من هذه القوة الجماهيرة الجبارة لخدمة الاسلامة والمسلمين المـحرومين ، فـهل يستطيع العلماء الذين يتكلمون بلغة المثقفين والجامعيين القيام بهذه المهمة ؟! وهل تستطيع تلك الجماهير المسلمة القروية فهم ما يقوله اولئك العلماء الذين يتحدثون بلغة النخبة ؟ طبعاً لا ، اذن ، ومن اجل توعية تـلك الجـماهير التـي جعلتها سياسات المستعمر متخلّفة فكرياً، لابدّ من الاستفادة مـن روحـانيين يتكلمون لغة بسيطة وليسوا من الطراز الأول ، وهؤلاء الروحانيون هم الذيـن يمدون جسور العلاقة مع تلك الجـماهير المـليونية وتـوجههم نـحو مسـيرة الكمال.

أجل يا بني العـزيز حسـن ، لا تـنسىٰ ان شـعبنا ليس جـميعه طـلاب

جامعات ، كما ان العلماء الذين يستطيعون مخاطبتهم بلغتهم ليسوا اولئك العلماء الذين يؤمنون في التكامل مع الجامعيين ومتطلباتهم الايديولوجية.

وعلىٰ هذا الاساس فإن عدداً قليلاً من الروحانيين ، لا يؤمنون بأي عمل، أو انهم يقومون بدور سلبي ، مخالف لما اوجبته عليهم الرسالة ، وهؤلاء الاقلية كما يعبّر عنهم الامام العسكري عليه السلام : « هم اضرّ علىٰ ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد عليه اللعنة والعذاب علىٰ الحسين بن علي عليه السلام واصحابه »[1].

دور العلماء في حركة الانسان التكاملية

بيضاوي : ايّها الشيخ ، مع اننا فهمنا من خلال كلامكم دور العلماء والمسؤولية الملقاة علىٰ عاتقهم ، لكنني اود ان اتعرّف علىٰ الخدمات التي قدموها والالتزامات التي انجزوها.

الشيخ : ان دور العلماء الحقيقيين يمكن تلخيصه بأن طريقهم طريق الانبياء ومسؤولياتهم تجاه الناس هي من نفس نوع مسؤولية الانبياء ، اي ان مسؤوليتهم هي ارشاد وقيادة المجتمع نحو اللّه والتكامل وتعبئة الناس للتطور وتطبيق النظام التوحيدي الذي تضمن فيه العدالة والمساواة والنمو الفكري والعلمي والثقافي ، والاستفادة العادلة من جميع الامكانيات والقدرات الالهية والمصادر الطبيعية لجميع البشر.

بعبارة اخرىٰ تحريك الجتمع لتكامل شامل ، مادي ومعنوي وعلمي

---

(١) تفسير البرهان: ١ / ١١٨.

وانساني ، ولانه من الطبيعي ان يصطدموا في هذا المسير مع قوىٰ مستبدة وموانع ، كان من الضروري ان يعبئوا جميع الامكانيات والطاقات لازالة هذه الموانع الشيطانية والاستمرار في المسيرة ، وبهذا الشكل تكون مسؤولية العلماء الاساسية هي توعية الناس وترشيدهم لاقامة نظام الهي وحكومة اسلامية تضمن للجميع امكانيات التعالي والرقي من خلال القسط والعدل الاسلامي ، وكذلك محاربة الحكومات المستبدة والطاغوتية من اجل اجتثاثها وارساء اسس نظام اسلامي عادل علىٰ انقاضها .

حسن ، الطالب الجامعي : هذه المسؤولية التي رأيتموها للعلماء ، هي من اسمىٰ الاعمال التي يقوم بها العالم ويسعىٰ اليها ، ولكن هل هناك من العلماء من قام بخطوات حقيقية في هذا الطريق ؟

الشيخ : تاريخ العلماء علىٰ مدىٰ قرون يثبت ذلك .

اصدقائي الاعزاء!

الكلام عن العلماء الحقيقيين والدور الذي قاموا به ، يدعونا الىٰ العودة للتاريخ ، ومن هناك يمكننا فهم قيمة التضحيات التي قدموها في سبيل الاهداف الكبرىٰ والانسانية وفي سبيل مسيرة التكامل التي حدد معالمها الانبياء ، لان تاريخ كفاح ومقارعة «علماء الشيعة» للجبابرة في عصرهم ومن اجل اقامة الحكم الاسلامي يعود الىٰ ما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله مباشرة ، ولان أبا ذر والمقداد وسلمان وعمار ومن تلاهم من امثال حجر بن عدي وعمرو بن الحمق وسعيد بن جبير من شهداء الاسلام الاوائل ، جميعهم من علماء

الاسلام، ولم يكونوا مسلمين عاديين.

أجل ان تاريخ علماء الشيعة الحقيقيين، هو طريق يمرّ بين النار والدماء ومستمر هكذا الىٰ الآن، ولو اردنا حساب عدد شهداء الاسلام من العلماء الشيعة (دون الذين سقطوا في فترة حياة الائمة عليهم السلام) لتجاوز عددهم المئات، وفي ذلك يمكنكم الرجوع الىٰ كتاب «شهداء الفضيلة» للعلامة الاميني رحمه الله، الذي ذكر فيه بالتفصيل شهداء علماء الشيعة علىٰ مدىٰ التاريخ، مع انه اختار فقط كبار العلماء الذين كانوا يجارون علماء عصره، ولو اضفنا الىٰ ذلك سائر طلاب العلوم الدينية والفضلاء الذين سقطوا شهداء في مواجهات مع قوىٰ البغي، لأرتفع العدد كثيراً جداً.

الحفاظ علىٰ مصادر الثقافة الاسلامية

ان اهم ما قام به علماء الشيعة علىٰ مدىٰ تاريخم هو حفظهم وصيانتهم بأحسن وجه لتراث الشيعة الثقافي والمصادر الاولية للأيديولوجية الاسلامية، وقد استطاع علماء الشيعة جمع مصادر التشريع الاسلامية الاساسية (باستثناء القرآن) والحفاظ عليها، ويُعد نهج البلاغة واحداً منها. وبتأمّل بسيط لأمكانيات ذلك العصر والوسائل المتاحة في السفر والتنقل بالاضافة الىٰ الضغوطات التي كان يواجهها علماء الشيعة من اخوانهم السنّة وحكوماتهم، لعرفنا قيمة ما انجزه علماء الشيعة الكبار الاوائل، والجهد الذي بذلوه لحفظ التراث الاسلامي الصحيح، من خلال جمع وتأليف اهم الكتب الحديثية والفقهية والتفسيرية والعقائدية مثل: اصول الكافي، وفروع الكافي

ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب، والاستبصار ، ومئات الكتب الأُخرىٰ ، وأن الفضل الذي جعلنا اليوم نمتلك العديد من الكتب التي تتناول مختلف المسائل الاسلامية يعود الىٰ تلك المصادر الأوّلية التي جمعها وكـتبها وحـفظها اولئك العلماء الافاضل، الذين بذلوا جهوداً جبارة في تأليفها وتحمّلوا صعوبات جمّة في حفظها الآن .

أليس من غير الانصاف ، ان نتساءل ونحن نرىٰ ما تركوه لنا من تراث : ما الذي فعله العلماء لنشر ثقافة الاسلام الاصيلة ؟! في حين انه لا يعلم ان كل ما يكتب اليوم وينتشر ما هو إلّا اقتباس واستنباط من تلك المصادر الأولية التي جمعها وألفها وحفظها علماء الاسلام اولئك .

فأحدىٰ الاساطير تقول ان سمكة كانت تسبح وسط الماء وهي تقول : « من قال ان السمكة لا تستطيع ان تعيش خارج الماء » ؟ أو مثل الشخص الذي يقوم بطبخ مواد أوّلية جمعها آخرون بعناء من اماكن بعيدة ونائية وبعد ان يشعر بنشوة اللذة ينسىٰ اولئك الذين هيّئوا له تلك المواد ويتجاهلهم ! فالذين يقفون من العلماء مثل هذه المواقف يفقدون لصفة الانصاف والعدل ، وللأسف الشديد تلاحظ هذه الصفة حالياً بيننا ، فبعض الاشخاص ومن خلال بعض الخدمات التي يقدمونها ، يقومون بتجاهل خدمات الآخرين وانجازاتهم ، فـي حـين ان القرآن يأمر المسلمين الجدد باحترام المسلمين الاوائل واعطاءهم حق السبق في الايمان والسعي لتحقيق الاهداف الربانية ، يقول القرآن في هذا الصدد :

﴿ ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالايمان ﴾[1]

---

(١) سورة الحشر : ١٠.

العلماء والحركات الثورية

من أهم الاصعدة التي يبرز فيها دور العلماء والرساليون هي الحـركات الثورية في المنطقة الاسلامية ، للحد الذي يمكن القول ، انه ليست هناك ثورة في البلدان الاسلامية ، إلّا وكان للعلماء الحقيقيين فيها دور القـيادة ، او ادوار حساسة ومهمة جداً ، وهذه حقيقة يمكن دركهامن خلال الرجوع الىٰ تـاريخ البلدان الاسلامية سواءً في آسيا او افريقياً.

ولإثبات هذه الحقيقية ، ليست هناك حاجة للرجوع الىٰ القرون الاولىٰ من التاريخ الاسلامي ، بل نستقرىء تاريخنا المعاصر وبالتحديد القـرن الذي نعيش فيه ، فهناك ، فهناك شخصيات علمائية ثورية كثيرة ظهرت في هذا القرن وتولت قيادة ثورات وانتفاضات عظيمة في تاريخنا السياسي المعاصر ، مـثل آية الله الميرزا الشيرازي الكبير ، قائد ثورة التـنباك ، والسـيد جـمال الديـن الاسد آبادي (الافغاني) وآية الله الشيخ محمد تـقي الشـيرازي الذي اصـدر فتوىٰ الجهاد ضد الانجليز فـي العـراق ، بـالاضافة الىٰ العـديد مـن العـلماء والمجتهدين الذين توجهوا بأنفسهم الىٰ ساحات القتال آنذاك حـتىٰ حـصلوا علىٰ استقلال العراق ، وآية اللّه السيد شرف الدين العاملي ، قائد الشـيعة فـي حروب الاستقلال في لبنان ، والذي كان يشارك في القتال بنفسه ، حتىٰ ان احد ابناءه استشهد في احدىٰ المعارك التي كان يقودها هو ، او الميرزا كوچك خان الذي قاد ثورة الغابة في منطقة جيلان في ايران ، او العلماء الذين قادوا ثـورة الدستور سنة ١٩٠٦ و... الخ حتىٰ يصل الامر الىٰ شمس هذا العصر الساطعة

والشخص الذي لا يمكن معرفة قيمة تحركه الثوري والاسلامي إلّا بمرور الزمان وكذلك الشخصيات الاخرىٰ التي سارت خلفه فيهذه الثورة الاسلامية المباركة منذ البداية.

أجل، لقد كانت الروحانية الحقيقية هي الركن الذي تستند اليه الجماهير المسلمة او المحرومة في مقارعتها للأنظمة الجائرة، فكان العلماء هم المدافعون عن القانون الالهي والمسلمين علىٰ مدىٰ التاريخ الاسلامي، ونظراً لسعة مجال البحث وعدم امكانية سرد مختصر لكل الثورات والانتفاضات التي قادها العلماء، لذلك سنكتفي بملخص لقصة التنباك.

فتوىٰ تحريم التنباك

قامت حكومة الملك ناصر الدين شاه القاجاري، الظالمة والمستبدة في سنة ١٨٩٠ بأعطاء امتياز احتكاري في بيع وشراء التنباك لشركة بريطانية بأسم جي. اف طالبوت[١]، وهذا العقد الذي وقع في ٩ آيار من نفس السنة في السفارة البريطانية بطهران، كان في الحقيقة وثيقة لتسلط الاجانب علىٰ الشعب الايراني اقتصادياً وسياسياً، وبواسطة هذه الوثيقة كانت بريطانيا تستطيع بسط سيطرتها علىٰ جميع الاراضي الزراعية، وبالاضافة الىٰ عشرات المفاسد السياسية والاقتصادية والثقافية، وكان بامكانها اجراء سياسة المحصول الواحد بالتدريج، وبهذه الطريقة يتهيء الوضع لسلطة المستعمر علىٰ البلاد بشكل عام.

---

(١) G. F. Talbot.

وفي تلك الظروف الحساسة ، قام المرجع آية اللّـه الشيرازي الكبير ، باصدار فتواه التاريخية ، بعد ان أحسّ بالخطر المحدق وادرك مسؤوليته الجسيمة في درء الخطر ، فحرّم استعمال التنباك ، لقد استطاع الشيرازي الكبير ان يقلب المعادلة سطر واحد ، فلم يعد استعمال التنابك محضوراً في المدن الايرانية جميعها ، بل وصل الامر الىٰ بيت الملك نفسه الىٰ نسائه وخدمه ، وكانوا يقولون له بصراحة ان استعمال التنابك حرام .

لقد كانت الحركة التي قام بها المرجع الشيرازي مباغتة للملك ناصر الدين شاه ، واسياده البريطانيين إلى الحدّ الذي اذهلتهم ، فحاولوا بشتىٰ الطرق مواجهتها ، فتارة بالتطميع وتارة بالتهديد ، ولقد طلب الشاه مراراً من المرحوم آية اللّه الاشتياني قائد الحركة في طهران ان يستعمل (النارجيلة) لكي ينقض عملياً فتوىٰ المرجع الشيزاري ،لكنه لم يستسلم امام تهديد وتطميع الشاه ! وقال : « لن استعمل التنباك إلّا ان يفتي الميرزا الشيرازي بذلك » ، فاظطر ناصر الدين شاه في النهاية الىٰ الغاء ذلك العقد ، وعاد للناس مرّة ثانية الحق في زرع وبيع وشراء التنباك ، وقد دفعت الدولة مبلغ نصف ميلون جنيه استرليني من اموال الشعب المسكين ، كغرامة مالية لشركة طالبوت[1].

وحول فتوىٰ تحريم التنباك ، يقول احد الكتاب المشهورين :

في القرن التاسع عشر ، كانت البلاد الاسلامية تعيش حالة ثورة عامة وغير منظمة ضد الاستعمار والتسلط الغربي ، وكانت هذه الثورات جماهيرية وبقيادة العلماء المسلمين ، ففي ايران قامت ثورة التنباك التي لا زلنا لا نعرف

(١) ثورة ايران، تأليف ادوارد براون .

قيمتها الحقيقية ! لقد بدأت هذه الثورة بفتوىٰ قصيرة من الميرزا حسن الشيرازي، وكان اصدار تلك الفتوى بتأثير رسالة السيد جمال الدين التي بعث بها الىٰ المرجع الشيرازي وحذره فيها من ان القضية ليست مجرد تنباك ، فهؤلاء اي البريطانيين ـ لا يريدون تنباكنا فقط ، بل يريدون عزتنا واستقلالنا ووجودنا واصالتنا! لقد شيّدوا في طهران بناية للشركة ، انظروا اليها ! فلماذا هذا الحصار الكبير والحيطان التي يبلغ ارتفاعها عدة امتار ؟ فالتنباك لا يحتاج الىٰ مثل هذه القلاع ، والحقيقة ان هذه قواعد سياسية وعسكرية وليست مجرد شركات .

لقد احسّ الميرزا الشيرازي بالمسؤولية ، فأعلن فتواه ... انظروا كيف ان الدين والدينا لا يقبلان الفصل في الاسلام ! وانه لا يمكن اساساً التفريق بينها ، وكيف ان الاستعمار نجح في القاء تلك الاكذوبة في افواهنا ، وكيف قام بعض المثقفين بترديدها دون وعي ، يتصورون انهم يقومون بدور المثقفين الاوروبيين مقابل الكنيسة ، غافلين من هذا القياس مع الفارق .

أمّا فتوىٰ الشيرازي الكبير ، فهذا نصّها :

« من الآن استعمال التنباك بأي نحو كان في حكم محاربة امام الزمان عج» !

الامير كامران ميرزا ولي العهد ووزير الحرب (الدفاع) يقول لاحد غلمانه : جئني بالنارجيلة !.. لكن الغلام لا يطيع ! فيطلب ذلك من زوجته ، إلّا انها هي الاخرىٰ تمتنع ! لقد حطم حرم الملك في يوم واحد جميع ادوات استعمال التنباك ، علىٰ اساس فتوىٰ المرجع الشيرازي ! ألم تكن المقاومة السلبية التي قام بها غاندي بعد ذلك بتأثير وايحاء من هذه الحركة ؟ لقد كانت حركة الميرزا الشيرازي ضد الاستعمار الاقتصادي الذي دخل ايران بواسطة

شركة رجي (شبيهة بشركة الهند الشرقية في شبه القارة الهندية)، حركة مقاومة سلبية ، فلم يقاتل احد ولا قام شخص بعمل ، والعمل الوحيد الذي قاموا به هو انهم لم يستعملوا التنباك واضربوا عنه ، هذه الحركة اجتثت اول نبتة استعمارية غرسوها وارادوا لها ان تتأصّل في عمق ارضنا ، وقد صرفوا الملايين لكي يسيطروا بالتدريج علىٰ اسواقنا وثرواتنا ، ورأيتم كيف ان فتوىٰ مختصرة قلبت المعادلة ووعت الناس وافهمت الاجنبي بحراجة موقفه ، وفي ذلك الوقت لم يكن شعبنا مثقفاً ؟

وبعد هذه الثورة قام غاندي بحركة المقاومة السلبية ضد المنتوجات البريطانية في الهند ، في جميع انحاء الهند ، فاستطاع شل حركة الاستعمار البريطاني ، وبذلك فقدت بريطانيا تلك المنطقة الغنية بمصادرها وهي في ذروة قوتها .

فالاستعمار يستمر بالحياة وينمو عندما يكون اهل المناطق المستعمرة مستهلكين لبضاعة ومنتوجاته ، ولو قام هؤلاء، ولم يبقوا علىٰ بضائعهم ، لمات الاستعمار ، فالمستعمرون قاموا في البداية بتشويه حضارتنا ومن ثم صعدوا علىٰ اكتافنا[1] .

العلماء الرساليون في جميع الجبهات

ومن خلال ذلك التوضيح الذي قدمناه ، تبين ان الروحانيين الرساليين

---

(١) «اقبال» : ٥٩ .

فقط ، هم الذين سجلوا حضروهم علىٰ جميع الميادين والجبهات : الايديولوجية والثقافية والاسلامية وفي مجال الهداية وفي مجال جمع وصياغة المصادر الاسلامية فيالتشريع وفي مجال مقارعة الظلمة والمستعمرين ، وفي حروب الاستقلال التي خاضتها اغلب البلدان الاسلامية ، وفيالنهاية من اجل تطبيق النظام التوحيدي والحكومة الاسلامية في المجتمع ، ولم يكن حضورهم في هذه الميادين والجبهات عادياً بل كانوا القادة والطليعة في التحرك .

ولقد استطاع العلماء الرساليون حفظ ونشر المعتقدات الاسلامية علىٰ مدىٰ كل هذه القرون ونقل هذا التراث الفكري والعقائدي من نسل الىٰ آخر ، بحيث لا يشك اي انسان منصف بأن العلماء الرساليين هم الذين كانوا السبب في بقاء الاسلام وعلومه وثقافته بعد زمن الائمة المعصومين عليهم‌السلام وحتىٰ يومنا الحاضر ، فكانوا من جهة يحرسون الثقافة الاسلامية ويحافظون عليها ، ومن جهة اخرىٰ يردون علىٰ الافتراءات والاباطيل التي ينشرها الآخرون ضد الاسلام والتشيع ، فكتبوا في ذلك مئات الكتب واقاموا عشرات المحاججات والمناظرات (واكثرها موجود لحد الآن) ، وقد نُشر بعضها علىٰ يد بعض الكتاب المعاصرين فتلقفها الناس وتصوروا انها حديثة ومن ابداعات هؤلاء الناشرين !

والعجيب ان بعضهم كان يتساءل عما يفعله العلماء وما قدموه للاسلام ؟! لانهم غير مطلعين علىٰ ان ما وصل اليهم هو ببركة اقلام وجهود العلماء وليس غيرهم .

ولهؤلاء الناس ، يجب ان نقول : تصفّحوا التاريخ وانـظروا ايـة حـركة اصلاحية او ثقافية او ايديولوجية او ثورية قامت في المنطقة الاسـلامية ولم يكن للعلماء دور فيها ، بل ولم يكونوا هم قادتها .

وهنا تذكرت كلاماً قاله احد الشخصيات الثورية البـرازيـلية ويسـمىٰ «اسبينا» رغم ان كلامه يدور حول الروحانيين المسيحيين التقدميين ، ويـرىٰ اسبينا ان من بين ثلاثة عشر الف روحاني (قسيس) برازيلي هناك الفين منهم يحملون افكاراً تقدمية ويمكن التعاون معهم .

ومن جهة اخرىٰ ، فالعديد من القساوسة هم رجعيون ومحافظون برأي الشيوعيين ، والحقيقة ان هناك من القساوسة ، خاصة الطبقة الفقيرة منهم ، من هم اكثر تطرفاً من الشيوعيين والاشتراكيين وسائر المـجموعات اليسـارية ، والكثير منهم مستعد لحمل السلام بـيده والكـفاح ، ولابـد مـن الاعـتراف ان الكنيسة التي تحمل افكاراً تقدمية تستطيع اكثر من غـيرها مـن القـوىٰ نشـر الوعي بين صفوف الناس[1].

يقول الدكتور علي شريعتي في احد كتبه وضمن بحث حول دور العلماء الرساليين في جميع الثورات والانتفاضات التي حدثت في العـالم الاسـلامي ضد المستثمرين الداخليين والخارجيين :

اقول في هذا الصدد ـ واذكر انني لا ارجو فيه اية مصلحة ، فاللّٰه يـعلم وهكذا الجماهير انني لم اكذب يوماً من اجـل مـصلحة مـا ولن اكـذب فـي المستقبل و... وتاريخ حياتي دليل علىٰ ان كلامي هذا بسبب عقيدتي وايماني

(١) قضايا امريكا اللاتينية: ١٨٠ .

والضرورة الاجتماعية والمسؤولية الفكرية التي اشعر بها ـ فعلىٰ مدىٰ عملي في اوروبا أو هنا، دافعت بكل ما اوتيت من قوة وبكل تعصب عن الروحانيين «الحقيقيين والتقدميين» وعن المجتمع الاسلامي العلمي والصحيح والأصيل وقد قلت لكم مراراً هنا ان الدفاع والانحياز لهذا المجتمع العلمي، ليس فقط وظيفة المسلم والمؤمن، بل وبما انه آخر مواقع مقاومة امام الهجوم الاستعماري الثقافي الغربي، فانه وظيفة ومسؤولية كل « مثقف رسالي » حتىٰ ولو لم يكن مؤمناً بالاسلام [1].

ويضيف الدكتور شريعتي في مكان آخر

توجد ثقافات قومية وأديان اصيلة وقيم فنية وقومية، لكنه وحتىٰ ذلك الوقت كانت جميع الشعوب المحلية والمجتمعات التاريخية المتحضرة، تصنع اكبر الحضارات الساطعة، وآخر القيم الانسانية التي لا تقارن بالقيم والحضارة الغربية.

والعلماء المسلمون التقدميون والمناهضون للاستعمار، هم الذين حذّروا الآخرين من خطر الحضارة الغربية ودعوهم للرجوع الىٰ انفسهم، وما يعلنه اليوم مؤتمر السود علىٰ لسان شخصيات امثال: ستغور وجوليوس تيربري، في العالم، كان العلماء المسلمون قد اعلنوا قبل مائة سنة امام الغزو الغربي المتعدد الاوجه (اقتصادي وسياسي وثقافي)، خاصة الامبريالية الفكرية الغربية التي هي من اشد واخطر اوجه ذلك الغزو.

---

١ ـ القاسطين والمارقين والناكثين: ٢٤٢.

اجل : ان الامبريالية الثقافية والفكرية هي من اخطر اشكال الاستعمار والغزو الغربي ، حيث يقضي في البداية علىٰ الفكر والعصبية ، ويغير طريقة فهمنا للدين ويفتح الطريق لاستقرار افكاره في عقولنا ، وبعد ذلك يبدأ غزوه الاقتصادي والعسكري ، فلو لم يكن هناك غزو فكري وامبريالية ثقافية ، لما تمكن من غزونا اقتصادياً وعسكرياً بهذه السهولة .

وان أول من كشف النقاب عن وجه الاستعمار الاوروبي الكرية وكشف دسائسه في محو الاخلاق الفضيلة من المجتمعات هم المثقفون المسلمون الذين وقفوا في مقدمة المواجهة مع الغزو الثقافي الاستعماري الغربي .

ولهذا السبب طرح علماء المسلمون الجزائريون هذا الشعار في جهادهم ضد المستعمر :

« الاسلام ديننا والعربية لساننا والجزائر وطننا»

لانهم احسوا آنذاك ان فرنسا لم تأت لتبشر بالحضارة الجديدة ، او الاستهلاك الجديد ، او لتحصل علىٰ منافع مادية وتنهب الثروات فقط ! لا انها جاءت لمسخ الانسان وتغيير التاريخ ، جاءت لسحق جميع قيمنا الانسانية ... انهم حسّوا بذلك ، ولان الاستعمار الفرنسي كان يطلق هذا الشعار :

فلتكن الفرنسية لغتكم وفرنسا وطنكم والمسيحية دينكم !

فقد اطلقوا هم ايضاً شعارهم الذي ذكرناه من قبل ، هذا هو المعنىٰ الحقيقي للمثقف والواعي والتقدمي والفهم السياسي والاجتماعي المناهض للاستعمار ، لا ان نقلد الاوروبيين في كل كلمة وخطوة .

أمّا اليوم فقد ادرك المثقفون الشباب بعد الحرب العالمية الثانية خاصة في البلدان المستعمرة في افريقيا تلك الحقيقية وتنبهوا لخطورة الغزو الثقافي الاستعماري. وهذه القضية مورد اهتمام القادة السود والمثقفون التقدميون في امريكا اللاتينية ايضاً.

«نيريري» من علماء الاجتماع وقادة ومفكري افريقيا الشرقية ـ لغته ولغة جميع المتعلمين والمثقفين في مجتمعه هي الانجليزية ، لقد درسوا في كمبريدج وتعلموا اشياء كثيرة في لندن. لكن لغتهم العامية ولغة جماهيرهم من الاميين ، فهي «السواحلية» ، لهذا يعلن اليوم امراً باستعمال اللغة السواحلية وهي لغة شبه وحشية ومحلية وهي لغة منحطة بدل اللغة الانجليزية في الجامعات ومدارسهم ودوائرهم ومراكزهم العلمية والسياسية ، وهذا النوع من التفكير خاص بالمثقف والمتنور التقدمي جداً ، والذي تعده الدنيا شخصاً ثورياً ، وجميع الاشخاص الذين ظهروا بعنوان قادة ثوريين في القرن العشرين من بين مجتمعات «الشعوب المغضوب عليها في الارض» رفعوا هذا الشعار ، وهو العودة الىٰ الذات وتلقي القيم والاطر الثقافية الغربية.

والذي اطلبه هو دراسة الحركات التقدمية التي قامت في مجتمعنا خلال القرن الاخير في مقابل الغزو والمؤامرات الغربية ، فاي نهضة وحركة وقفت امام لعبة «العصرنة» التي كانت تروج لكل الثقافات والبضائع الغربية ، وقاومت بعد المتعصرنيين المحليين الذين كانوا يسمون انفسهم خطأً المتنورين والتقدميين! ستجدون في مقدمة جميع الحركات التي قاومت ووقفت بوجه الغزو الثقافي وحتىٰ السياسي والاقتصادي الغربي واوجدت حالة وعي في الامة ، شخصيات علمائية اسلامية تقدمية وشجاعة وواعية.

انا لا اقول ذلك بعنوان مبلّغ ديني بل هي حقيقية تاريخية.

ولن اتعرض في حديثي عن اسباب المتنورين والمثقفين الذين يحكمون علىٰ الاسلام، بتكرار تلك الاحكام التي اصدرها الاوروبيين من قبل حول مسيحية القرون الوسطىٰ والكنيسة والكاثوليكية.

اما اولئك الذين يملكون فكراً مستقلاً واحكاماً تستند الى دراساتهم وعقلياتهم، ويتساءلون عن دور العلماء المسلمين والدين والمسجد والبازار في الحركات والثورات السياسية التي خدمت خلال القرن الاخير، فلابد ان يعلموا ان الاسلام ليس كالمسيحية فهو، لا يمتلك جهازاً ادارياً وروحانياً يمكن الحكم فيه، فالعلماء في الاسلام هو النخبة الطبيعة للمجتمع والجماهير، ولكل واحد منهم شخصية مستقلة، اذن من الخطأ الكلام عن «مجتمع واحد باسم الروحانيين» واصدار الاحكام بحقه، وعلىٰ الرغم من وجود اشخاص غير لائقين او عناصر مرتبطة بالانظمة الدكتاتورية بينهم، إلّا انه ليس منطقياً مقارنتهم بالجهاز الروحاني المسيحي في القرون الوسطىٰ، لانهما حقيقتان اجتماعيتان غير متجانستان ولا متشابهتان.

اما قولنا بأن الحركات الاسلامية التي قاومت الامبريالية والغزو الثقافي الغربي كانت قيادتها علمائية او انها تأسس اساساً علىٰ ايديهم، فهو حقيقية موضوعية لا يمكن انكارها، وفي جميع المجتمعات الاسلامية التي واجهت خلال المائة سنة الاخيرة قضايا الحضارة الجديدة والمسائل الاقتصادية والسياسية والعسكرية الاوروبية.

انظروا في جميع المعاهدات التي ابرمت خلال هذا القرن من الزمان او

اكثر منه ، والتي كانت نتيجتها التبعية على السواء للأجنبي والمستعمر ، سوف لن تجدوا توقيع عالم اسلامي واحد ، لكنها مليئة ـ وللأسف الشديد ـ بأسماء وتواقيع اصحاب التعليم الحديث والمثقفين و «الحداثويين» و غير المتعصبين و «التقدميين» و «العلمانيين» ! وحتىٰ لو كان احد العلماء يريد ان يبيع نفسه ويوقع اسفل احدىٰ تلك « المعاهدات الاستعمارية» ، كان قبل كل شيء يخلع عمامته وعباءته ويحلق لحيته ويعقد ربطة عنقه ، ثم يذهب الىٰ اوروبا مسافراً وهناك يعمد في نهر التايمز ، بعد ذلك يعود الينا بعنوان شخصية متعصرنة وتقدمية وذات ميول اوروبية وعلمانية ، ثم بعد ذلك كله يوقع علىٰ تلك المعاهدة . كما ان اول من قام بتوعية الناس واخطارهم حول مقاصد الاوروبيين المستعمرين هم العلماء المسلمين الرساليين (لا المتنورين المقلدين للغرب) ، لقد اعلنوا للناس ان اوروبا لم تأت لتنهب خيراتنا المادية فقط من ذهب وفضة ونحاس ونفط وقطن و ... الخ بل جاءت ايضاً لتدمير ثرواتنا الانسانية والثقافية ولسحق فضائلنا الاخلاقية ، واقتلاع جذورنا الدينية والتقليدية ، جاءت لسحق وجودنا وتاريخنا وشخصيتنا واسقاط كل ما نملك في الحضيض ! فكان العلماء الرساليون اول من واجه الامبريالية ولم يقتصر نشاطهم علىٰ الجانب السياسي والاقتصادي كما فعل القادة القوميين ، بل انهم قاوموا المستعمر من خلال اساس فكري وايديولوجي ومعنوي ، ففهموا الاستعمار بجميع اوجهه وخاصة في اكثرها خفية وخطورة وهو البعد والوجه الفكري والمعنوي والاخلاقي والعلمي، انهم اشتبكوا مع ثقافته[1].

---

(١) القاسطين والمارقين والناكثين : ٢٤١ .

ويضيف الدكتور شريعتي في كتاب آخر حول هذا الموضوع :

« باعتباري متخصص في التاريخ والمسائل الاجتماعية ، اقول بصراحة ، لا يوجد في اسفل اي معاهدة استعمارية خلال القرنين الماضيين توقيع لمعمم درس في النجف ، في حين ان هذه المعاهدات مليئة بتواقيع الدكتور الفلاني والمهندس الفلاني من الذين درسوا في الخارج (وهو ما يخجل الجميع) .

ومن جهة اخرىٰ ، في مقدّمة كل حركة تقدمية مناهضة للاستعمار في هذه الدول نجد شخصية عالم دين مسلم ، خاصة من الشيعة ، وانتم الذين تريدون اجتثاث هذه القاعدة الثقافية المتأصلة في عمق تاريخنا وفي اعماق وجدان مجتمعنا، ما هو البديل الذي تطرحونه كقاعدة ثقافية وجماهيرية لكم باعتباركم متنورين ومثقفين رساليين ، مقابل الاستعمار الثقافي الغربي ؟[1]

وفي مكان آخر من الكتاب ذاته ، يقول الدكتور علي شريعتي :

« ان اكبر قاعدة يمكن ان نرجوا منها وعي جماهيرنا ، وتقديم الاسلام الحقيقي لهم ، والتي يمكنها ان تلعب دوراً قوياً وحياتياً في انهاض الناس فكرياً واحياء الروح الاسلامية وايجاد حركة وعي الاسلامي وتكون قوة مقتدرة ، هي « الحوزة » .

« طلبة الحوزة » وتلك الغرف الضيقة والمظلمة التي خرج منها السيد

---

(١) اقبال : ٦٣ .

جمال الدين وامثاله[1].

العلماء والعمل

بيضاوي : المسـألة التي بقيت بالنسبة لي دون جواب ، هي لماذا لايعمل الروحانيون ارجو ان تفيدونا في هذا الموضوع ؟

الشيخ : الاسئلة التي تطرح حول عمل الروحانيين ، جميعها تـنشأ مـن عدم وضوح لمفهوم العمل عند السائل ، ولهذا نواجه اعتراضات حتىٰ من قبل اشخاص (مثل السيد بيضاوي) الذي يشابه عمله ، عمل الروحانيين . ولمزيد التوضيح ، يقسم العمل الىٰ ثلاثة اقسام :

أ ـ الاعمال الانتاجية ، مثل الزراعة ، والنسيج وتـربية المـواشـي و ... وامثالها .

ب ـ الاعمال الخدماتية ، مثل : الطب والتمريض والسياقة والحمالة و ...

ج ـ الاعمال الثقافية والايديولوجية ، مثل : التدريس في الجـامعات ، العمل في مجال التربية والتعليم، الكتابة والعمل في سلك العلماء والروحانيين ، الذين يسعون لنشر وتطبيق اهدافهم والقيام بمسؤولياتهم وبهذا الشكل يتّضح نوع عمل الروحانيين والمجال الذي ينتمون اليه ، اي انهم من القسـم الثـالث للعمل وهو العمل الثقافي والايديولوجي والعملي ، وللأسف الشديد ، بـما ان الاغلبية يتصورون خطأ ان العمل هو فقط في مجال الانتاج ، لذلك يتساءلون

---

(١) ن . م .

عن عمل علماء الدين ، في حين اننا لو حصرنا مفهوم العمل بالانتاج (المادي) فقط ، يجب ان نعد الاطباء والاساتذة والكتّاب والفنانين و ... من جملة العاطلين ، والغريب ان اغلب تلك التساؤلات يطرحها اشخاص لا يقومون هم بأي عمل انتاجي او خدماتي ، بل هم ايضاً ينتمون الىٰ قسم الاعمال الثقافية والعلمية ! ولو كان مصداق العمل النوع الانتاجي فقط . فما هو العمل الذي تقوم به وتنتجه يا سيد بيضاوي انت وجميع العاملين في سلك التعليم و ... ؟ كيف يعد المعلم حتىٰ الذي يدرّس طلاب الصف الاول الابتدائي (مع ان الاسلام يحترم ويقدس هذا العمل) عاملاً ويتغاضىٰ علىٰ ذلك مرتباً شهرياً[١] في حين ان اساتذة الحوزة العلمية الذين يدرّسون الطلاب علىٰ مدىٰ ساعات واكثر من المعلمين العاديين ، يعدون بلا عمل ؟! واصبحت نشاطات اساتذة الجامعات (مع انها ليست انتاجية أو خدماتية) عملاً يدفع لهم مقابله اجراً على الرغم من انه يصب احياناً لصالح الحكومات المستثمرة والفاسدة والظالمة، بينما اساتذة الحوزة العلمية الذين يبحثون ويدرّسون العلوم الاسلامية « عاطلين» ولا يحق لهم استفادة من بيت المال علىٰ حدّ كفافهم ؟!

ولماذا يعدّ ملايين الطلاب الجامعيين وطلاب المدارس اصحاب عمل في حين ان طلبة العلوم الاسلامية وعلىٰ الرغم من قلة الامكانيات المخصصة لهم يعتبرون عاطلين ؟! ولماذا تعد الكتابة عملاً مقدساً اذا قام بها شخص غير روحاني ، بينما يعد الروحاني عاطلاً حتىٰ لو كتب وألّف عشرات الكتب المفيدة ؟! فمثل هذه الاحكام بحق العلماء الروحانيين لابد وان مصدرها

---

(١) هناك حقيقة مؤسفة ، وهي ان شريحة العاملين في سلك التعليم وعلىٰ الرغم من قداسة عملها ، لا زالت مجهولة في هذا البلد ويجحف حقها .

الاستعمار الذي ذاق الويل علىٰ يد العلماء الرساليين الواعين الذين وقفوا بوجه وكشفوا حقيقته للناس.

اجل، هذه الاراجيف والاحكام الباطلة هي ـ وكباقي اراجيفه ـ من صنع الاستعمار الذي القاها بأفواه بعض المغفلين، فأخذوا يتناقلونها دون معرفة مفهوم « العمل » و (العامل».

والغريب هو انني اعرف بعض الاشخاص، ليسوا روحانيين، ولكنهم يرون انفهسم من المطلعين علىٰ المسائل الاسلامية (الى هنا لا اشكال علىٰ ذلك) ولكنهم يتصورون ان المرتبات العالية التي يتقاضونها والتي تتجاوز عشرة آلاف تومان في الشهر مشروعة وحلال تماماً، في حين انهم يتصورون العالم والروحاني الذي يودي عملاً مشابهاً لعلمهم شخصاً عاطلاً ولا يحق له اخذ ما يسدّ به حاجته من بيت المال ؟! مع انهم لابد ان يعرفوا ان المرتبات التي يحصلون عليها هي في الحقيقة من نفس بيت المال الذي يستفيد منه الروحانيون (هذا اذا لم تكن تلك الاموال مجموعة بطرق غير شرعية، مثل الضرائب التي تأخذ من الكسبة والمهنيين الصغار ... فيما يترك كبار الرأسماليين دون اية ضريبة) ولان مصدر مرتبات الاثنين واحدة في حقيقتها (رغم اختلاف التسمية) ويجب علىٰ الروحاني الرسالي وغير الروحاني الخدوم، ان لا يأخذوا منها اكثر من حاجتهم، اجل، لا يحق لغير الروحاني الملتزم والرسالي الذي يعمل في مجال الخدمات او مجال الثقافة، ان يأخذ ويحلل كل ما يعطىٰ له من اموال، ويصرفها كيفما يشاء.

واذكّر ثانية ان محور كلامنا هنا، هم العلماء الحقيقيون والرساليون

الملتزمون ، الذين فضلهم الاسلام ورفعهم علىٰ من سواهم ، اولئك الذين يجاهدون في سبيل القيام بمسؤولياتهم وتحقيق الاهداف التي حددها لهم اللّه عز وجل ، اي تعبئة القوىٰ من اجل محو الباطل والطوغيت ، واقامة الحكومة الاسلامية الحقّة ، اولئك الذين يصدق عليهم قول رسول الاسلام الكريم صلى الله عليه وآله حيث قال:

«يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين...» .[1].

أجل ، من حق الروحانيين والعلماء (علىٰ اختلاف مراتبهم) ان يأخذوا اجوراً بقدر حاجاتهم علىٰ ما يقدموه من اعمال ايديولوجية وعلمية اسلامية . وفي نهاية هذا البث ، اجد من المناسب جداً ان انقل هذه الرواية المروية عن الامام الصادق عليه السلام في هذا الصدد: عن حمزة بن حمران ، قال : سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول : من استأكل بعمله افتقر ، قلت : ان في شيعتك قوماً يتحملون علومكم ويبثونها في شيعتكم فلا يعدمون منهم البر الصلة والاكرام ، فقال : ليس اولئك بمستأكلين ، انما ذاك الذي يفتي بغير علم ولا هدىٰ من الله ليبطل به الحوق طمعاً في حطام الدنيا[2] .

(١) وسائل الشيعة : ج ١٨ كتاب القضاء ، الباب ١١ ، الرواية ٤٣.
(٢) المصدر نفسه .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

المقدّمة ٥
العربة الرابعة، المقعد ٤٤ .... ٧
بداية الحديث ٨
الشيخ يتحدّث ٩
سؤال الشيخ ٩
قضاء باطل ١٠
قصّة حول الأحكام الباطلة ١١
وعاء أحرّ من الأكل ١٥
حقائق العالم وآراء العلماء ١٧
مجهولات الانسان ١٩
لا أعلم ٢٢
خطأ أديسون ٢٥
التعارف ٢٨
محمّد ﷺ رجلٌ فذّ ٣٠
التشريع في عالمنا المعاصر ٣٣
نظرة إلى عالم الأمس ٣٤
اعتراف الدكتور لورافاكسيا فاغليري ٣٦

محطّة بندرگز ٣٨
اهانة عقيد لسائق سيارة اجرة ٣٩
السباق في الاسلام ٤١
ارض الجزيرة العربية ٤٥
قوانين الاسلام خالدة لا تُبلى ٤٨
الذين جلبوا العار لتاريخ المسلمين ٥٦
حديث للسيد جمال الدين ٥٩
كلام مفكرو العالم حول الاسلام ٦١
نفوذ رسول الاسلام صلى الله عليه وآله في الماضي والحاضر ٦٤
اعتراف أبو سفيان ٦٨
النفوذ المعنوي للنبي صلى الله عليه وآله برأي الدكتور لوبون ٧٣
كلام الدكتور لورافاكسيا فاغليري ٧٤
الخليفة العباسي يزور سامراء ٧٥
اقتراح بهمنيار على ابن سينا ٧٨
السبب الحقيقي لنفوذ نبي الاسلام صلى الله عليه وآله ٨١
سيرة الرسول صلى الله عليه وآله المليئة بالفخر ٨٥
معاملة النبي صلى الله عليه وآله لاهل بيته ٨٥
معاملة النبي صلى الله عليه وآله لابنائه ٨٦
معاملة النبي صلى الله عليه وآله لاصدقائه ٨٦
معاملة النبي صلى الله عليه وآله لاعدائه ٨٩
اعجاز النبي صلى الله عليه وآله الاخلاقي عند فتح مكّة ٩١
مكّة في انتظار النبي صلى الله عليه وآله ٩٤
النبي صلى الله عليه وآله لا يدعو بالسوء ٩٩

معاملة النبي صلى الله عليه وآله لغلمانه ٩٩
محمّد صلى الله عليه وآله مصدر الفضائل ١٠١
وفاء النبي صلى الله عليه وآله ١٠١
النبي صلى الله عليه وآله معلم الاخلاق ١٠٢
تواضع النبي صلى الله عليه وآله ١٠٤
جود النبي صلى الله عليه وآله وكرمه ١٠٥
قضاء النبي صلى الله عليه وآله ١٠٥
حقيبة الدكتور فارغة ١١١
المعجزة برأي العلماء والعلوم العصريّة ١١٤
الأعمى الذي أبصر ١١٥
الرجل الذي لا يجد لقدمه علاجاً ١١٥
حدث غريب في زاغ مرز ١١٧
كيف فسّرت برقية الشفاء؟ ١٢٠
المعجزات من الزاوية الطبيّة والعلمية ١٢١
ولادة عيسى عليه السلام بدون أب من منظار العلوم العصرية ١٢٥
ما تحدّث به علماء اوروبا حول نبي الاسلام صلى الله عليه وآله ١٣٠
لا أتكلّم عبثاً ١٣١
١ ـ ماذا يقول بك الخوري ؟ ١٣٢
٢ ـ رسالة الدكتور شمّيل التاريخية ١٣٣
٣ ـ كلام الدكتور غوستاف لوبون ١٣٤
٤ ـ اعترافات توماس كارلايل ١٣٤
٥ ـ ليون تولستوي ١٣٥
٦ ـ المسيو سافاري ١٣٦

٧ ـ المسيو سديل ١٣٦
٨ ـ غويته ١٣٧
٩ ـ السيد بلر ١٣٧
١٠ ـ جون ديفنبورت ١٣٨
١١ ـ اللورد بيدلي ١٣٨
١٢ ـ ماذا يقول اسير وليام موليس ؟ ١٣٩
١٣ ـ اعتراف غريب لفولتير ١٤٠
١٤ ـ كلام من برناردشو ١٤٠
١٥ ـ السيد جون فنيزات ١٤١
البحث في بعض قوانين الاسلام ١٤٣
المساواة في القانون ١٤٤
ملك آل جفنة في قبضة القانون ١٤٥
لا بدّ أن يصفع ملك آل جفنة ١٤٦
نماذج على التمايز العرقي في الغرب ١٤٩
المساواة الاسلامية من منظور علماء اوروبا ١٥٢
مسألة الرق وحلولها ١٥٤
النظام الاقتصادي الاسلامي ١٦٠
بحث القوانين القضائية في الاسلام ١٦٢
أول مورد قضائي تطوّر في عالم اليوم ١٦٤
نموذجان تاريخيان في استقلال القضاء في الاسلام ١٦٥
المورد الثاني للتطور القضائي في عالم اليوم ١٦٦
المورد الثالث للتطور القضائي في عالم اليوم ١٦٧
شروط القضاء الاسلامي الفريدة ١٦٨

لا بدّ من محكمة ١٦٨
أصحاب الأبل يشتكون الخليفة.. ١٧٠
التعجب والحيرة ١٧٤
أهم انجاز قضائي في الاسلام ١٧٧
القضية التي استمرت ١٩ عاماً.. ١٧٩
القضية التي استمرت ١٨ عاماً.. ١٧٩
تنظيف الوفر في شهر آب!.. ١٨٠
لا بدّ من تحمّل دلال ملك الموت! ١٨٠
المحكمة القضائية الاسلامية برأي غوستاف لوبون ١٨١
ليس في الاسلام استئناف ولا تميز ١٨٢
جواب سؤال.. ١٨٥
موارد نقض الحكم في قوانين الاسلام القضائية.. ١٨٦
حول طلب اعادة المحاكمة في الاسلام ١٨٧
خصوصيات المسألتين في القضائين الاسلامي والوضعي.. ١٨٧
ملاحظة بعض قوانين الاسلام الجزائية ١٨٩
الخطوات الاسلامية لتطهير المجتمع.. ١٩٠
الذين قطعت أيديهم!.. ١٩٤
قاطعية الاسلام في مكافحة الفساد.. ١٩٥
دنيا التناقضات.. ١٩٨
سرد موجز للجريمة في الدول المتقدّمة ١٩٩
ضرورة وعي السياسة الغربية والشرقية ٢٠٦
أقرأوا بدقّة أكثر: الهند في مخالب بريطانيا!.. ٢٠٧
امريكا وريثة الاستعمار ٢١٢

التضحية بالمعنويات أمام المادّيات ٢١٦
اصبت بزكام اجنبي ٢١٨
اعتراف غريب للدكتور غوستاف لوبون ٢٢٠
حرب الافيون في الصين ٢٢١
البحث في قوانين الاسلام العسكرية ٢٢٤
جوع وميدان ومعركة ٢٢٤
لنكتشف مجرى الماء ٢٢٩
لن اسمح بمنع الماء ٢٢٩
هدف الاسلام الاساسي من الحرب مع غير المسلمين ٢٣٠
لم ينتشر الاسلام بالسيف ٢٣١
وثيقة صلح الحديبيّة ٢٣٣
اعتراف كبار العلماء بان الاسلام لم ينتشر بالسيف ٢٣٥
تاريخ الحروب الصليبية الاسود ٢٣٨
اواني الذهب والفضة ٢٤٤
غاليلو يُكفّر ٢٤٦
ساعة المسلمين ٢٤٧
المسلمون مؤسّسوا حضارة ٢٤٨
ظلم الأمريكيين ٢٥١
على المسلمين أن ينتبهوا ٢٥٢
فليقرأ المتيّمون بحضارة اوروبا وامريكا ٢٥٣
اعتراف غريب للدكتور ليكليرك ٢٥٤
التأثير الاخلاقي للمسلمين في اوروبا ٢٥٨
اسبانيا في ظل حكم المسلمين ٢٦٠

اسبانيا في ظل الحكم الأوروبي ٢٦١
نماذج مضحكة من جهل الأوربيين ٢٦٣
فطير وشراب ٢٦٥
الأصفهاني يشتري النار! ٢٦٧
التقدّم العلمي عند المسلمين ٢٧٠
تقدّم المسلمين في مجال الطب ٢٧٧
تغيير المناخ في الطب الاسلامي ٢٨٠
الحفاظ على الصحّة في طب المسلمين ٢٨١
تقدّم المسلمين في الصيدلة ٢٨٢
التقدّم الجراحي عند المسلمين ٢٨٤
مستشفيات المسلمين ٢٨٥
صيدليات المسلمين ٢٨٧
تقدّم المسلمين في الكيمياء ٢٨٩
تقدّم المسلمين في الفيزياء ٢٩٣
تقدّم المسلمين في علم الحيوان ٢٩٦
تقدّم المسلمين في مجال الصناعة ٢٩٧
تقدّم المسلمين في العلوم الرياضية ٢٩٩
تقدّم المسلمين في الهيئة والفلك ٣٠٢
تقدّم المسلمين في الجغرافية ٣٠٤
تقدّم المسلمين في الصناعات الجميلة ٣٠٧
تقدّم المسلمين في مجال الفنون ٣٠٩
تقدّم المسلمين في صناعة الأخشاب والعاج ٣١١
تقدّم المسلمين في صناعة الكاشي ٣١٣

اختراع المسلمين للورق القطني ٣١٤
تقدّم المسلمين في علم الميكانيك ٣١٦
تقدّم المسلمين في صناعة الزجاج ٣١٧
استعمال المسلمين للبوصلة في البحر ٣١٨
تقدّم المسلمين في مجال التعليم ٣١٩
تقدّم المسلمين في مجال الاقتصاد السياسي ٣٢١
أسباب تقدّم المسلمين ورقيهم ٣٢٣
قَسَم القرآن ٣٢٤
ظواهر الوجود ومعرفة الله ٣٢٥
مكانة العلم والعلماء من منظار القرآن ٣٢٥
ماذا يعني حرمة التشبّه بالكفار ٣٢٧
قصّة غريبة عن السيد جمال الدين في مصر ٣٢٩
المواد السبعة عشر التي أدّت إلى ثورة مصر ٣٣٤
تقارير اللورد كرومر ٣٣٨
أسباب انحطاط المسلمين وتخلفهم ٣٤٢
مأساة اندحار المسلمين في الأندلس ٣٤٤
الثقافة ٣٥٤
الاسلام واللغات الأجنبية ٣٥٥
داء بلا دواء ٣٦١
الموسيق من الناحيتين الصحيّة والنفسية ٣٦٣
أفضل جائزة لافضل مغني ٣٧٢
المشروبات الكحولية ٣٧٦
انذار ٣٩١

قوانين الدولة فيما يتعلّق بالمشروبات الكحولية ٣٩٥
نصّ حديث مع آية الله العظمى البروجردي ٣٩٨
القمار وأضراره ٤٠٢
الأضرار الأقتصادية ٤٠٢
الأضرار الأخلاقية ٤٠٣
تأثيرات القمار السيئة على الأُسرة ٤٠٣
القمار سبب في الجريمة ٤٠٤
تأثيرات القمار على شرف الانسان وناموسه ٤٠٦
القمار من منظار قوانين العالم والبلاد ٤٠٩
الصحافة ٤١٠
الصحافة وقوانين الدولة ٤١٢
هل يلام الشعب على ما تفعله الصحافة ٤١٥
علماء الدين وتأثيرهم في المجتمع ٤١٨
ملابس الروحانيين ٤٢٤
الروحاني الحقيقي ٤٢٥
اغلبية أم أقلية ٤٢٩
دور العلماء في حركة الانسان التكاملية ٤٣١
الحفاظ على مصادر الثقافة الاسلامية ٤٣٣
العلماء والحركات الثورية ٤٣٥
فتوى تحريم التنباك ٤٣٦
العلماء الرساليون في جميع الجبهات ٤٣٩
العلماء والعمل ٤٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم